



اد الجاحظ

تأليف
محمّد السّندوي

ادب الجاحظ

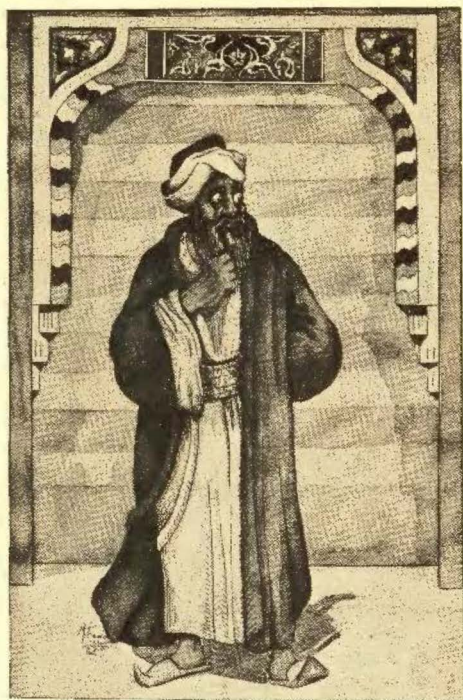
تأليف
صن السندوبي

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net



ابو عثمان عمرو الجامع

ولد بالبصرة سنة ١٥٠ هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٥٥ هـ

» » ٧٦٧ هـ — » » ٨٦٨ م

أَدَبُ الْجَاهِلِيَّةِ

بحث تحليلي في حياة الجاهل والمجاهد ،
و درسي مستفيض في أدبه وعلمه وفلسفته
وبابه خصائصه ومميزاته ، ووصف
مصنفاته ، وعرض نوادره وفطاهاته

تأليف
هـن السندوني

مؤلف كتاب «أعيان البيان» و «الشعراء الثلاثة» و «ديوان امرئ القيس»
و شارح كتاب «البيان والتبيين» و «المفضليات» و «المقابسات»

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

القاهرة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م

يطلب من المكتبة البخارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

كتب الله لك السعادة وأمدك منه بالحسنى وزياده ، وجنبك أسباب الشقاء ، وكفأك مكاييد الأعداء ، وأرشدك إلى ما فيه الخير ، ومهد لك سبل الاحسان والبر ، وملاً قلبك باليقين ، وحال بينك وبين الضالين والمعاندين ؛ وجعل الحق شعارك ، والصدق دثارك ، وباعد بينك وبين الخطل ، وأقالك من مهاوى الزلل ، حتى لاتنطق إلا بالصواب ، ولا تصدر إلا بالحكمة وفصل الخطاب . كان لنا منذ عهد الطلب ولع شديد بكتاب « البيان والتبيين » ، وكنا لانعرف من أمر الجاحظ إلا أنه من العلماء الذين يُندَبُ الترضى عنهم والترحم عليهم . فلما أُتيح لنا الإطلاع على ما ترجم له من سيرة انفتح لنا خصاصٌ من النور كان على ضنولته مغرباً لنا بالاستزادة منه . فطلبناه في مظانه من كتب السير وأسفار الأخبار ودواوين التاريخ ، فكنا كلما أمعنا في التتبع استنار لنا الطريق ، واتسعت الرغبة ، وما كنا نعثر من ذلك إلا على النبذة تتلوها النبذة ، لاتبرد غلة ، ولا تشفى علة ، ولا تنقع بلة . غير أنني كنت أجمع من ذلك ما تفرق ، وأولف بين حزائق ما تمزق ، وأضم الإلف إلى إلفه ، والشبه إلى شبهه ، إلى أن صار لدى من أحوال أبي عثمان الجاحظ وأخباره الشيء الكثير . فلما كانت سنة ١٩٢٦ وقام في نفسى أن أضع على كتاب « البيان

والتبيين ، تعليقات وحواشي تبين بعض غوامضه ، وأخذت في تصحيحه وضبطه لنشره بالطبع ، رأيت أن أصدره بخلاصة في ترجمة الجاحظ ، ولكن المقام لم يكن إذ ذاك مقام بسيط وإيضاح ، فجاءت على غير مايجب من حق الجاحظ ، أو ما يشيع مهمة الأديب الفائق ، ويملاً نفس الأريب الخاذق ، وإن كانت فوق كفاية المتأدب الشاذى . ألمت فيها إلاماً ، ولم استقص فيها استقصاء .

ولما انتهيت من كتاب البيان والتبيين ، وظهر بالطبع في ذلك الحين إتسع أمامي المجال ، وعثرت على مواد جديدة لم تكن في متناول يدي من قبل : فرأيت حقاً على — وللجاحظ عندي حقوق — أن أفرد له كتاباً خاصاً أبسط القول فيه ، وأتناول كل ناحية من نواحيه ، وأبين ماله وما عليه وأوضح مسأله ، وأحل مشاكله ، وأدفع عنه غوائل خصومه ، وأحق من قولهم فيه الحق وأبطل الباطل ، وأفضل منهجه في الأدب ، كما أعرف مذهبه في الاعتزال ، ومسلكه في العلم والفلسفة ، وأطلق القلم في وصف خصائصه ومميزاته ، ولا أزال أتتبع حياته حتى النهاية .

على أنه لم يقف بي الأمر من ذلك عند هذا الحد ، بل رأيت اختيار طائفة ممتازة من رسائله ومقالاته ، وآرائه ومروياته ، المنشئة في مؤلفاته المنشورة بالطبع ، أو في مصنفات غيره مما هو من شأنه ومما يدور حوله ، فأثبتها فصلاً قائماً برأسه في نهاية هذا الكتاب حتى لا أترك لباحث أمنية ، ولا لأديب بغية ، ولا لأريب مطلباً ، ولا لمنقب مآرباً ، إلا جئت من ذلك بالقدر الذي سمح به الوقت ووات به الحال .

وكان من حسن معونة الله وجميل رعايته ، أن وقفنى إلى العثور على طائفة صالحة من آثاره التى لم يسبق لها عهد بالنشر والذيوغ بالطبع ، فأعملت فيها العقل ، القلم ، مصححاً فاسدها ، مقوما معوجها ، محرراً ماشاع فيها من تصحيف النساخ ، وتحريف المساخ .

ولم أر الاستثثار بهذه الآثار ، أو الضن بها على أهل الأدب فى الأمصار ، بل آثرت ، خدمة للعلم والأدب ، أن أذيل هذا الكتاب بما رأيته صالحاً منها . وفوق هذا فلم أترك عالماً من الأعلام التى ورد لها ذكر فى هذا الكتاب إلا عرفت به ، مترجماً إياه على مقتضى المقام ، متحريراً ما استطعت تاريخ ميلاده ، مثبتاً وقت وفاته . وناهيك بذلك كله من عمل شاق ، وجهد ممض . وقد أسميته « أدب الجاحظ » ليجمع بين المعنيين : معنى الاسلوب الذى تنقف به ، ومعنى الثقافة التى اختص بها واستقل بأعبائها والله أسأل دوام التوفيق إلى كل عمل صالح وصنيع مفيد ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

هــنـ النبـوى

القاهرة فى { ٤ صفر ١٣٥٠ هـ
٢٠ يونيه ١٩٣١ م

مهرير

في

مناهج الكتاب في تراجم الرجال

لِكِتَابِ الإفْرانْجِ في تدوين تراجم رجالهم ، وتحرير حياة نوابغهم ، وتحليل سير أفرادهم ، وتحليل ذكري أبطالهم ؛ أسلوب خاص تفردوا به ، والتزموا السير على منهاجه ، والضرب في أنحائه وفجائه ، قل أن يُعْنَى به كاتب من كتاب العربية ، وشذ أن يُلم بما فيه من دقائق ، ونَدَّ أن يحوم حول ما أضمّنه من غوامض . وذلك أننا نرى الكتاب الأوربيَّ يحاول فيما يتناوله من شؤون نابغة الذي يعرض للكلام عليه — سواء أكان ذلك النافع فيلسوفاً ، أم كان عالماً ، أم كاتباً ، أم شاعراً ، أم كان بطلاً من أبطال الحرب ، أم رجلاً ممتازاً بضرب من ضروب الحياة — أن ينتزع مما صار إليه شأن مترجمه في شيخوخته وفي عيда اكتمال أيامه ، صورةً مما كان عليه في طالعة أمره ، ومستهل نشأته ، ومبدأ طفولته . فيحمل نفسه في هذا السبيل من صنوف العنت في التحمل ، وألوان الإحتيال في الاختلاق ، ما كان في غنى عن كثير من أمثاله . إذ تراه لأقل ملاسة ولأدنى خاطرة ، يُنشئ في وهمه خيالاً يلبسه ألواناً من دلائل طفولته ، ويعرضه في أطوار لا عهد له بها ، متنقلاً به من الطفولة إلى اليُفوعة ، ومن المراهقة إلى الفتوة ، ومن الشُّبوبة إلى الشيخوخة . مسترسلاً فيما كانت تدل عليه حركته في هاته الأطوار ، وما كانت تشير إليه تقلباته وتُنتجه سكناته في أثنائها ، من حدة في الذكاء ، أو خود

في القريحة ، أو توسط في الفطنة ، أو بلوغ الغاية في طبقات الألفية . ثم يرسل على هذه التجولات التي تخيلها أشعة من أوهام فراسته ، ملحقاً في أن يسط عليك إرادته ليقنعك ما استطاع ، بأن بدءاً أمر مترجمه كانت تدل بكل معاني الدلالة على ما انتهى إليه شأنه من بُعد الصيت وذُيوع الذكر ، وما احتازه من النبوغ والتفوق فيما انتجته من أعمال الحياة

هؤلاء الكتاب وأمثالهم ومن يحذون حذوهم ، ويضربون على أوتارهم . لا أستطيع أن أومن بكثير مما يعرضونه على قرائهم ، من التغلل في خفايا هذا الشأن ، وأحسبه من موارد خيالاتهم ومنتجات أوهامهم ، إذا أرادوا به أن يصوروه في صورة الحقائق الثابتة . أما إذا قصدوا به التسلية والتلهية ، أو العبرة والعظة ، فلا ضير في ذلك ولا تريب . وقد أتمس لهم شيئاً من العذر في هذا المنحى لافتقارهم إلى ما غني به كتاب العربية من الرواية والسند . وعلى الخصوص قبل أن توضع للتربية أصول وقواعد ، وقبل أن تصير مراقبة الطفل منذ عهده بالميلاد فنا منظماً من الفنون ذات الشأن والخطر أما كتاب العربية ، فهم على الرغم من استغنائهم بالرواية المسندة ، واحتفال موادهم بالحديث المسلسل ، قلما حفلوا من أمر رجالهم الذين يعنون بترجمتهم إلا بما قد يكون عرف عنهم من تقدم أو تخلف ، ومن تفوق أو توسط ، فيما انتجته كل منهم من مناحي الحياة ومراشدها ، سواء أكانت علمية أم فنية أم صناعية ولا يكون ذلك إلا بعد الاستحكام وعض الناجذ . وإلا بعد أن تتكوّن الملكة ، وتقوى المنّة ، وتظهر الموهبة فهم في غالب شأنهم ، لا يعرضون لشيء من ماضي نوابغهم الذين يفتنون التعريف بهم إلا بسند متصل ، أو رواية مأثورة ، أو حديث مدوّن . فهذا ما مضى عليه أولهم وتابعهم عليه آخرهم

أما المنهج الذى وضعته نصب عيني فى دراسة الجاحظ ، وفيما أثبتته ههنا من شأنه ، فهو الاعتماد على المصادر المذكورة فى آخر هذا الكتاب ، وعلى غيرها من المطالعات فى شتى الأسفار . مما شذ عن الذاكرة لإحصاؤه ، وبناءً عليها استقصاؤه . وعلى ما استنتجته من مؤلفات الجاحظ ، وانزعته من دلائل أغراضها ومعانيها . وبهذا أود أن أكون فى مقام وسط بين عدة كتب العربية ، وبين تزيد كتاب الفرنجة . فلا أدعى أنى أعرض مالم يكن ، فى معرض ما يكون ، ولا أحاول النفوذ إلى علم الغيب أستخرج منه المستور وأكشف المكنون ، ولكنى سأكون فى هذا الكتاب مؤرخاً نظاراً ، وباحثاً نقاباً . أبهرج الزائف وأظهره على حقيقته ، وأؤيد الصحيح وأقره فى منزلته ، مادام ذلك كله لا يخرج عن حد العقل ونطاق الإمكان .



الفصل الأول

في

أصل الجاحظ ونسبه وجنسه ولقبه

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة ، الليثي الكنانى ، وقد زعم بعض الرواة أنه كان مولى لأبى القلمس عمرو بن قلع الققيمي النسائي . وكان إلى هذه الأسرة نسء الشهور في الجاهلية ^(١) وكان القلمس

(١) كان أول من نسأ الشهور على العرب في الجاهلية ، فأحل لهم منها ما أحل ، وحرم عليهم منها ما حرم « القلمس » وهو حذيفة بن عبد بن ققيم الكنانى . ثم قام من بعده على ذلك ولده « عباد » بن حذيفة . ثم قام على أثره ولده « قلع » بن عباد ، ثم « أمية » بن قلع ، ولعله هو المسمى في الأصل عمرو بن قلع وكان يكنى بأبى القلمس . ثم « عوف » بن أمية . ثم « أبو ثمامة جنادة » بن عوف . وهو آخرهم في هذا الشأن ، وعليه قام الاسلام . ويروى أن أبا ثمامة جنادة بن عوف أسلم وحضر الحج في زمن عمر فرأى الناس يزدحمون على الحجر الأسود فنادى : أيها الناس إني قد أجرته منكم ! فخففه عمر بالدرة وقال له : ويحك ، إن الله قد أبطل أمر الجاهلية ؟ . وكان الواحد من هؤلاء النساء يقف في الموسم قبل الاسلام عند جرة العقبة وحوله قبائل العرب ويقول : اللهم إني ناسئ الشهور وواضعها مواضعها ، لا أعاب ولا أحاب ، اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفرا المؤخر (يعنى محرم وصفر) وكذلك في الرجيين (يعنى رجب وشعبان) انفروا على اسم الله . وقد أشير إلى هذا الحدث في القرآن الكريم « إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، والنسيء في اللغة التأخير

من حكام العرب وذوى الرأى فيهم والرُّجحان عندهم . وكان يحلل من الشهور ما يشاء فتَحِل ، ويحرم منها ما يريد فتحرم . كذلك كان بنوه من بعده . وما كان فى العرب من يقف لأحد منهم فى هذا الشأن ، أو يخالفه فيه .

ففى هذه الأسرة الماجدة نشأ أصل الجاحظ وتوشجت أعراقه ، وإليها كان اتِّمَّاءه وانتماء آبائه وأجداده . ولعل أول من عرف منهم فزارة الذى قيل إنه كان جمالا لأحد رؤسها . قال يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرَّعِ ^(١) — وكان الجاحظ خال أمه ، لا ككايل من أنه كان خاله — : كان فزارة جد الجاحظ أسود ، وكان جمالا لعمر بن قَلَم الكنانى .

ومن هنا قد يتطرق الشك إلى الأذهان فى عربة الجاحظ وأسرته وخصوصا لما زعمه بعض الرواة من ولائه لأبى القلمس الكنانى — ويفتح باب التظنى فى جنسيته ، فيلججه عليه الشعوبى ومقلده من لا يرون للعرب فضيلة يمتازون بها على غيرهم من الأمم . وقد يعرض هذا السؤال : هل كانت أسرة الجاحظ عربية سامية ، أم كانت من العناصر الأفريقية التى تداخلت فى العنصر العربى بعامل الجوار وما يستتبعه ؟ وهل وقع على أحد من أسلافها الرق أو الإِسار ، أم تناسلت على الحرية السليمة من الشوائب والأكدار ؟

أما جوابى على هذا فهو : إن السواد لا يصح أن يؤخذ دليلا على نفى العروبة فقد كان هذا اللون شائعا فى العرب . بل ربما عد مما كانت تفخر به ،

(١) هو أبو بكر محمد بن موسى بن سيار العبسى البصرى . غلب عليه اسم « يموت بن الزرع » وبهذا الاسم اشتهر . كان الجاحظ خال أمه . وكان من مشايخ العلم والأدب ، قويا بالأخبار ، حسن الشعر . أخذ عن الجاحظ وأبى عثمان المازنى وغيرهما . دخل بغداد ثم قدم مصر سنة ٣٠٣ هـ ثم ذهب إلى دمشق وبها كانت وفاته سنة ٣٠٤ هـ .

وكثيراً ما كانت تُعجَب به وتؤثره على غيره من الألوان الأخر ، وتصفه بالخصرة، وتنعت الخصرة به . ومن مذكورى السود فيهم ، الأغر بة ، وهم : عَنترَةُ (١) وخُفافُ بنُ نُدْبَةَ (٢) وأبو عُمير بن الحُباب (٣) والسُّلَيْكُ ابن السُّلَكَةِ (٤) وهشامُ بن عُقْبَةَ (٥) وعبد الله بن خازم (٦) وعمير ابن أبي عُمير ، وهمامُ بن مُطَرَفٍ (٧) ومُنْتَشِرُ بنُ وَهَبٍ (٨)

(١) هو عنتره بن شداد العبسي الفارس الشاعر المشهور ، كانت أمه أمة حبشية تدعى زبيبة مات سنة ٦١٥ م

(٢) هو أبو خراشة خفاف بن عمير السلي . كانت أمه ندبة عريية إلا إنها كانت سبية ، وإليها كان ينسب . وكان فارساً شاعراً بعيد الذكر . أسلم وشهد حنيناً والفتح وكان إليه لواء بني سليم . وهو من خيار الصحابة . مات في خلافة عمر

(٣) هو أبو عمير بن الحباب . كان فارساً مغواراً وشاعراً خللاً . وكان من رجال مصعب بن الزبير . أغار على قبائل كلب وأنكى فيها ثم قتلته تغلب وتأثر له زفر بن الحارث

(٤) هو السليك بن السلكة . كان من مغاوير الشجعان ومن فحول العدائين الذين يسبقون الخيل عدوا . قتله أنس بن مدرك الخثعمي

(٥) هو هشام بن عقبة بن أبي معيط . ولاد عمر بن عبد العزيز على أعمال قنسرين

(٦) هو أبو صالح الأمير عبد الله بن خازم السلي . كان من الأبطال الشجعان ، فتح الفتوحات الجليلة وولى الأعمال العظيمة لبني أمة . ولى خراسان عشرين سنين وفتح الطبسين ثم ثار به جند خراسان من العرب بقيادة وكيع ابن الدورقية فخر صريعاً في المعركة سنة ٥٦ هـ ٦٧٥ م

(٧) هو همام بن مطرف العقيلي . كان على صدقات بني عامر أيام كان مروان بن الحكم والياً على المدينة من قبل معاوية

(٨) هو منتشر بن وهب أخو أعشى باهلة . كان فارساً شجاعاً صاحب غارات في الجاهلية . قتله هند بن أسامة الفزاري . وللاعشى فيه مرثية من أبلغ المراثي

وَمَطَرُ بْنُ أَوْفَى ^(١) وَتَأَبَّطُ شَرًّا ^(٢) وَالشَّنْفَرَى ^(٣) وَحَاجِزُ ^(٤) — وَإِنَّمَا لَقِبُوا بِالْأَعْرَبَةِ لِأَنَّ أُمَهَاتِهِمْ كُنَّ إِمَاءً — فَسَوَادُ فِزَارَةَ جَدُّ الْجَاهِظِ لَا يَمُدُّ دَلِيلًا عَلَى نَفْيِ الْعَرُوبَةِ عَنْهُ . وَأَمَّا الرُّقُّ فَلَمْ يَرِدْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الرُّوَاةِ وَالنِّسَابِينَ وَأَصْحَابِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ وَقَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَجْدَادِهِ . وَكَذَلِكَ الْإِسَارُ ، فَانْهَلَمْ يُصَبِّ أَحَدًا مِنْهُمْ . وَلَا عِبْرَةٌ بِوَصْفِهِمْ بِالْوَلَاءِ لِأَلِّ قَقِيمٍ ، فَلَيْسَ الْوَصْفُ بِالْوَلَاءِ . مِمَّا يَنْفِي الْحَرِيَّةَ ، فَالْوَلِيُّ عِنْدَ الْعَرَبِ : الْحَبُّ ، وَالصَّدِيقُ ، وَالنَّصِيرُ ، وَالْمَوْلَى ، وَالْعَبْدُ ، وَالْمُعْتَقُ ، وَالْمُعْتَقُ ، وَالصَّاحِبُ ، وَالْقَرِيبُ — كَالْعَمِّ ، وَابْنِ الْعَمِّ ، وَالْإِبْنِ ، وَابْنِ الْأَخْتِ — وَالْخَلِيفُ ، وَالنَّزِيلُ ، وَالشَّرِيكُ ، وَالْوَلِيُّ ، وَالرَّبُّ ، وَالنَّاصِرُ ، وَالْمَنْعَمُ ، وَالْمَنْعَمُ عَلَيْهِ ، وَالتَّابِعُ ، وَالصَّهْرُ . وَقَدْ تَكُونُ قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ صَرِيحَةٌ النَّسَبِ مَوْلَاةٌ لِقَبِيلَةٍ أُخْرَى عَرَبِيَّةٌ

وَأَمَّا قِيَامُ فِزَارَةَ عَلَى إِبْلِ عَمْرُو بْنِ قَلْعٍ ، فَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَلَيْسَ يَدُلُّ إِلَّا عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَحْسُنُ الْقِيَامَ عَلَيْهَا ، وَلِهَذَا اسْتَكْفَاهُ مَوْلَاهُ عَظِيمًا مِنْ أَمْرِهِ . نَعَمْ إِنْ الْجَاهِظُ قَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ « الْحَيَوَانُ ١٣٤ ج ٣ » أَنَّ أَصْحَابَ الْإِبْلِ يَرْغَبُونَ فِي اتِّخَاذِ النَّوْبَةِ وَالْبَرِّ وَالرُّومِ لِلْأَبْلِ ، يَرُونَ أَنَّهُمْ يَصْلَحُونَ عَلَى مَعَايِشِهَا وَتَصْلَحُ عَلَى قِيَامِهِمْ عَلَيْهَا . وَلَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَامًّا فِي سَائِرِ

-
- (١) هُوَ مَطَرُ بْنُ أَوْفَى . كَانَ شَجَاعًا أَبَدًا ذَا بَأْسٍ وَقُوَّةٍ
 (٢) هُوَ ثَابِتُ بْنُ جَابِرٍ . تَأَبَّطُ شَرًّا . كَانَ مِنْ أَشْجَعِ الْعَدَائِينَ صَاحِبَ غَارَاتٍ وَنَكَايَاتٍ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ . وَكَانَ أَبُو كَبِيرٍ الْهَنْدَلِيُّ زَوْجَ أُمِّهِ وَلَهُ فِيهِ شَعْرٌ
 (٣) هُوَ الشَّنْفَرَى الْأَزْدِيُّ . كَانَ شَجَاعًا بَطَلًا ذَا غَارَاتٍ . وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِ الْعَدَائِينَ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مَشْهُورٌ لَهُ لَامِيَّةُ الْعَرَبِ
 (٤) هُوَ حَاجِزُ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ . شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مَقْلٌ . وَهُوَ أَحَدُ الْعَدَائِينَ الْمَغَاوِرِ

العرب ، وما هي إلا رغبة إن حصل عليها بعضهم ، فليس في الإمكان أن يبلغها كلهم . وقد كان في مقدور الجاحظ أن يشير في هذا المقام إلى عنصر جده ، إن كان به دم يمت بشبهة نسب إلى أحد هاتيك العناصر الثلاثة . والجاحظ أحكم من أن يبرأ من أصله ، وأ عقل من أن يغمر جنسه . وأخرى فلو كان في دم الجاحظ شيء ، قليل أو كثير ، من دم الأجناس غير العربية لرأيناه في رأس الشعوبية الذين لا يرون للعرب شيئاً ولا يعترفون لهم بفضل ، وهاهو أستاذه أبو عبيدة معمر بن المثنى ^(١) كان رأساً في الشعوبية . ولكننا نرى الجاحظ في كتبه وفي كل ما روى عنه ، شديد العصبية للعرب ، لا يرى فضيلة في أمة إلا ويرى أكبر منها لهم . لا بل هو لا يرى أمة من أمم الأرض تفضل الأمة العربية بأي خصلة من خصال الخير والنبيل ، وما من مزية من مزايا الانسانية ، إلا والعرب أسبق الأمم إليها وأخصم بها . ومع هذا كله فقد قطع المحققون بأن الجاحظ كان كنانياً صليبي ، يعني أنه كان خالص النسب ، عريق الأصل في العرب . وعن ذلك أبو القاسم البلخي ^(٢) وابن حزم ^(٣) إذا فهو عربي ، من سلالة عربية ، نشأ في بيت

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان مولى لـ تميم قريش . وكان عظيم الدراية واسع الرواية إخبارياً نسباً عالمياً بأحوال العرب . وكان شعوبياً وضع كتاباً في مثالب العرب . وكان يرى رأى الخوارج . عاش حوالي مائتي عام فيما قيل . ومات سنة ٢١١ هـ

(٢) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعي البلخي . كان من أكابر المتكلمين ومن رؤس المعتزلة . انفرد بمقالات خاصة تابعه عليها قوم . فلقبوا بالكعية ، وله كتاب في تاريخ المعتزلة . توفي سنة ٣١٧ هـ

(٣) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم . فارسي الأصل أندلسي الميلاد والنشأة . صاحب التضايف الكثيرة في الحديث والفقه والجدل . ومن أشهر مصنفاته كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ولد بقرطبة في رمضان سنة ٣٨٤ هـ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ

من أجل بيوتات العرب ومن أعرقها في المجد والشرف .

أما لقبه « الجاحظ » فقد جاءه من قبل أنه كان مشوه الخلق ، جاحظ العينين .
 أى بارزهما . وربما لقب « بالحدق » أيضا ، لأنه كان ناقىء الحدقتين .
 وليس هذا مما يعيبه مع علمه وفضله وبارع أدبه . فكثير من العظماء كان مثله .
 أو أكثر منه دمامة وتشويها . فهذا سقراط ^(١) شيخ الفلاسفة الأقدمين ،
 قد كان مشوه الخلق ، جاحظ العينين ، أفتس الأنف ، ضخم الشفتين .
 وبالجاحظ بعض هذه العيوب . ومع هذا فقد عدل به عن اسمه الأصل
 « عمرو » وعن كنيته « أبى عثمان » واشتهر بهذا اللقب المنتزع من أقبح شئ
 في خلقه .

والظاهر أن الجاحظ كان لا يعجبه أن يدعى بهذا اللقب ، وكان يتبرم
 بمن يدعوه به . ولهذا كان يجهد نفسه في أن يقرر في أذهان الناس أن اسمه
 « عمرو » وأنه يجب أن يدعى بهذا الاسم ، وأن اسم « عمرو » أرسق الأسماء .
 وأخفها وأظرفها وأسهلها مخرجا . وكان يسميه « الاسم المظلوم » لأنهم ألزقوا به
 الواو التى ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها ولا إشارة إليها . وكان يقول :
 إن هذا الاسم لم يقع فى الجاهلية والاسلام إلا على فارس مذكور ، أو ملك .

(١) هو سقراط فيلسوف اليونان القدماء كان أبوه نحاتا وأمه قابلة .
 وكان ذا مواهب فاضلة سمى به إلى ذروة المجد النفسى . لم يؤلف كتابا ولم
 يضع مصنفا ، بل سرت تعاليمه من نفوس تلاميذه مسرى الكهرباء ، نخلد فيهم
 مجده ، وعنه انتشرت فلسفته . ولد بأثينا سنة ٤٦٩ قبل الميلاد ، وكانت
 وفاته بالسم بحكم القضاء الخاطيء سنة ٣٩٧ قبل الميلاد

مشهور، أو سيد مطاع ، أو رئيس متبوع . أمثال : عمرو بن هاشم ^(١)
وعمر بن سعيد الأكبر ^(٢) وعمر بن سعيد الأشدق ^(٣) وعمر بن
العاص ^(٤) وعمر بن حمة ^(٥) وعمر بن يحيى بن قُمعة ، وعمر بن
معديكرب ^(٦) وعمر بن عبدود ^(٧) وعمر بن الشريد ^(٨) وعمر

(١) هو عمرو بن عبد مناف، وهو هاشم جد النبي عليه الصلاة والسلام.
وقد مات بغزة من أرض فلسطين حين ورد إليها في تجارته، وبه سميت غزة هاشم
(٢) هو عمرو بن سعيد بن العاص : كان من أكابر رجالات بني أمية ،
وكان من مهاجرة الحبشة . قتل بأجنادين بالشام في خلافة أبي بكر سنة ١٣ هـ
(٣) هو عمرو بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص . وقد لقبه معاوية
بالأشدق حين رآه على صغره فصيحاً بينا . كان من خول بني أمية وعظماهم ،
وكان ينازع عبد الملك بن مروان الخلافة فاغتاله عبد الملك وتخلص منه
سنة ٧٠ هـ

(٤) هو الأمير عمرو بن العاص الفاتح العظيم والسياسي المخنك والداهية الدهياء .
فتح مصر وقهر جيوش الروم . وعاون معاوية على علي في حروبه . وتوفي بمصر
سنة ٥١ هـ ودفن بجبل المقطم في ناحية الفخ وكانت طريق الناس إلى الحجاز
(٥) هو عمرو بن حمة الدوسي . كان في أول أمره شجاعاً باسلاً ، ثم
صار سيد قومه . وهو أحد من كانت تتحلى إليه العرب . وفي رواية ابن
عباس أنه قضى بين العرب ثلاث مائة سنة . وهو أول من حكم في الخنثى
باتباع المبال . وفي بعض الروايات أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم . ولما
مات رثته الشعراء بمراث جيدة

(٦) هو عمرو بن معدى كرب : البطل المقدم ذو الغارات والمعارك
في الجاهلية والإسلام توفي بعد فتح نهاوند سنة ٢٠ هـ
(٧) هو عمرو بن عبدود : رأس الأحزاب وقائدها . قتله علي بن أبي طالب
يوم الخندق

(٨) هو عمرو بن الشريد : والد الخنساء وكانت من سادات العرب
وشجعانهم الأبطال

ابن الحلق^(١) وعمرو بن عبيد^(٢) وعمرو بن قائد^(٣) .

ولعل الجاحظ كان يريد أن يقول في إثر ذلك : فلم لا يدعوني الناس « عمرو بن بحر » بدل هذا القلب البغيض ... ؟ وله الحق في ذلك . فما من انسان كائنا من كان إلا وهو يبغض من يدعوه بلقب ، ولا سيما إذا كان هذا القلب يشير إلى عيب في صاحبه إن خَلَقا وإن خُلِقا

ولو علم الجاحظ أن لقبه هذا سيكون فيما بعد عصره نعتا من أجل النعوت ، وأنه سيكون صفة من أشرف الصفات التي عمل الكثيرون من عظماء الرجال وأكابر الرؤساء ، وخواص أهل الفضل ، على أن يكون لهم شرف الانتساب إليه ، ومجد الاتصاف به - لسره من لقبه أكثر مما أعجبه من اسمه . فقد أصبح هذا القلب شعار مدرسة جامعة ، ودليلا على التبحر في العلوم والتوسع في الآداب والتفوق في فنون البلاغة وصنوف البيان . فهذا أبو زيد أحمد بن سهل البلخي^(٤) ، وناهيك به من فيلسوف حكيم ، كان ينعت « مجاحظ

(١) هو عمرو بن الحق : من خراعة ، أسلم بعد الحديبية وله صحبة . وكان من شيعة علي ، ذا بأس وشدة . أقام بالشام ثم بالكوفة ثم قدم مصر . جاوز الثمانين من عمره ، ثم قتل يوم الحرة سنة ٦٣ هـ وحمل رأسه الى معاوية وهو أول رأس حمل في الاسلام من بلد إلى بلد

(٢) هو عمرو بن عبيد بن باب الزاهد العابد الناسك شيخ المعتزلة واما هم . وقد كتبنا له ترجمة ملخصة ونشرناها في جريدة السياسة الأسبوعية وسترى له ترجمة مستفيضة في كتابنا « شيوخ المعتزلة ومذاهبهم » الذي سنشره بالطبع قريبا . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٤ هـ

(٣) هو أبو علي عمرو بن قائد الأسواري . أخذ عن أبي الهذيل العلاف ثم عن أبي اسحق النظام . وكان رأس فرقة من المعتزلة . وله آراء ومقالات خاصة

(٤) هو أبو زيد البلخي . راجع ما كتبناه عنه في كتاب المقابسات ص ١٤٨

خراسان « وهذا أبو الفضل ابن العميد ^(١) ، وشرعك من وزير عليم كان يرتاح الى من يصفه « بالجاحظ الثاني » وهذا أبو حيان التوحيدى ^(٢) . وهمك من كاتب بليغ ، كان ينازع ابن العميد صفة « الجاحظ الثاني » وهذا محمود بن عزيز ^(٣) ، وحسبك من عالم جليل ، كان ينعت « بالجاحظ الثاني » . وهذا أبو محمد الحسن بن خلاد القاضى الرامهرمزي ^(٤) . قال عنه ابن النديم : انه كان حسن التأليف ، مليح التصنيف يسلك طريقة الجاحظ . وذكر له عدة مؤلفات . وهذا أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ^(٥) . قال عنه ابن النديم : إنه مليح التصنيف ، جيد التأليف . يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمل من الكتب . وذكر له عدة مصنفات . وهناك غير هؤلاء ممن لم تسع الذاكرة أسماءهم كلهم كان يود بجدع الألف الاتساع في المعارف والآداب والبلاغة والبيان إلى الجاحظية الأدبية . فاسم الجاحظ عنوان على مدرسة جامعة في فنون العلوم وصنوف الآداب وألوان البلاغات

- (١) هو أبو الفضل بن العميد : راجع ما كتبناه عنه في كتاب المقابسات ص ٦١ .
- (٢) هو أبو حيان التوحيدى : راجع ما كتبناه عنه في أول كتاب المقابسات .
- (٣) هو أبو القاسم شمس المشرق محمود بن عزيز العارضى الخوارزمي . كان من أفاضل الناس في عصره جمع بين الأدب واللغة والمنطق والفلسفة والفقه والنظر والخلاف والحديث . وكان كاتباً بليغاً ذا اقتنان . وكان في خدمة خوارزم شاه مكرماً مبجلاً . ثم فارقه إلى مرو . وكان الرخشري من المعجبين بفضله وسعة معارفه وكان يدعوه « الجاحظ الثاني » لكثرة حفظه وفصاحة لفظه . احتقر الدنيا ومل الحياة فذبح نفسه بيده سنة ٥٢١ هـ . ووجد بخطه رقعة فيها « هذا ما عملته أيدينا فلا يؤاخذ به غيرنا »
- (٤) هو القاضى أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد . وكان مع قيامه بشؤون القضاء يضرب بسهم نافذ في الأدب وله شعر حسن ونثر جيد . مات في حدود سنة ٣٦٠ هـ
- (٥) هو أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى صاحب كتاب الموازنة بين الطائيين كان جيد الفهم حسن الدراية بارع الادب . مات سنة ٣٧١ هـ

الفصل الثاني

في

تحقيق مولده ومنشأه ، وهل كان محدثا ؟

للرواة والمؤرخين خلاف في مولد الجاحظ ، فمنهم من زعم أنه ولد في سنة ١٥٩ هـ ، ومنهم من يرى غير ذلك ، لكن الذي لا يصح أن يشك في صدقه أو يرتاب في صوابه ، ما قرره هو عن نفسه ، ونقله إلينا ياقوت^(١) في معجمه

(١) هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي . أسر صغيراً من بلاده وابتاعه رجل من تجار بغداد فعلمه وثقفه ورباه ودرّبه على التجارة فكان كثير الأسفار ، طوفاً في الأمصار ، معنياً بطلب التجارة والكسب وبعد أن مات سيده استقل بالعمل وحده وأضاف إلى أعماله الاتجار بالكتب . وكان كثير المطالعة مشغولاً بها . ومن أشهر مؤلفاته كتاب «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» المعروف بـ «معجم الأديب» . وقد كان مطموراً في زوايا المكاتب فعثر على بعضه العالم المستشرق الإنجليزي الجليل المستر مرجليوث ونشر منه أجزاء بالطبع جزاءه الله خيراً . وله كتاب «معجم البلدان» طبع في أوربا منذ زمن وأعيد طبعه في مصر سنة ١٩٠٦ وألحقه طابعه أمين أفندي الخانجي بمستدرك أسماه «منجم العمران» . وله غير هذين كتب كثيرة غير معروف إلى الآن عنها شيء . وكان مولده ببلاد الروم سنة ٤٥٥ هـ وتوفي

سنة ٦٢٦ هـ

فقد روى أنه قال : أنا أسن من أبي نواس^(١) بسنة ، ولدت في أول سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) وولد في آخرها . . . وليس بعد هذا نص يعتد به في هذا الشأن ومن الغريب أن ابن خلكان^(٢) يروي في كتابه عن أبي بكر الخطيب البغدادي^(٣) أنه ذكر أبا نواس في تاريخه الذي وضعه لبغداد وقال : إن ميلاده (يعني أبا نواس) كان في سنة ١٤٦ . وهذا لا يصح الأخذ به أو الاعتماد عليه بعد نص الجاحظ عن نفسه وعنه

وقد كان ميلاد الجاحظ بالبصرة في ذلك التاريخ ، وقد مضى على تأسيسها ١٣٦ سنة ، فقد أسسها الأمير عتبة بن غزوان^(٤) بأمر الخليفة عمر

(١) هو الحسن بن هاني الحكيم الشاعر الأشهر المعروف بأبي نواس ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ١٩٨ وهو أشهر من أن يعرف هنا
(٢) هو القاضي أبو العباس شمس الدين أحمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان صاحب كتاب « وفیات الاعيان وأنباء أبناء الزمان » وهو كتاب شهدت شهادة عدل أن مؤلفه كان من أكابر الأدباء وأفاضل الكتاب وغول البلغاء ولي التدريس والقضاء بمصر والشام زمناً . وكان على جلالة قدره ميالاً إلى اللهو والمجون وكان مولده بمدينة إربل سنة ٦٠٨ هـ وتوفي بدمشق ودفن بسفح قاسيون سنة ٦٨١ هـ

(٣) هو أبو بكر أحمد بن علي البغدادي الخطيب الحافظ المؤرخ الشهير كان من الحفاظ المتفنين والعلماء المتجرين ، وكان واسع الاطلاع إلى الغاية التي لا ترام . وله كتاب تاريخ بغداد وقد شرع في طبعه بمصر الآن ولد في بغداد سنة ٣٩٢ هـ وتوفي سنة ٤٦٣ هـ

(٤) هو عتبة بن غزوان بن الحارث المازني . صحابي من المهاجرين الأولين هاجر إلى المدينة وهو في سن الأربعين . وكان رجلاً طوالاً شجاعاً جيد

ابن الخطاب^(١) في سنة ١٤ هـ . وبعد أن مضى على تأسيس الكوفة ١٣٣ سنة ، فقد أسسها الأمير سعد بن أبي وقاص^(٢) بأمر الخليفة عمر ابن الخطاب في سنة ١٧ هـ . وبعد أن مضى على إنشاء بغداد أربع سنين ، فقد وضع أبو جعفر المنصور^(٣) ثانی الخلفاء العباسيين قواعدها في سنة ١٤٦ هـ

الرامية . شهد بدرا ، وفتح الابله ، واختط البصرة وبني مسجدها في عهد عمر ابن الخطاب . توفي في طريق مكة سنة ١٧ هـ

(١) هو الامام العظيم عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الاسلام، ووقفه الى الفتوحات الجسام ، وشد أركان ملكه بالعدل والانصاف ، وبعاد بينه وبين الجور والاعتساف . واسنا نحاول هنا ترجمته فهذا شيء فوق المرام ، كانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال . طعنه الفاتك فيروز أبو لؤلؤه غلام المغيرة بن شعبة سنة ٢٣ هـ فمات عن خمس وخمسين سنة (٢) هو القائد الباسل العظيم سعد بن مالك بن أهيب بن أبي وقاص منزلزل أركان دولة الامة كاسرة وصاحب الفتوحات العظيمة مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة وذلك في سنة ٥٥ هـ وقد ناهز السبعين من عمره

(٣) هو الخليفة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أبو جعفر المنصور كان مولده بالشرأة سنة ٩٥ هـ وبويع له بالخلافة بالانبار يوم مات أخوه أبو العباس سنة ١٤٦ هـ وهو الذي مهد الخلافة العباسية بحزمه وعزمه ويقظته . قال محمد بن علي العبدى الخراساني الاخبارى في وصفه : كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبي طالب ، وقد كان قبل ذلك أمرهم واحداً ، وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسى المنجم وأسلم على يديه — وهو أبو هؤلا النوبختية — وابراهيم الفزارى المنجم صاحب القصيدة في النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك ، وعلى بن عيسى الأسطرلابى المنجم . وهو أول خليفة

إذاً ولد الجاحظ والمصران - البصرة والكوفة - يَمُتَانِ بعمرانها ،
ويزخرآن بوسائل الحياة فيها ، ويتنافسان في صنوف العلوم وضروب
العرفان ، ويتباريان في ميادين الفنون وحلقات الآداب ، ويدلان على سائر
الأمصار الاسلامية بما خرجت حلقاتها من رجال كانوا عدة اللغة العربية ،
وأُسناد آدابها ، وينابيع علومها ، ومفاخر فنونها ، وشموس معارفها . أما
بغداد فقد كانت إذ ذاك لا تزال في مهد الطفولة ، ولم يكن عمرانها قد استبحر
ولم يكن عرفانها متسع النطاق ممتد الرواق ، إلا أنها كانت بعناية مؤسسها
وأخلافه العطاء ، سريعة الخطى في ميدان التقدم ، ناهضة في معارج الشرف
حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من التفوق في الحضارة والعمران عالم يجارها
فيه أية مدينة أخرى في العالم القديم

وكانت نشأة الجاحظ بالبصرة ، وظل بها عاكفاً على التعلم والدرس
والإطلاع . كما كان مقصود الجانب للاستفادة من مناظراته ، والتفقه بمحاضراته

ترجمت له الكتب من اللغات الأجنبية إلى العربية ، منها كتاب كيلة ودمته
وكتاب السند هند ، وترجمت له كتب أرسطاطاليس من المنطقيات وغيرها
وترجم له كتاب المجسطى لبطليموس وكتاب الأثرماتيقي وكتاب أقليدس
وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية
وخرجت إلى الناس فظروا فيها وتعلقوا بها . وفي أيامه وضع محمد بن اسحق
كتاب المغازي والسير وأخبار المبتدا ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة
ولا مصنفه ، وكان أول خليفة استعمل مواله وغلبانه وصرفهم في مهماته
وقدمهم على العرب فاتخذ ذلك الخلفاء من بعده من رلده فسقطت وبادت
العرب وزال بأسها وذهبت مراتبها ، وأفضت الخلافة إليه وقد نظرت في العلوم
وقرأ المذاهب وارتاض في الآراء ووقف على التحل وكتب الحديث
فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم . توفي سنة ١٥٣ هـ

وكان كثيراً ما يترك البصرة قاصداً غيرها من المدن الاسلامية المعروفة في ذلك العهد للبحث والاستقراء ولقاء العلماء ثم يعود إليها مفعم الوطاب بصنوف العلوم وضروب الآداب . ولما جاوز الحسين من عمره عنت له الرحلة إلى بغداد واتخاذها دار إقامة له ، وذلك في عهد المأمون ^(١) الذي طار بها إلى أوج الرقي والعلاء . وكان دخوله إلى بغداد في سنة ٢٠٤ ، وفي الوقت الذي قدم إليها المأمون فيه . وما هو أن استقر به المقام فيها حتى تصدر للتعليم والمناظرة والتأديب والمحاضرة ، فقصده إليه العلماء ، وأمه الأدباء ، وأقبل عليه الطلاب من كل صنف ومن كل جنس ، وعلى اختلاف الملل وتباين النحل . وكان

(١) هو عبد الله المأمون بن هرون الرشيد . كان من العلم والفضل في المقام الأسنى ، بويغ له بالخلافة بعد موت أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ قال العبدى: ثم أفضى الأمر إلى المأمون فكان في بدء أمره — لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره — يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها ، وينقاد إلى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كأزدشير بن بابك ، واجتهد في قراءة الكتب القديمة وأمعن في درسها وواظب على قراءتها ، فافتن في فهمها وبلغ درايتها ، فلما كان من الفضل بن سهل ذى الرياستين ما اشتهر ، وقدم العراق فانصرف عن ذلك كله وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد (يعنى مذهب الاعتزال) وجالس المتكلمين وقرب إليه كثيراً من الجدلين والنظارين كمأبى الهذيل وأبى اسحق ابراهيم بن سيار النظام وغيرهما ممن وافقهما وخالفهما . وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء ، وأقدمهم من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق فرغب الناس في صنعة النظر وتعلوا البحث والجدل ووضع كل فريق منهم كتباً ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله . وكان أكثر الناس عفواً وأشدهم احتيالاً وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال الرغيب وأبذلهم للعطايا وأبعدهم من التسفه ، واتبعه وزراؤه

يقول : كان الفراء ^(١) يجيئني ويشتهي أن يتعلم شيئاً من علم الكلام فلم يكن له فيه طبع . أى أن الفراء لم يكن لديه استعداد لتفهم علم الكلام وكان الظن أن الجاحظ لم يعن بعلم الحديث ، ولم يشغل نفسه بروايته وسنده ، ولكن الواقع أن الحديث كان من العلوم التي اضطلع بشأنها ، وتصدر لأقربائها ، والظاهر أن ذلك قد كان وهو بالبصرة وقبل مغادرتها إلى بغداد ، فقد ذكر الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » أن ممن أسند عنه الحديث أبا بكر بن أبي داود ^(٢) . قال ابن أبي داود : كنت بالبصرة فأبيت منزل الجاحظ فاستأذنت عليه فاطلع على من خوخة فقال : من هذا ؟ فقلت : رجل من أصحاب الحديث ! فقال : ومتى عهدتني أقول بالحشوية ؟ فقلت : إني ابن أبي داود . فقال : مرحباً بك وبأبيك . ونزل يفتح لى وقال : أدخل ، إيش تريد ؟ فقلت : حدثني بحديث ؟ فقال : أكتب . . . عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى على طِنْفَسَةٍ . وروى الخطيب عن عبد الله بن سليمان بن الأشعث ^(٣) قال : دخلت على الجاحظ فقلت له :

وأصحابه في فعله وسلوكوا سبيله وذهبوا مذهبه . وكان مع هذا كثير الغزو والفتوح . توفي سنة ٢١٨ هـ

(١) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي النحوي الكوفي الشهير بالفراء وهو أحد أئمة العربية الذين يحتج برواياتهم . وكان ديناً ورعاً يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال . توفي بطريق مكة سنة ٢٠٧ هـ عن ٦٧ سنة

(٢) هو الامام الحافظ الكبير أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني كان عالماً محدثاً من أكابر العلماء وأهل الحديث سمع ببغداد وخراسان وأصبهان وسجستان وشيراز ، وله عدة مؤلفات في الفقه والشرعة ونظم القرآن وغير ذلك في العلوم والآداب . توفي سنة ٣١٦ هـ

حدثني ؟ فقال : أكتب . . . عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة

فأنت ترى أن الجاحظ لم يطعن على أهل الحديث ويصفهم بالحسوية إلا عن خبرة صحيحة ومعرفة تامة بحقيقة شأنهم -- إلا من عصم الله منهم --

وقد كان في غمار رجالهم . وليس معنى هذا أنه كان يصف كل محدث بالحشو ولكنه إنما كان يعنى بذلك من كان لا يفرق منهم بين الفث والسمين من صحاح الأحاديث ومعتلها ، وإلا فهذه كتبه حافلة بالكثير من الأحاديث المسندة إلى الرسول صلوات الله عليه



الفصل الثالث

في

اساليب التعليم في ذلك العهد ، وكيف تعلم الجاحظ

وقبل أن نعرض عليك كيف تعلم الجاحظ ، نأخذ بيدك وقف بك على نظم التعليم في تلك العصور وإبان ظهور الجاحظ . فقد رأينا بعد التحرى والتفقد والبحث والاستقراء أن التعليم العام كان متشابه الأعراف ، مماثل الأطراف . فقد كان الرجل يبعث بولده إلى كتاب الحى فيتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة ، ويشدو شيئاً من قواعد النحو والصرف ، ويتناول طرفاً من أصول الحساب ، ثم يستظهر كتاب الله الكريم استظهاراً تاماً مجوداً مرتلاً ؛ وهو في خلال ذلك يتردد مع أترابه على القاص فيسمع منه أحداث الفتوح ، وأنباء المعارك ، وأخبار الأبطال ، ومقاتل الفرسان ، ومفاخرات الشجعان ، وسير الغزاة والفاتحين ، ممزوجة ذلك بالمواعظ والعبر وإيراد أحوال الصالحين وأطوار الزهاد والنساک والمتقين . وبعد أن يأخذ من كل طرف من هذه المعلومات نصيبه الكافى يولى وجهه شطر حلقات الدرس بالمساجد العامة ، والمعاهد الجامعة ، والمدارس الخاصة . فيقوم من حلقة الفقيه إلى حلقة المحدث ، ومن مجلس اللغوى إلى سارية النسابة ، ومن حضرة الإخبارى إلى دائرة المتكلم ، ومن معهد المنطقى إلى مجمع الفلسفى ، ومن محفل الأديب إلى قاعة المهندس ، يومن بين يدى المفسر إلى حظيرة الأصولى ، ومن غرفة الراوية إلى بيت

الشاعر ، ومن ديوان الكتّاب إلى صاحب النجوم ، ومن الأسطرلاب إلى الجغرافى ، ومن مشهد الموسيقى إلى مقعد المغنى ، ومن عند الزمار إلى دكانة الوتار . الصبيان والبنات فى ذلك سواء ، وإن كانت الغالبية فى الصبيان دون أخواتهم . حتى السجون ، فقد كان لأهلها حظ من التعليم وكان لهم معلمون يدخلون إليهم فى أوقات معينة

وما دام الطالب فى طريق الطلب فقلما يُعنى له بتوجيه أو يعبأ له باعتراض مهما كان خطره فى أى درس من هذه الدروس ، أو تقيد له ملاحظة أى علا شأنها فى أحد هاتيك المجالس . إلا من طريق التندر والتفكه ، وإن سلم من التفرع فقلما يسلم من التهكم والتجبية . وهو كما استحکم له علم أو استوى له فن نال إجازته من شيخه ، ومتى حصل على إجازة حق له التصدر لإقراء علمها على من هم دونه من الطلاب . وكان كثير منهم لا يكتفى بما نال من الإجازات . وما حصل من الشهادات ، بل كانت تتجه به همته نحو الرحلة إلى الآفاق ولقاء الشيوخ والتعرف إلى العلماء وعقد مجالس المناظرة والمجادلة معهم ، وتبادل الإجازات فيما بينهم يشهد كل من المتناظرين فيها لقرنه بما أحكم من أبواب المعارف وفنون الآداب التى وقع النقاش فيها

على هذا النظام ، أو ما يشبهه ، تلقى الجاحظ علومه ومعارفه عن شيوخ المصربين وعن أكابر علمائهما وصفوة أهل الفضل من رجالتهما . ومن أخذ عنهم علومه وتلقى معارفه : أبو عبيدة معمر بن المثنى ، والأصمعى^(١)

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى الامام اللغوى الثقة الأديب المتفنن البليغ . قال الشافعى : ما عبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعى . قال أبو العيناء : توفى الأصمعى بالبصرة وأنا حاضر فى سنة ٢١٣ هـ . وقد بلغ ثمان وثمانين سنة

وَأَبُو زَيْدٍ الْإِنصَارِيُّ^(١)، وَأَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ^(٢)، وَكَانَ صَدِيقَهُ .
وَتَخْرُجُ فِي عُلُومِ الْكَلَامِ وَمَذَاهِبِ الْإِعْتَزَالِ عَلَى أَبِي إِسْحَقٍ النَّظَّامِ^(٣) .
وَلَمْ يَكُنْ يَقْتَصِرُ عَلَى مَا يَلْتَقِي عَنْ شَيْوْخِهِ بَلْ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى مَرَبَدٍ الْبَصْرَةِ
فَيَلْتَقِي بِالْأَعْرَابِ الْوَارِدِينَ عَلَيْهِ وَيَتَلَقَّفُ الْفَصَاحَةَ مِنْهُمْ شَفَاهَا .

وَالْمَرَبَدُ هَذَا مَكَانٌ كَانَ بظَاهِرِ الْبَصْرَةِ تَقْدُّ إِلَيْهِ الْأَعْرَابُ مِنْ بَوَادِيهِمْ
بِالْقَفْرِ لِلاتِّجَارِ بِالْأَبْلِ وَالْمَاشِيَةِ وَتَبَادُلِ السِّلَعِ وَالْعُرُوضِ، كَمَا يَلْتَقِي فِيهِ الْخَطْبَاءُ
وَالشُّعْرَاءُ وَالرَّوَاةُ وَالنَّسَابُونَ وَالرَّجَازُونَ بِأَبْوَابِ الْبَلَاغَةِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْقَبَائِلِ وَمُتَبَاعِدِ
الْأَحْيَاءِ، فَيَعْرِضُونَ مَنَاجِدَ قُرَآنِهِمْ، وَثَمَرَاتِ فَهْمِهِمْ، مِنْ صُنُوفِ الْبَيَانِ
وَأَلْوَانِ التَّفَكِيرِ، عَلَى أَسْمَاعِ النِّقَادِ، وَجِهَابِذَةِ الْكَلَامِ، وَصِيَارِفَةِ الْأَلْفَافِ .
فَكَانَ هَذَا الْمَرَبَدُ فِي الْإِسْلَامِ أَشْبَهَ بِسُوقِ عَكَظٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَسْوَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ
وَحَدَّثَ الْجَاظُ عَنْ فَرِيقٍ كَبِيرٍ مِنَ الثَّقَاتِ وَعِمَدِ السُّنَنِ، نَحْصُ بِالذِّكْرِ
مِنْهُمْ الْقَاضِي أَبُو يُوسُفَ^(٤) صَاحِبَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَزَيْدُ بْنُ هَارُونَ^(٥)،

(١) هُوَ أَبُو زَيْدٍ سَعِيدُ بْنُ أَوْسٍ الْإِنصَارِيُّ الْإِمَامُ الْحُجَّةُ الثَّقَةُ فِيمَا
يُرَوَّى مِنَ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَالْإِخْبَارِ . وَالْأَشْعَارُ تَوَفَّى سَنَةَ ٢١٥ هـ
(٢) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودٍ الْإِخْنَشِيُّ الْمَجَاشِعِيُّ بِالْوَلَاءِ . مِنْ
أَكْبَرِ نَحْوَةِ الْبَصْرَةِ وَعِلْمَائِهَا وَكَانَ مَعْتَزِلِيًّا . قَالَ الْبَلْخِيُّ : أَصْلُهُ مِنْ خَوَارِزْمِ
مَاتَ سَنَةَ ٢٢١ هـ

(٣) هُوَ أَبُو إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيَّارِ بْنِ هَانِيٍّ النَّظَّامُ . أَحَدُ شَيْوْخِ الْمَعْتَزِلَةِ
وَأَوَّحَدِهِمْ فِي الْفُطْنَةِ وَالذِّكَاةِ . وَكَانَ مُتَكَلِّمًا شَاعِرًا أَدْبِيًّا بَلِغَ اللِّسَانِ حَادِ
الذِّهْنِ . وَلَدَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٨٥ هـ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٢١ هـ

(٤) هُوَ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِنصَارِيُّ كَانَ
فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ثُمَّ صَحَّبَ أَبَا حَنِيفَةَ وَهُوَ الَّذِي أَشْهَرَ مَذْهَبَهُ
وَقِيدَهُ وَحَرَّرَهُ . تَوَلَّى الْقَضَاةَ بِيغْدَادَ زَمَنًا وَمَاتَ سَنَةَ ١٨٢ هـ فِي خِلَافَةِ الرَّشِيدِ
(٥) هُوَ أَبُو خَالِدٍ يَزِيدُ بْنُ هَرُونَ مَوْلَى بَنِي سَالِمٍ . كَانَ فُقَيَّا مُحَدِّثًا تَوَفَّى
بِوَسْطِ سَنَةِ ٣٠٦ هـ

والسريّ بن عبدوّه ، والحجّاج بن مُحمد بن حماد بن سلمة وغيرهم
وعن الجاحظ أخذ خلق كثير نذكر منهم المبرّد^(١) ويموت بن
الزّرع ، وأبا بكر بن أبي داود السجستاني المحدث ، ومحمد بن عبد الله بن أبي
الدهاب ، وغيرهم ممن يكاد يخطّهم الحصر

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالي الازدي البصري
المعروف بالمبرّد . كان من أئمة اللغة والادب فصيحاً بليغاً ثقة صاحب أخبار
ونوادر وطرائف صنف كتباً في الادب كثيرة ولعل أفضلها كتابه الكامل ،
وهو من أمهات كتب الادب التي عليها المعول . وقد شرح هذا الكتاب النفيس
معاصرنا الفاضل المرحوم الشيخ سيد بن علي المرصفي أحد علماء الازهر شرحاً
جيداً ، وقد أبدى فيه كثيراً من النقود والملاحظات والفوائد دلت على ذوق
حسن واطلاع واسع وطبعه في عدة أجزاء ودعاه « رغبة الآمل من كتاب
الكامل » وكان مولد المبرّد سنة ٢١٠ هـ ووفاته سنة ٢٨٥ هـ

الفصل الرابع

في

موارد رزقه وبسطة جاهه

يظهر من حال أبي عثمان أنه كان في أول أمره في ضيق من الرزق وخصاصة من العيش . فقد رُوي أنه وهو في دور الطلب كان يعاني الاتجار في الخبز والسمك بِسَيِّحَانَ^(١) . وسواء صح هذا الخبر أم لم يصح ، فهو دليل على أنه نشأ معنيا بأمر نفسه . وليس في هذا شيء من الغضاضة عليه . فلما عرف فضله ، وانتشرت مصنفاته ، وذاع ذكره في الآفاق أقبلت عليه الدنيا ، واتسعت موارد رزقه ، وعلا حظه ، ونبل جده ، وطاب عيشه ، ودرت عليه أخلاف النعم ، ودرج في محبوبحة من اليسر والرخاء . ومن هذا الذي نوره عليك تعرف طرفا من موارد رزقه . فقد كان الفتح بن خاقان^(٢) .

(١) سيحان هذا نهر بالبصرة أصلحه البرامكة وأطلقوا عليه هذا الاسم
(٢) هو الفتح بن خاقان ، تركي الأصل من أبناء الملوك . مولى المتوكل ووزيره وموضع نجواه ، بل اتخذته المتوكل أخاه وقدمه على أهله ، وكان خاصا به حظيا عنده وكانت منزلته من الخليفة فوق كل منزلة . كان كاتباً بليغاً وشاعراً فصيحاً وخطيباً مفوهاً . وكان له غرام بالكتب . ولاء المتوكل على الشام وأمره أن يستنيب عنه وكان موصوفاً بالشجاعة والرئاسة والكرم والسؤدد ، وله في الجود والوفاء والظرف أخبار حسان . وكان حاد الذكاء قوى الفطنة حاضر البديهة . قيل : دخل الخليفة المعتصم يوماً على خاقان . يعودته فرأى الفتح ابنه صغيراً لم يثغر فآزحه وقال : أيما أحسن دار الخليفة

وزير الخليفة المتوكل على الله العباسي ^(١) وصاحب تدبيره ، يعرف للجاحظ حقه ومنزلته ويقدر مكانته وينزله في الكرامة بالمقام اللائق به .

كتب هذا الوزير من دار الخلافة ببغداد إلى الجاحظ يقول :

« إن أمير المؤمنين يحدُّ بك . ويهش عند ذكرك . ولولا عظمتك

أم داركم ؟ فقال الفتح : دارنا أحسن إذا كان أمير المؤمنين فيها . فقال المعتصم : والله لا أبرح حتى أثر عليه مائة ألف درهم . وكان له خزانة كتب جمعها له على بن يحيى المنجم لم ير أعظم منها كثرة وحسناً . وكان يحضر داره فضحاء العرب وعلما البصرة والكوفة وزعم بعضهم أنه مع ما كان له من هذه المكانة والمزلة لم يكن يرجي فضله ولا يخاف شره . ومن شعره قوله :

لست مني ولست منك فدعني وامض عني مصاحباً بسلام
وإذا ما شكوت ما بي قالت قد رأينا خلاف ذا في المنام
لم تجد علة تجني بها الذنب فصارت تعتل بالأحلام
وقوله :

وإني وإياها لكالخمر والفتى متى استطع منها الزيادة يزد
إذا ازددت منها ازددت وجدا بقربها فكيف احتراسى من هوى يتجدد
وقوله :

أيها العاشق المعضب صبراً نخطايا أخى الهوى مغفورة
زفرة في الهوى أحط للذنب من غزاة وحجة مبرورة
وله من المصنفات كتاب « البستان » وكتاب « الصيد والجوارح » .

قتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ

(١) هو الخليفة جعفر بن المعتصم بن هرون الرشيد . المتوكل على الله العباسي . بويج له بالخلافة يوم توفي الواثق سنة ٢٣٢ وأمه أمة يقال لها شجاع . وكان صاحب لهو وشراب وهو أول من جرواً الاتراك على قتله بتحريض ولده . المنتصر ، وكان ذلك أول ما أدخل الوهن على الخلافة العباسية . قتله باغرى التركى سنة ٢٤٧ هـ

فى نفسه لعلك ومعرفتك ، لخال بينك وبين بعدك عن مجلسه ، ولغصبك
رأبك وتدبيرك فيما أنت مشغول به ، ومتوفر عليه . ولقد كان ألقى إلى من
هذا عنوانه ، فزدتك فى نفسه زيادة كف بها عن تحميمك . فاعرف لى
هذه الحال ، واعتقد هذه المنية على كتاب « الرد على النصارى » وافرغ
منه ، وعجل به إلى ، وكن ممن جدا به على نفسه ، وتنال مشاهرتك . قد
استطلقت له لما مضى واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبله ، وهذا ما لم تحم به نفسك .
وقد قرأت رسالتك فى « بصيرة غنام » ولولا أنى أزيد فى مخيلتك لمعرفة
ما يعترينى عند قراءتها والسلام »

فأنت ترى من فحوى هذا الخطاب أن الجاحظ كانت له وظائف
مالية يتقاضاها من دار الخلافة شهريا ، وذلك فضلا عن المنح والعطايا
والإدارات التى كانت تنهال عليه منها للمناسبات . وما كان يقترب به
إليه وزراء الدولة وأصحاب السلطان فيها كالبرامكة ^(١) والطاهرية ^(٢)
والفتح ابن خاقان وإبراهيم ابن العباس الصولى ^(٣) ومحمد بن عبد الملك

(١) البرامكة هم أبناء خالد بن برمك . وهم سلالة بعض عظماء « الفرس » .
وكان يضرب بهم المثل فى الفضل والجلود والسخاء والكرم والشهامة ومحاسن
الشيم وقد أبادهم الرشيد فى خبر طويل . وأمرهم معروف
(٢) الطاهرية فى أبناء طاهر بن الحسين القائد الشير الذى وطد دعائم
دولة المأمون وأزال دولة الامين . هم قادة سراة نبلاء أجواد تولى منهم مصر
عبد الله بن طاهر . وخبرهم مشهور

(٣) هو أبو اسحق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين الصولى
أصل جده صول تركى تمجس واتخذ شعار الفرس وكان ملكا على جرجان
وأسلم على يد زيد بن المهلب وقاتل بين يديه حتى قتل معه يوم العقر . وكان
إبراهيم كاتباً بليغا وشاعرا مجيدا . قال المسعودى لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من

الزيات^(١) وأحمد بن أبي دؤاد^(٢) وأمثالهم من ذوى الكلمة المسموعة والإرادة المطاعة. سأل ميمون بن هرون^(٣) الجاحظ - ورأى ما هوفيه من النعمة السابغة والجاه العريض - : ألك ضيعة بالبصرة؟ فتبسم الجاحظ وقال: إنما أنا، وجارية لى، وجارية تخدمها، وخادم وحمار؛ أهديت كتاب « الحيوان » إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب « البيان والتبيين » إلى أحمد بن أبي دؤاد فأعطاني خمسة

الكتاب أشعر منه. وقال دعل بن على الخزاعي الشاعر: لو تكسب ابراهيم ابن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء. تقلب في أعمال السلطان وتنقل في الدواوين وتوفى وهو على ديوان الضياع والنفقات سنة ٢٤٣ هـ بسر من رأى (١) هو محمد بن عبد الملك الزيات الوزير الكاتب البليغ. تولى الوزارة للمعتصم والواثق، فلما ولي الخلافة المتوكل كان واجدا عليه فقتله، على ما قيل، في تنوره الشهير. وكان الجاحظ يميل اليه ويؤثره بوده وإخلاصه. توفي سنة ٢٣٣ هـ

(٢) هو القاضي السرى العظيم أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد الأيادى صاحب السطوة والجاه والنفوذ في دولة المعتصم والواثق. كان بعيد الهممة واسع المروءة مهيب الجانب مقيل العثرات. وكان الخليفة المعتصم لا يرد له طلبا كائنا ما كان. ولم يكن يطلب شيئا قط لنفسه وإنما كانت همته مصروقة إلى قضاء مصالح الناس والسعى في خيرهم والعمل على انقاذهم من ورطات الحياة والترقية عنهم وحفظ ماء وجوههم وحقن دماهم، وله في أعمال البر وإسداء المعروف أياد لم يلحق شأوه فيها غيره. وله في ذلك حوادث وأخبار هى منتهى عجب العاجب. وكان المعتصم يقول فيه: هذا والله الذى يترين بمنثله، ويبتهج بقربه، ويعد به ألوف من جنسه. توفي بالفالج سنة ٢٤٠ هـ

(٣) هو ميمون بن هرون: الكاتب الاخبارى الراوية

آلاف دينار ، وأهديت كتاب « الزرع والنخل » إلى إبراهيم بن العباس .
الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار . فأنصرفت إلى البصرة ومعى ضيعة
لاحتياج إلى تجديد ولا تسميد !

وإذا كانت هذه هي حال الجاحظ وهذا مبلغ حظه من أبناء زمنه ، فلا
عجب إذا تمكن من أن يملأ طباق الأرض علما ، وأن يعلو على أمثاله .
فضلا وفهما ، وأن يقدم للغة العربية هذه المصنفات التي وضعها في كل ضرب .
من ضروب العلوم وفن من فنون الآداب ، على كثرتها وجليل شأنها ،
فإن العطايا واللهي تفتح الله ! على شريطة الاستعداد الفطري والكفاية .
الظاهرة

ودخل عليه بعض إخوانه فقال له : كيف حالك يا أبا عثمان ؟ فقال .
الجاحظ : سألتني عن الجملة فاسمعها مني واحداً واحداً : جالى أن الوزير
يتكلم برأى وينفذ أمرى ، ويواتر الخليفة الصّلات إلىّ ، وآكل من لحم
الطير أسمها ، وألبس من الثياب ألينها ، وأجلس على ألين الطبرى ،
وأترك على هذا الريش ، ثم أسير على هذا حتى يأتى الله بالفرج ؟ فقال .
الرجل : الفرج ما أنت فيه ! فقال : بل أحب أن تكون الخلافة لى ، ويعمل .
محمد بن عبد الملك بأمرى ويختلف إلى ، فهذا هو الفرج !

بهذه العبارة قد وصف الجاحظ حاله وبسطة جاهه . وما ذكره للخلافة .
إلا أمنية من أمانى النفس التي لاحد لها في مطامعها . ولعله وهو يقول هذا
قد أبدى لسانه إشارة أخرج بها الكلمة مخرج المزاح ، وإلا فتل هذه .
العبارة متى خرجت مخرج الجد كانت غير مأمونة العاقبة . والجاحظ أعقل .
من أن يعرض نفسه للمعاطب ، وهو يعلم أن الملك عقيم

انضال النحس

في

رأسته لديوان الرسائل

كان ديوان الرسائل في الممالك الإسلامية من أهم ما يدور عليه محور السياسة العامة للدولة. وكان لا يعهد فيه إلا لدوى الشرف والنباهة من الثقات الكفاة ، وكان لا يليه إلا الحذاق الضاربون بالسهم الوافرة في مختلف العلوم والآداب ، وإلا أصحاب السياسة والتدبير ، والكياسة والتقدير ، على أن يكون القائم بأعبائه متفوقا في صنوف البلاغات وضروب الإبانات . وقد كان ابراهيم بن العباس الصولى ممن ينوبون فيه حتى أوائل عهد المأمون ، وكان الجاحظ يخلفه فيه إذا تغيب في شأن من الشؤون الخاصة أو العامة . ثم أصدر المأمون أمره بإسناده إلى الجاحظ . فصعد بالأمر على كره منه . ويظهر أن توليه هذا الديوان واقتعاده هذا المنصب الخطير ، أثار عليه حفاظ الكتاب ، فأخذوا في دس الدسائس ضده وبث الوشاية به . ولهذا يادر الجاحظ بعد ثلاثة أيام من توليه إلى الاستعفاء معتذرا للخليفة بما فتح الله عليه من الأعذار ، فأعفاه . وكان سهل ابن هرون^(١) يقول : إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتاب ...

(١) هو أبو عمرو سهل بن هارون بن راهبون . أصله من دستميسان من بلاد فارس . انتقل إلى البصرة ولقى علماءها وأفاد منهم علما وأدبا ، ثم اتصل بالمأمون فخطى عنده وتولى له « خزنة الحكمة » وهي دار الكتب . وكان كاتباً بليغاً جمع بين الحكمة والآدب . وله شعر جيد . وكان شعوبى المذهب شديد العصية على العرب ، وكان نهاية في البخل ، وله فيه حكايات ونوادير

فهل كان الجاحظ من أحرار الكتاب الذين وقفوا أقلامهم على وحى

قال دعل بن علي الخزاعي : كنا عنده يوما فأطلنا القعود حتى كاد يموت
جوعا ثم قال لغلامه : ويحك غدنا ! فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ فتأملها
ثم قال : أين الرأس ؟ قال : رमित به . فقال : والله إنى لأمقت من يرى برجليه
فكيف برأسه ؟ ولولم أكره ما صنعت إلا للطيرة والفأل لكرهته ، أما
علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصدح الديك ولولا صوته ما أريد
وفيه الفرق الذى يتبرك به ، وعينه التى يضرب بها المثل فى الصفاء فيقال :
شراب كعين الديك ، ودماغه عجيب لوجع الكلية . ولم نر عظما أهش تحت
الأسنان منه ؟ وهل ظننت أنى لا آكله ؟ إن العيال يأكلونه ! وإن كان قد
بلغ من نبلك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله ، أو ما علمت أنه خير من
طرف الجناح ومن رأس العنق ؟ أنظر أين هو ؟ فقال : والله يا سيدى
ما أدرى أين هو ولا أين رमित به ؟ فقال : أنا أدرى أين رमित به ! رमित
به فى بطنك فأتلك الله . وكتب رسالة فى البخل وبالغ فى مدحه وبعث بها إلى
الحسن بن سهل وزير المأمون واستاحه عليها فوقع الحسن على ظهرها بقوله :
وصلت رسالتك ، ووقفنا على نصيحتك . وقد مدحت ما ذم الله وحسنت
ما قبح ، وما يقوم فساد معنك بصلاح لفظك ، وقد جعلنا ثوابك عليها قبول
قولك والتصديق لك ، فما نعطيك عليها شيئا والسلام . ومن شعره قوله :

تقاسمى همان قد كسفا بالى وقد تركا قلبي محلة بلبال
هما أذريا دمعى ولم تذر عبرتى ريبة خدر ذات قرط وخلخال
ولا قهوة لم يبق منها على المدى سوى أن تحاكي النور فى رأس ذبال
ولكننى أبكى بعين سخينة على حدث تبكى له عين أمثال
فراق خليل مثله يبعث الأسي وخلة خل لا يقوم لها مالى
فوا أسفا حتى متى القاب مومج بفقد خليل أو تعذر إفضال
فما العيش إلى أن تجود بنائل وإلا لقاء الاخ ذالخلق العالى
وله كتب كثيرة وفوائد جمة تدل على فضل كثير وحكمة بالغة . مات
فى عهد المأمون

إرادتهم ، فلا يرون الوقوع تحت نير الأعمال السلطانية ، ولا يحبون أن يجعلوا أقاليمهم وفق إرادات ذوى السلطان من الخلفاء والملوك والوزراء وأرباب الدولة ؟ أم كان من الذين يرون فى هذه الوظائف وسائل الرفعة الواسعة والجاه العريض ؟ الظاهر أن ميله إلى التحرر من ربة النظم الديوانية كان أغلب عليه من الوقوع تحت طوائنها . وفى الحقيقة أن الجاحظ كان طلق عنان العقل حاد شبا القلم . وكان أشبه الناس بكتاب الصحف لهذا العهد ، ومن أعلى طبقة فى هذا النوع . وقد بلغ به الأمر فى تحقير الوظائف والموظفين أن دخل يوما ديوان المكاتبات فرأى قوما قد صقلوا ثيابهم ، وصفقوا عمامهم ، وَوَشَّوْا طُرُزَهُمْ ، فقال : هؤلاء كما قال الله تعالى : « فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً » ظواهر نظيفة ، وبواطن سخيفة « فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ »

على أن الجاحظ لم يترك قولة سهل بن هرون تمر بلا جزاء ، ولم يتسامح معه فيها . ولعل لسهل يدا فى استئثار حميته وخروجه من الديوان . فقد جعل الجاحظ من سهل بن هرون المثل المضروب فى البخل والبخلاء ، لأن سهلا وضع رسالة بليغة فى مدح البخل وذم الكرم جعلت اسمه شنعة فى سائر الأجيال . وما مدح البخل إلا لثيم ، ولا ذم الكرم إلا زنيم . ومن أطرف ما حصل من الجاحظ وهو يتولى ديوان الرسائل نيابة عن الصولى أن أبا العيناء^(١)

(١) هو أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر اليمامى مولى المنصور عرف بأبى العيناء . لكبر حدقيه مع حول وضعف بصر . كان شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا . حاضر الجواب قوى البديهة ، فصيح اللسان ، مخشى الجانب لفضل لسانه . ولما بلغ الأربعين لف بصره . ورى عنه أنه قال : أنا والجاحظ وضعنا حديث فذك وأدخلناه على الشيوخ يبعداد فقبلوه إلا ابن شبة

جاءه فى أمر فلما أراد الانصراف أسر الجاحظ إلى حاجبه أنه إذا وصل إلى
 الدهليز لا يدعه يخرج ولا يمكنه من الرجوع إليه . فلما خرج أبو العيناء من
 بين يديه وصار فى الدهليز حجزه الحاجب وضيق عليه . فنادى بأعلى صوته :
 يا أبا عثمان ، قدر يتنا قدرتك ، فأرنا عفوك؟

ولم يكن ذلك من الجاحظ إلا دعاية ، مع صديقه أبى العيناء صاحب
 النوادر والملح والفكاهات

العلوى فانه قال : لا يشبه آخر هذا الحديث أوله . وله نوادر وأخبار و طرائف
 غاية فى الابداع والطيب . ولد بالاهواز سنة ١٩١ هـ وتوفى سنة ٢٨٢ هـ



لفصل السائر

في

معارفه واحاطته

أتقن الجاحظ علوماً كثيرة ، وتعرف ألواناً من المعارف شتى ، وقرأ كتب الأوائل من فلاسفة اليونان ، وحكماء الهند ، وعلماء الفرس ، وأدباء الرومان ، ونظر في ثمرات قرائحهم ومنتجات أذهانهم ، حتى لم ينقل كتاب إلى اللغة العربية في أى علم وفي أى فن إلا قرأه واستظهره وتمثله . قال أبو هفان^(١) : لم أرقط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان ، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين (باعة الكتب) يبيت فيها للنظر وكان كثير الحفظ واسع الرواية قوى الحجة ناصع البرهان . وأقرب ما يوصف به أنه كان دائرة معارف أحاطت بمعلومات أهل دهره .

ويؤخذ من مجمل حاله أنه كان يجيد اللغة الفارسية . فإن متصفح رسالته « التربيع والتدوير » وكتاب « الحيوان » و « البيان والتبيين » وغيرها من مصنفاته لا يسهه إلا الخروج منها ممتلىء النفس بإحسان الجاحظ لهذه اللغة . أجل ليس هناك نص صريح يملأ يد الباحث في هذا الشأن .

(١) هو عبد الله بن أحمد بن حرب أبو هفان المهزى البصرى . كان نحويًا أديبًا راوية صاحب أخبار . وكان ضيق الحال مقترأ عليه في الرزق كثير التبرم بالعيش

ولكن هناك من العبارات والألفاظ ما يدفع إلى استنباط هذا الرأى .
ومن أقرب الشواهد على ذلك قول الجاحظ :

« واللغتان إذا التقتا فى اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتهما إلا ما ذكروا من لسان موسى بن سيار الأسوارى ، وكان من أعاجيب الدنيا . كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرهما للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية . فلا يدري بأى لسان هو أبين »

هذا شاهد غير أنه على ما أرى ليس بكاف ، لأن قوله « إلا ما ذكروا » جعله رواية منقولة عن قائلين ، وأنه لم يشهد مجالس الاسوارى ، ولكنه حدث بها فتحدث عنها . وليس معنى تعلمه للغة الفرس هو الذى جعله أديباً مستكمل الآلة كما يريد أن يذهب اليه بعض معاصرينا ممن يبغضون اللغة العربية لجهلهم بها . فاللغة العربية وحدها كافية لتخريج أديب تام الآلة مستكمل الأدوات كالجاحظ وأضرابه

على أننى مهما تغزر النص على معرفة الجاحظ للغة الفرس ، ما أزال أحس وأشعر بأنه كان يعرفها . إذاً : فسألة عرفان الجاحظ باللغة الفارسية تستنبط بالقوة من خلال السطور فى كتبه ، ولا تؤخذ بالنص ومما يدل على سعة معارفة وإحاطته ما قاله أبو بكر أحمد بن على ^(١) فيما روى عنه أنه قال :

(١) هو أبو بكر أحمد بن على بن أمجور بن الاخشيد . كان والده أحد كبار القواد من الفراغة ولى الثغور للمعتضد والمكتفى . قال ابن حزم : وكان أبو بكر هذا أحد رؤساء المعزلة الثلاثة الذين انتهت إليهم الرئاسة —

كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام . وكان واسع العلم بالكلام ، كثير التبخر فيه ، شديد الصبب لحدوده ، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا ، وله كتب كثيرة مشهورة جليلة في نصره الدين ، وفي حكاية المخالفين ، و [في] الآداب والأخلاق ، وفي ضروب من الجد والهزل . وقد تداولها الناس وقرأوها وعرفوا فضلها . وإذا تدبر العاقل المميز أمر كتبه علم أنه ليس في تلقيح العقول ، وشحن الأذهان ، ومعرفة أصول الكلام وجواهره ، وإيصال خلاف الإسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلوب . كتب تشبهها . والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الأمور

أظن أنه ليس بعد هذا في هذا الباب كلام

وافترقت المعتزلة على مذاهبهم ، والثاني أبو هاشم الجبائي ، والثالث عبد الله ابن محمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي وقال ابن النديم : ابن الاخشاد من أفاضل المعتزلة وصلحائهم وزهادهم ، وكانت له ضيعة منها مادته وكان ينفق أكثر ما يحمل إليه منها إلى العلم وأهله . وكان فصيحاً بيناً طلق اللسان قياً بالعربية والفقه وسائر العلوم . وله عدة كتب ، توفي سنة ٣٢٦ هـ

لفصل السَّابِع

في

وضعه الكتب على السنة المتقدمين

ووضع غيره الكتب باسمه

لم يكن الجاحظ في طالعة أمره ومستهل نشأته سعيد الجد ، ولا نبيل الحظ ، بل قد أصابه من الخول ، وعدم التقدير ما يصيب أكثر المشتغلين بصناعة القلم في كل عصر ، وفي كل مصر ؛ حتى يومنا هذا . ويظهر أن تقديس آثار الماضين ، واعتبار أعمال الغابرين ، فكرة عريقة في القدم لها في النفوس سلطان ، وفي الصدور تمكين وإمكان ، ولها في الخيلة منزلة قد لا تزاحمها عليها منزلة أخرى . فقد روى المسعودي ^(١) في كتابه « التنبيه والإشراف » أن الجاحظ على جلالة قدره كان يقول :

كنت أولف الكتاب الكثير المعاني ، الحسن النظم ، وأنسبه إلى نفسي فلا أرى الانسماح تُصنّف إليّه ، ولا الإِرادات تتيّم نحوه ، ثم أولف

(١) هو أبو الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي المؤرخ المشهور ينتهي نسبه إلى عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل . وكان من أفاضل المؤرخين علامة إخباريا ذا نوادر وملح وغرائب وتحف ، وكتابه مروج الذهب من أجل كتب التاريخ وأمتعها . وله غيره كتب كثيرة ، ومنها كتاب التنبيه والإشراف . وهو بغدادى الأصل رحل إلى الآفاق ثم أقام بمصر مدة . ومات سنة ٣٤٦ هـ .

ما هو أخص منه رتبة ، وأقل فائدة ، وأجمله عبد الله بن المقفع ^(١) ، أو سهل ابن هرون ، أو غيرها من المتقدمين ممن صارت أسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها ، ويسارعون إلى نسخها ، لا شيء إلا لنسبتها للمتقدمين ، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو في عصرهم ومنافسته على المناقب التي عني بتشيدها

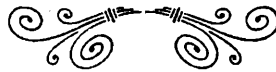
وهذا قول صريح في أن الجاحظ ألف كتباً ونسبها إلى طائفة من الكتاب والمصنفين ومن بينهم ابن المقفع وسهل بن هرون . ومن الغريب أن يمر على هذا الإعراف الصريح أحد عشر قرناً ولم يقم من كتاب العربية باحث واحد ينظر في كتب ابن المقفع ويضع مقارنة بين أسلوبها وأسلوب الجاحظ يبين بها ما قد يكون لغيره منها . ولعل المانع من ذلك قلة ما في اليد من آثار ابن

(١) هو عبد الله بن المقفع . قال الجاحظ : هو من المعلمين ثم من البلغاء والمتأدبين عبد الله بن المقفع ، ويكنى أبا عمرو ، وكان يتولى لال الأهم وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان جواداً فارساً جميلاً ، وكان إذا شاء أن يقول الشعر قاله ، وكان يتعاطى الكلام ولم يكن يحسن منه لاقليلاً ولا كثيراً ، وكان ضابطاً لحكايات المقالات ولا يعرف من أين غر المغتر ، ووثق الواثق ، وإذا أردت أن تعتبر ذلك إن كنت من خلص المتكلمين ومن النظارين ، فاعتبر ذلك بأن تنظر في آخر رسالته الهاشمية ، فانك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم ، ردىء المدخل في مواضع الطعن عليهم . وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك أنه لا يحمل عقله على شيء إلا بعد به فيه . وقال ابن النديم : اسمه بالفارسية روزبه . وكان يكنى قبل إسلامه أبا عمرو فلما أسلم اكتنى بأبي محمد . وكان يكتب أولاً لداود بن عمر بن هبيرة ثم كتب لعيسى بن علي . ولد سنة ١٠٦ هـ وقتل سنة ١٤٢ هـ

المقنع التي قد يكون ذهب بجمهورها عادى الدهر كما ذهب بأكثر كتب
الجاحظ وبجمله كتب سهل بن هرون

وكما حمل الجاحظ على غيره من الأدياء كتباً ليست لهم ، كذلك حمل
عليه الأدياء والمصنفون من بعده الشيء الكثير منها ، ولا يزال ينسب إليه
ما ليس له منها إلى الآن . فقد نسب إليه منها قديماً : كتاب « الأبل » وكتاب
« الهدايا » ذكر ذلك ياقوت في معجمه . كما نسب إليه كتاب « تبيه
الملوك والمكائد » أشار إلى ذلك أحمد زكى باشا .

ونسبوا إليه كتاب « المحاسن والاضداد » ونسب إليه أحمد زكى باشا
كتاب « التاج » كما نسب إليه الفاضل راغب الطباخ كتاباً اسمه « الدلائل
والاعتبار على الخلق والندير » وطبع هذا الكتاب أخيراً في حلب .
وليس في أسلوبه ما يدل على أنه للجاحظ أو من بابته



الفصل الثامن

في

مقامه في رأى خصومه

للاجاحظ، كماغيره من نوادر الرجال، خصوم ينقبون عن مثالبه ويذيعونها في الناس، كما له أنصار يعرفون مناقبه ويبشرون بها وينشرونها بين الملأ، وكلما انخصوم والأنصار لا يفكرون عن الهجوم والدفاع وعن المجادلة فيه والمجادة له. شأن كل عظيم له في الحياة العامة أثر ظاهر وعمل باهر، وقد رأينا أن نلم في هذا الفصل بما ثلبه به خصومه، وبما رماه به أعداؤه، أو وصفه به أنداده وقرناؤه، لنعرف وزن ما رموه به من المآخذ والمثالب، حتى يمكن زنتها بما عرف له من مناقب. وأول ما نبدأ به مطاعن ابن قتيبة^(١) فيه على ما جاء في كتابه «تأويل مختلف الحديث» قال :

ثم ندير الى الجاحظ، وهو آخر المتكلمين، والمعاير على المتقدمين، وأحسنهم للحجة استثارة، وأشدهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم، وتصغير العظيم

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى. كاتب اديب كثير التصانيف ذا معرفة باللغة والأخبار وأيام الناس. ولى قضاء الدينور قال عنه البيهقي إنه كان كرامياً. وقال الدارقطني إنه كان يميل إلى التشبيه. قلت هذا صحيح ترى هذا مائلا في كتابه تأويل مختلف الحديث. وقال الحاكم أجمعت الأئمة على أنه كذاب. وحسن الظن فيه بعضهم فتنى عنه ذلك. وله كتب جيدة في بابها نافعة في فنونها ولد سنة ٢١٣ هـ وتوفى بأ كلة هريسة حارة سنة ٢٧٦ هـ

حتى يصغر، و يبلغ به الاقتدار إلى أن يعمل الشيء و تقيضه، و محتج بفضل السودان على البيضان، و تجده محتج مرة للعثمانية على الرافضة، و مرة للزيدية على العثمانية و أهل السنة، و مرة بفضل علياً رضى الله عنه، و مرة يؤخره. و يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، و يتبعه قال الجواز^(١)، و قال اسماعيل بن غزوان،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو الجواز و هو ابن اخت سلم بن عمرو الشاعر المعروف بالخاسر. و لما كانت ترجمة الجواز غير معروفة فقد جهدت في جمعها و تأليفها من شتى الكتب، و لم أحصل منها على هذا القدر إلا بعد عناء كثير، و لهذا آثرت إثباتها هنا. زعموا أن أمه كانت نائحة، و كان هو شاعراً هجاء خبيث اللسان داهياً منكراً، و له نوادر و طرائف و ملح. و له حوادث و اهاج مع عبد الصمد بن المعذل و أبي العتاهية و الجاحظ و غيرهم من معاصريه. قال عبد الصمد بن المعذل: هجاني الجواز بيتين سخيخين فسارا في أفواه الناس حتى لم يبق خاص ولا عام إلا رواهما و هما قوله:

ابن المعذل من هو ومن أبوه المعذل
سألت وهبان عنه فقال بيض محول

و كان وهبان هذا رجل يبيع الحمام فجمع قوماً من أصحابه و جيرانه و جعل يغشى المجالس و يحلف للناس أنه ما قال إن عبد الصمد بيض محول، و يسألهم أن يعتذروا إليه. و كان هذا منه قد صار بالبصرة طرفة و نادرة. قال أبو شراعة: لجأني عبد الصمد يستغيث منه و يقول أنقذني من الجواز فقلت له: أمثلك يفرق من الجواز؟ فقال: نعم لأنه لا يبالي بالهجاء ولا يفرق منه ولا عرض له، و شعره ينفق على من لا يدري و آفتى منه عظيمة، و الله لدوران وهبان على الناس يحلف لهم أنه ما قال أنى بيض محول أشد على من هجأته! فأصلحت بينه و بين الجواز ثم أرسلت إلى وهبان فأحضرتة و قلت له: يا هذا قد علمنا أن الجواز قد كذب عليك و عذرناك فنجب أن لا نتكلف العذر إلى الناس في أمرنا فانا قد عذرناك. فأنصرف و قد لقي عبد الصمد منه بلاء. قال عبد الصمد: و قلت أنا في الجواز شعرا تركته يتحاجى فيه كل أحد.

كذا وكذا من الفواحش . ويحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن .

غير أن الناس لم ترووه لضعة الجواز ، وهو قولي :

نسب الجواز مقصود إليه . منتباه

يترا آى نسب الناس فما يخفى سواء

يتحاجى من أبو الجواز من هو كاتبا

ليس يدري من أبو الجواز إلا من رآه

قلت : وهذه الايات يرويهاموت بن المزرع للجاحظ في الجواز ، وهي
بعد الصمد أشبه وهوها أحق . وكتب الجواز إلى صديق له يستميحه ، فاعتذر
إليه ، فاجابه : « إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا ، وإن كنت ملوما فجعلك
الله معذورا » وكان أبو العتاهية ينشد قثم بن جعفر بن سليمان شعرا والجواز
حاضر فأنشأ الجواز يقول :

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزهيده صادقا أضحى وأمسى بيته المسجد

يخاف أن تنفذ أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد

والرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود

فالتفت أبو العتاهية وقال : من هذا ؟ قالوا : الجواز ، وهو ابن أخت سلم
الحاسر ، اقتصر لحاله منك . فأقبل عليه وقال : يا ابن أخي . إن لم أذهب حيث
ظننت ولا ظن خالك ولا أردت أن أهتف به ، وإنما خاطبته كما يخاطب الصديق
صديقه ، فانه يغفر لكما . وقد أراد أبو العتاهية بقوله أنه لم يرد أن يهتف
بخاله أن قوله في سلم الحاسر :

تعالى الله يا سلم ابن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

لم يكن من طريق التشيع عليه أو المواخذة له . وقال الجواز : شمت من
دار فلان رائحة قدر أطيب من رائحة العروس الحسناء في أنف العاشق الشبق .
وقال : ثلاث من الطيبات : الوطء في الحمام ، والبول في الطشت ، وصفع
الاصلع . وكان يتعشق جارية لآل جعفر يقال لها طغيان ، وكان لها خصي
يحفظها أنى سارت ، وكان الخصي أشد عشقا لها من الجواز ، قال بينه وبين كلامها

يذكر في كتاب ذكر فيه ، فكيف في ورقة أو بعد سطر وسطرين؟ ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين ، فإذا صار إلى الرد عليهم تجاوز في الحجة ، كأنه إنما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين . وتجده يقصد في كتبه المضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النبذ . ويستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم ، كذكره « كبد الحوت » و « قرن الشيطان » وذكر « الحجر الأسود » وأنه كان أبيض فسوده المشركون ، وكان يجب أن يبيذه المسلمون حين أسلموا ويذكر « الصحيفة التي كان فيها المنزل في الرضاع » تحت سرير عائشة ^(١) فأكلتها الشاة .

وأشياء من أحاديث أهل الكتاب في « تنادم الديك والغراب » و « دفن الهدد أمه في رأسه » و « تسديح الضفدع » و « طوق الحمامة » وأشباه هذا ، وهو مع هذا من أكذب الأئمة ، وأوضههم لحديث ، وأنصرهم لباطل .

وقبل أن نعرض للبحث فيما ذهب إليه ابن قتيبة من ثلب الجاحظ ورميه بما رماه به نبسط هنا المسائل التي جعلها أساساً للطعن فيه :

والدنو منها . فقال الجمار فيه آياتاً منها قوله :

ما للبقيت سنان وللظباء الملاح

ليس خصي بزأن غاز بغير سلاح؟

وله غير هذا شعر كثير لا نرى إثباته هنا . ولم أقف على تاريخ وفاة الجمار ولعله كان في الثلث الأخير من القرن الثالث

(١) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقد بسطت ترجمتها بكتاب الإصابة فلا حاجة لتعريف المعرف .
توفيت سنة ٥٨ هـ

فأما إشارته إلى « كبد الحوت » فقد يروى في بعض الآثار أن أول طعام يقدم لأهل الجنة في الجنة هو كبد الحوت الذي يزعمون أنه حامل للثور الحامل للأرض على قوهم

وأما إشارته إلى « قرن الشيطان » فهو زعمهم أن الشمس تطلع من بين قرني شيطان ، ويروون حديثاً ينهى عن الصلاة عند طلوعها تأييداً لهذا الزعم

وأما إشارته إلى « الحجر الأسود » فقد روي عن ابن عباس^(١) أنه قال : الحجر الأسود من الجنة ، وأنه كان أشد بياضاً من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك ؟! .. مع أن ابن الحنفية^(٢) كان يقول : إن الحجر الأسود من بعض هذه الأودية . وكان الجاحظ يتندر على ما تقولوه على ابن عباس . ويقول : إن كان المشركون قد سودوه فقد كان يجب على المسلمين حين أسلموا أن يبيضوه ؟! .. !

وأما إشارته إلى « صحيفة الرضاع » فقد أسندوا كلاماً إلى عائشة تقول فيه : لقد نزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشرا فكانت في صحيفة تحت سريري عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي وشغلنا به دخلت داجن للحى فأكلت تلك الصحيفة ؟! .. ! ومن طرائف ما يروى أن

(١) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، حبر الأئمة وإمام علمائها وسيد رواياتها ومحدثها . ولد في الشعب أيام أن حاصرت قريش النبي وبنى هاشم فيه . وتوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ

(٢) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب . كان يعرف « بابن الحنفية » وهي أمه . وكان شجاعاً باسلاً ، شهد مع أبيه مشاهدته . وتوفي بالطائف

سنة ٨١ هـ

الأحناف يؤيدون الجاحظ في استنكار هذا الحديث ويتندرون بالشافعية الذين يعتقدون به . ففي كتاب « الجواهر المضية » يرى أبو حنيفة أن التحريم بالرضاع يتعلق بالقليل والكثير ، ويرى الشافعى تعلق التحريم بخمس رضعات . ودليل أبى حنيفة قول النبي صلى الله عليه وسلم : الرضاعة من المجاعة . يعنى ماسد الجوعة . ودليل الشافعية ما هو ؟ يقول الأحناف : كان للشافعية دليل فأكلته الشاة . . . !

ومن الغريب أن الجاحظ ، بل والمعتزلة جميعاً ، يدفعون هذا السخف . ويبتلون هذا الهراء و يقيمون على زيف ذلك الحجة التى لا تدفع ، والبرهان الذى لا يرد ، ويرون هذا الخبر مخالفاً لقوله تعالى « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ » فكيف يكون عزيزاً وقد أكلته شاة وأبطلت فرضه وأسقطت حجته ؟ وأى أحد يعجز عن إبطاله والشاة تبطله ؟ وكيف قال « أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » وقد أرسل عليه ما يأكله ؟ وكيف عرض الوحي لأكل شاة ولم يأمر بإحرازه وصونه ؟ ولم أنزله وهو لا يريد العمل به ؟ !! لكن ابن قتيبة يدفعه حقه على المعتزلة إلى أن يذهب فى تصحيح هذا الخبر الكاذب كل مذهب . وهذا من أغرب ما يروى فى باب التعصب للرأى والحق على الخصم

وأما إشارته إلى « تنادم الديك والغراب » فقد كان الأعراب فى الجاهلية يزعمون أن الغراب فى ماضى الدهر كان يتألف الديك ، وكان ينادمه ، فاخندع الغراب الديك وتلعب به ورهنه عند الحمار وتركه حتى أغلق عنده ، وتحلص من الغرم الذى لحق الديك وفاز هو بالغنم . فضرب به المثل حتى قال أُمّية بن أبى الصلت^(١) :

(١) هو أُمّية بن أبى الصلت ، أحد شعراء ثقيف وفضحاء العرب ، وكان .

بَابِ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةُ الدِّيكِ الْعُرَابُ
 وأما إشارته إلى «دفن المهدد أمه في رأسه» فقد زعم أصحاب الأساطير
 أن المهدد تنن الريح ، وأن هذا التنن إنما عراه لما دفن أمه في رأسه حين
 ماتت ، وأن القنزعة التي في رأسه إنما هي ثوبه على بره بأمه . ولأمية بن
 أبي الصلت في هذا الخبر شعر معروف .

وأما إشارته إلى « تسبيح الضفدع » فقد زعموا أن تقيقها هذا الذي
 نسمعه حينما تكون في الماء إنما هو تسبيح . وقد أوردوا على ذلك بعض الآثار
 وأما إشارته إلى « طوق الحمامة » فقد زعموا أن نوحا لما بعث الحمامة
 لاستكشاف الأرض ولتنظر هل ترى موطئا منها يصلح مرفأ للسفينة ، فعادت
 إليه وفي فمها غصن من الزيتون ، فرشاها نوح بهذا الطوق الذي لا يزال في
 عنقها . وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت :

وَأُرْسِلَتْ الْحَمَامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
 نَجَاءً بَعْدَمَا رَكَضَتْ بَعْضُ عَلَيَّهَا الشَّاةُ وَالطَّيْنُ السَّكْبَابُ
 فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْقًا كَمَا عُقِدَ السَّخَابُ

هذه هي المسائل التي أشار إليها ابن قتيبة واتخذها وسيلة للطعن في
 الجاحظ ، والنيل من عقيدته ، والخط من شأنه . وليس للجاحظ من ذنب
 عنده إلا أنه أوردتها في بعض كتبه ساخرًا منها ، مندداً بمن رواها ،
 مستخفاً بسندها . وابن قتيبة من الحشوية الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن
 كل ما يروى عن أهل الحديث ، والنياد عن كل ما يسند إليهم من الخرافات
 يتأله في شعره . قرأ الكتب القديمة وعرف أن نبيًا سيبعث في العرب ، فكان
 يرى نفسه حقيقاً بأن يكونه . فلما بعث النبي حسده وأعان عليه خصومه من
 قريش . وله مرات في قتلاهم . مات على غير إيمان سنة ٢ هـ

والأساطير التي لا يقرها عقل رجيح ، ولا يسندها نقل صحيح ، وما هي إلا من أسمار الرواة وأحاديث القصاص

ومن أعجب العجب أنني رأيت بعض الأئمة قد خدعوا بابن قتيبة وأنزلوه من المحدثين في منزلة الجاحظ من المتكلمين؟ وشتان بين من يستعمل ما وهبه الله من عقل ، وبين من يعطل هذه المنة الكبرى مستسلماً لعواصف الآراء ، ونوازع الأهواء . ولعل الامام ابن تيمية ^(١) لم يصل إلى علمه هذا السخف الذي جاء به ابن قتيبة ، ونظر إليه من جهة رآه فيها صالحاً فوصفه بما وصفه به .

أما ما تنقص به ابن قتيبة أبا عثمان الجاحظ من أنه كان يعمل الشيء وتقيضه ، فلا أدري كيف غاب عنه أن هذا من قوة البيان ، وفضل الافتنان؟ وكيف فاتته أن ذلك من معجزات البلاغة التي اختص الله الجاحظ بها ، وألقى إليه بأزمته؟ وهل في الوجود شيء خالص من الشوائب ، أو برىء من المعاييب؟ أم هل هناك خير محض أو شر بحت؟ الحق أنه لا يوجد في هذا العالم ما ليس فيه وجه للمدح وآخر للقدح . وقد أعطى الجاحظ أكبر قسط من فضل اللسان حتى إنه ما كان يروم وصف شيء كائنًا ما كان إلا جللاه عليك في صورة يعجز غيره من فحول البلاغة وأعيان البيان عن عرضه في مثلها

ومن المعروف عند أهل الكلام أن المحدث كلما كان أموق كان عند

(١) هو الامام أحمد بن عبد الحليم الحراني المشهور بابن تيمية . كان إمام عصره في سائر العلوم ، وهو وإن كان حنبلي المذهب إلا أنه كان يرى لنفسه ويعتمد على اجتهاده . وله مصنفات عدة ظاهر فيها التمكن والاجتهاد . ولد بجران سنة ٦٣١ هـ وتوفي سنة ٧٢٨ هـ

العامة وأشباه العامة أنفق ، وإذا كان كثير اللحن والتصنيف كانوا به أوثق ، وإذا ساء خلقه وكثر غضبه واشتد حدة وغسرة تهافتوا عليه . وقد كان في ابن قتيبة شيء من هذا ولا سيما أنه كان به تسرع وتهافت ونهم وجشع ، وكفاك منه أن الرواة أجمعوا على أنه قدمت إليه هريسة ، فلم يصبر عليها حتى تهدأ سخوتها وتنفضاً حرارتها ، بل تناولها وابتلعها فكانت القاضية عليه وذهبت فيها نفسه ، وليس بعد هذا دليل على السخف والرعونة

وتقلوا عن أبي العباس « ثعلب » ^(١) أنه قال في بعض مجالسه : أمسكو عن ذكر الجاحظ فإنه غير ثقة . ولعل من هنا أخذ أبو منصور الأزهري ^(٢) قوله : كان الجاحظ روى عن الثقات ما ليس من كلامهم ، وكان قد أوثق بسطة في لسانه ، وبياناً في خطابه ، ومجالاً واسعاً في فنونه ، غير أن أهل العلم والمعرفة ذموه ، وعن الصدق دفعوه .

وهذا كلام لا يضير الجاحظ أن يقال فيه مثله ، لأنه لا دليل فيه ولا برهان عليه . وكيف يصح من أبي منصور أن يرسل الكلام هكذا على عواهنه دون أن يشد أركانه بحجة قائمة أو سلطان مبين ؟ !

وهذا البديع الهمداني ^(٣) يصف الجاحظ في إحدى مقاماته بقوله : إن

-
- (١) هو أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، أحد أئمة النحو من الكوفيين وكان عارفاً بالشعر والمعاني والغريب . ولد سنة ٢٠٠ هـ وتوفي سنة ٢٩١ هـ .
- (٢) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : كان لغوياً أديباً ، أسرته القرامطة فبقى فيهم دهرأ ، وهو صاحب كتاب « التهذيب في اللغة » وكان ثقة فيما يروى من اللغة حجة فيما ينقل في تهذيبه . ولد سنة ٢٨٢ هـ وتوفي سنة ٣٧٠ هـ .
- (٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمداني الكاتب الشاعر المشهور . له كتاب المقامات وعلق عليه شرحاً موجزاً الشيخ محمد عبده

الجاحظ في أحد شتى البلاغة يقطف ، وفي الآخر يقف ، والبليغ من لم يقصر نظمه عن نثره ، ولم يزر كلامه بشعره ، فهل ترون للجاحظ شعراً رائعاً ؟ قلنا : لا . قال : فهلموا إلى كلامه ، فهو بعيد الاشارات ، قريب العبارات ، قليل الاستعارات ، منقاد لعريان الكلام يستعمله ، تفور من معاصه يهمله ؛ فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة ؟ أو لفظة غير مصنوعة ؟

وأنا أحتسب قول البديع هذا في جانب الجاحظ ولا أحسبه عليه ، لأن هذا الوصف قل أن يضطلع به أديب ، أو ينهض به بليغ أريب . ولست أظن في البديع الجد في النيل من الجاحظ أو الإفتيات على مقامه في العلم والأدب ومنزلته في صنوف البلاغات ، وما أرى ذلك من البديع إلا من باب رياضة اللسان على قوة البيان . وإن كان لم يعد الحق في وصفه لشعره

ويقول القاضي الباقلاني^(١) : قد يزعم زاعمون أن كلام الجاحظ من السميت الذي لا يؤخذ فيه ، والباب الذي لا يذهب عنه ، وأنت تجد قوماً يرون كلامه قريباً ، ومنهاجه معيباً ، ونطاق قوله ضيقاً حتى يستعين بكلام

وكتاب الرسائل وعلق عليه شرحاً الشيخ ابراهيم الأحمد . وديوان شعر صغير . مات سنة ٣٩٨ هـ

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري . شيخ من شيوخ العلم والدين نشر بقوة بيانه وفصاحة لسانه وماضى حجة مذهب الأشعرية ، وناظر بعض المعتزلة بحضرة عضد الدولة بن بويه الديلمي بشيراز ، ثم أرسله عضد الدولة إلى ملك الروم في مهم من شؤون الدولة فقام بسفارته خير قيام ، وكان له هالك شأن لفت إليه الأنظار وكان موضع الحفاوة والاكبار ، وله مؤلفات عدة أشهرها وأبقاها كتابه « إيجاز القرآن » توفي في ذي القعدة سنة ٤٠٣ هـ

غيره ، ويفزع إلى ما يوشح به كلامه من بيت سائر ، وفصل نادر ، وحكمة ممهدة منقولة ، وقصة عجيبه مأثورة ، وأما كلامه في أثناء ذلك فسطور قليلة ، وألفاظ يسيرة ، فإذا أخرج إلى تطويل الكلام خالياً عن شيء يستعين به — فيخلط بقوله من قول غيره — كان كلاماً ككلام غيره . فإن أردت أن تحقق هذا فانظر في كتبه في « نظم القرآن » وفي « الرد على النصارى » وفي « خبر الواحد » وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، هل تجد في ذلك كله ورقة تشتمل على نظم بديع أو كلام مليح ؟ على أن متأخرى الكتاب قد نازعوه في طريقته ، وجاذبوه على منهجه ، ففهم من ساواه حين ساماه ، ومنهم من أبرَّ عليه إذ باراه . هذا أبو الفضل بن العميد قد سلك مسلكه ، وأخذ طريقه فلم يقصر عنه ، ولعله قد بان تقدمه عليه لأنه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهبه ، ويكملها على شروط صنعتته ، ولا يقتصر على أن يأتي بالأسطر من نحو كلامه كما ترى الجاحظ يفعله في كتبه متى ذكر من كلامه سطرًا أتبعه من كلام الناس أوراقًا ، وإذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتابًا ؟

وعبارة الباقلاني كما ترى لا تدل على أنه لا يرى الجاحظ شيئًا وإنما هو بسبيل المقارنة بين كلام الله عز وجل وكلام المخلوقين ، وأى كلام يرتفع على كلام الله سبحانه وتعالى ؟ على أن الباقلاني قد روى عن الجاحظ قول غيره فيه دون أن ينبذه من لدنه شيء إلا ما قاله عن بعض كتبه الخاصة بما هو معنى به من الكلام على نظم القرآن وإعجازه . وإلا فليس مثل القاضي الباقلاني من تحفى عليه مزايا الجاحظ وخصائصه التي بذَّ فيها من تقدمه وأتعب من جرى على أثره من تأخر عنه . على أن في تفضيل الباقلاني لابن

العميد في بعض ما هو من شأنه على الجاحظ ، مفخرة للجاحظ نفسه، واعتراقاً
 بفضله، وتقديرًا لبلاغته، لأن ابن العميد يعد من تلاميذ الجاحظ الذين تخرجوا
 بكتبه وترسموا خطاه في بيانه وقوة عارضته وبلغ أسلوبه . ولو كان كتاب
 الجاحظ في نظم القرآن بين أيدينا لعرفنا إلى أي مدى كانت استعانة
 الباقلاني به في تصنيفه « إعجاز القرآن » لأنه ما من أحد جاء بعد الجاحظ
 وحاول الكتابة أو التأليف إلا وكان أكثر مادته التي يعتمد عليها إنما هي
 كتب الجاحظ



الفصل التاسع

في

تخطئته وتصويبه

لم يسل الجاحظ على سعة علمه ، وبارع فهمه ، وشدة يقظته من الوقوع في الخطأ ، وأى امرئ في الوجود لم يحز عليه السهو ؟ ! قال على بن يحيى المنجم ^(١) : قلت للجاحظ : مثلك في علمك ومقدارك في الأدب يقول في كتاب « البيان والتبيين » ويكره للجارية أن تشبه بالرجال في فصاحتها ؟ ألا ترى قول مالك بن أسماء الفزارى ^(٢) .

أَمُغْطِىَ مِنِّي عَلَى بَصَرِي لِلْخُصْبِ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا
وَحَدِيثُ الذُّهُ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزَنًا
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَانًا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

(١) هو أبو الحسن على بن يحيى بن منصور ، المنجم النديم . كان من خاصة ندماء المتوكل ومتقدميهم ، ثم نادى من بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد وكان راوية إخباريا شاعرا محسنا ، وله في صنعة الغناء يد طولى ، وكان من حب الخلفاء له وثقتهم به يجلسونه بين يدي أسرتهم ويفضون إليه بأسرارهم ويستودعون صدره أخبارهم ونواياهم . توفى بسر من رأى في آخر أيام المعتمد سنة ٢٧٥ هـ

(٢) هو مالك بن أسماء بن خازجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى . وهذه الأسرة من أجداد أسر العرب . وكان مالك من أنبلها : تزوج الحجاج ابن يوسف أخته هند بنت أسماء وولاه أصفهان وله معه حوادث وخطوب . وكان شاعرا بليغا وأميرا سريا غير أنه كان مولعا بالشراب

فتراه من لحن الإعراب ؟ ؟ وإنما وصفها بالظرف والفطنة ، وأنها
تَلْحَنُ أَيْ تُورِّى فِي لَفْظِهَا عَنْ أَشْيَاءَ وَتَتَنَكَّبُ مَا قَصَدَتْ لَهُ ؟ !

فقال الجاحظ : فطنت لذلك

فقلت : فغيره

فقال : فكيف لى بما سارت به الركبان ؟

فهو فى كتابه على خطائه .

قال أبو مُحَلَّم^(١) تعليقا على هذا : أراد الفزارى بقوله هذا : إن خير
الحديث ما أومأت إلى به وورث به عن الإفصاح لئلا يعلمه غيرنا . ومثله
قول الكلابي :

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لَكَيْمًا تَفْهَمُوا وَوَحَيْتُ وَحِيًّا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ
ومنه قوله تعالى « وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ » أي فيما يتوحدونه
بينهم من النفاق والظعن

وقد وقفت على قول لأبي حيان التوحيدي يبرر به ما ذهب إليه
الجاحظ أول مرة قال :

وعندى أن المسألة محتملة للكلام ، لأن مقابل المنطق الصائب المنطق
الملحون ، واللحن من الغوانى والفتيات غير منكور ولا مكروه ، بل يُسْتَحَبُّ ،
لأنه بالتأنيث أشبه ، والشهوة أدعى ، ومع الغزل أجرى . والإعراب جد ،
وليس الجد من التغزل والتعشق والتشاجى فى شئ . وعلى مذهب على

(١) هو أبو محلم محمد بن سعد (وفى اسمه خلاف بين الرواة) السعدى
الشييبانى . أصله من الفرس ومولده بفارس ثم انتسب إلى بنى سعد . كان من أعلم
الناس باللغة والشعر قوى الحافظة شديد الذاكرة ، وكان يغلط طبعه ويفخم
كلامه . توفى سنة ٢٤٨ هـ

ابن يحيى أن المنطق الصائب هو الكلام الصريح، وأن اللحن هو التعريض،
وأنها تعرف هذا وهذا، فهب أن هذا المعنى مقبول، لم ينبغى أن يكون
المعنى الآخر لهوجاً ومردوداً؟ وقد يجوز أن يكون مراد الشاعر ذاك،
لأن الشاعر يشعر بهذا كما يشعر بهذا.

ولم يصنع أبو حيان بملاحظته هذه أكثر من أنه صوب الرايين،
وحرّر المعنيين، على تكلف فيما جاء به، دفعه إليه تعصبه للجاحظ، وافتتانه
به، وغيرته عليه:

وخطأه المسعودى فى الجغرافيا فقال: زعم الجاحظ أن نهر مكران الذى
هو نهر السند، من النيل؟! ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح
فيه. فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل؟ وذكر ذلك فى كتابه
«الأمصار» وهو كتاب فى نهاية الغثاة، لأن الرجل لم يسلك البحار،
ولا أكثر الأسفار، ولا تعرف المسالك والأقطار، وإنما هو حاطب ليل،
ينقل عن كتب الوراقين.

ولا شك فى أن المسعودى مصيب فى هذه المسألة لأنها مما اختص
به من العلوم والمعارف، ولا ضير على الجاحظ من الخطأ فيما ليس من شأنه،
وإن كان تعرضه لما لا يحسن غير لائق بمثله. والظاهر أن تعرض المسعودى
للجاحظ بهذه الصورة كان قصاصاً وقع على الجاحظ لتعرضه للخليل بن أحمد^(١)
فى شيء من هذا الضرب. فقد كان الجاحظ قال عنه فى كتابه فى تفضيل
صنعة الكلام، وهى الرسالة المعروفة بالهاشمية:

(١) هو الخليل بن أحمد الأزدي. كان غاية فى الذكاء والفتنة وهو
أول من استخرج العروض وحسن به أشعار العرب. وكان زاهداً متورعاً
وله شعر قليل، وهو أول من وضع كتاباً فى اللغة اسمه «العين»، مات سنة ١٧٠هـ.

إن الخليل بن أحمد من أجل إحسانه في النحو والعروض ، وضع كتابا في الإيقاع وتراكيب الأصوات ، وهو لم يعالج وترأقط ، ولا مس بيده قضيبا قط ، ولا كثرت مشاهدته للمغنين . وكتب كتابا في الكلام ، ولو جهد كل بليغ في الأرض أن يتعمد ذلك الخطأ والتعقيد لما وقع له ذلك ، ولو أن مرورا استفرغ قوى مرته في الهذيان لما تهيأ له مثل ذلك ، ولا يتأتى مثل ذلك لأحد إلا بجذلان من الله الذي لا يقي منه شيء . قال : ولو لا أن أسخف الكتاب وأهجن الرسالة وأخرجها من حد الجد إلى حد المزح لحكيت صدر كتابه في التوحيد وبعض ما وضعه في العدل . قال : ولم يرض بذلك حتى عمد إلى الشطرنج فزاده في الدولاب حملا فلعبت به أناس من حاشية الشطرنجيين ثم رموا به

والجاحظ في هذا قد أخذ الخليل بما هو من خاصة معارفه ، ولا سيما ما كان منها متعلقا بعلم الكلام والتوحيد والعدل . أما ما أخذه به من غير ذلك فهو من عامة معلوماته وفنونه ولكن « الجروح قصاص »



الفصل العاشر

في

مقامه لدى العارفين بمناقبه

أما مقامه لدى عارفي فضله ، ومنزلته في نظر أهل التحقيق ، فليس يُعد من المبالغة في شيء إذا قيل إنه سيد كتاب العربية بلا منازع ، وشيخ أدباء العرب بلا مدافع ، ومن البداهة أن يوصف بأنه إمام ذوى اللسان والبيان ، وعميد أهل الفصاحة والتبيان ، وأنه كان على مناقب قلما جراه فيها غيره من أهل العلم والأدب وأرباب الحكمة والفلسفة. فقد سمت به همته ، وعلت به معارفه إلى أن صار من مفاخر الاسلام ، بل من محاسن العربية الذين يتنافس أعلام الرجال بالأنتساب إليهم . وقد وضع أبو حيان التوحيدي فيه كتاباً أسماه « تقر يظ الجاحظ » لم نطلع عليه، ولعله باد فيما باد من كتب القدماء ، غير أن ياقوت قد روى لنا منه هذه الكلمة العجيبة عن أبي حيان قال : حدثني أبو سعيد السيرافي ^(١) — وَهَمَّكَ من رجل ، وناهيك

(١) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله (بهزاد) السيرافي أحد أكابر الأدباء وأفاضل المتكلمين . قال عنه أبو حيان التوحيدي في كتابه تقر يظ الجاحظ : شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقراءن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة ، أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فمأجده له خطأ ولا عثر له على زلة ، وقضى ببغداد . هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرزانة . صام أربعين سنة أو أكثر الدهر . قلت : وقد ناظر متى بن يونس المنطقي في المفاضلة بين النحو والمنطق فأظهر قوة في الجدل واستتارة

من عالم ، وشرعك من صدوق ، قال : حدثنا جماعة من الصابئين الكتاب
أن ثابت بن قرّة قال ^(١) :

ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس :

أولهم - عمر بن الخطاب في سياسته ويقظته ، وحذره وتحفظه ،
ودينه ويقينه ، وجزالته وبذالته ، وصرامته وشهامته ، وقيامه في صغير أمره
وكبيره بنفسه ، مع قريحة صافية ، وعقل وافر ، ولسان غضب ، وقلب شديد ،
وطوية مأمونة ، وعزيمة مأمومة ، وصدر منشرح ، وبال منفسح ، وبدية
نضوح ، وروية لقوح ، وسر طاهر ، وتوفيق حاضر ، ورأى مصيب ،
وأمر عجيب ، وشأن غريب ، دعم الدين وشيد بنيانه ، وأحكم أساسه ورفع
أركانه ، وأوضح حجته وأثار برهانه ، ملك في زى مسكين ؛ ماجنح في أمر
إلى ونّا ، ولا غض طرفه على خنا ، ظهارته كالبطانة ، وبطانته كالظاهرة ،
جرح وأسا ، ولان وقسا ، ومنع وأعطى ، واستخذى وسطا . كل ذلك في
الله والله . لقد كان من نوادر الرجال

والثاني - الحسن بن أبي الحسن البصري ^(٢) ، فلقد كان في درارى

الجنة وبراعة في مقارعة الخصم تفوق كل براعة . وقد أتينا عليها في كتاب
المقابسات . ومات سنة ٣٦٨ هـ

(١) هو أبو الحسن ثابت بن قرّة الصابي الحرائى الشهير : كان طبيباً
فيلسوفاً ذا فضائل ، وكان فصيحاً مبيّناً ذا حكمة وأدب عالى القدر بعيد الهمّة
وافر الحرمة سرياً نبيلاً . ولد سنة ٢٢١ هـ وتوفى ببغداد سنة ٢٨٨ هـ

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن البصرى . وقد أنشأنا له ترجمة
نشرنا خلاصتها في جريدة السياسة الأسبوعية بعددها الصادر في ١٥ ديسمبر
سنة ١٩٢٨ وسنشرها في كتابنا « شيوخ المعتزلة ومذاهبهم » الذى سنصدره
بعد هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

النجوم علما وتقوى ، وزهدا وورعا ، وعفة ورقة ، وتألقا وتنزها ، وفقها ، ومعرفة ، وفصاحة ونصاحة ، مواعظه تصل إلى القلوب ، وألفاظه تلتبس بالعقول ، وما أعرف له ثانيا ، لا قريبا ولا مدانيا . كان منظره وفق مخبره ، وعلايته في وزن سريره . عاش سبعين سنة لم يُقَرَفْ بمقالة شعاء ، ولم يُزَنَّ بريبة ولا خشاء . سليم الدين ، نقي الأديم ، محروس الحريم . يجمع مجلسه ضروبا من الناس ، وأصناف اللباس ، لما يوسعهم من بيانه ، ويفيض عليهم بافتنانه . هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلقي منه التأويل ، وهذا يسمع منه الحلال والحرام ، وهذا يتبع في كلامه ، وهذا مجرد له المقالة ، وهذا يحكى له الفتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الموعظة . وهو في جميع هذا كالبحر العجاج تدفقا ، كالسراج الوهاج تألقا ، ولاتنس مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عند الأمراء وأشباه الأمراء ، بالكلام الفصل ، واللفظ الجزل ، والصدر الرحب ، والوجه الصلب ، واللسان العضب ، كالخجاج^(١) وفلان وفلان ، مع شارة الدين ، وبهجة العلم ، ورحمة التقى . لاثنيه لأمة في الله ، ولا تُذهله رائحة عن الله . يجلس تحت كرسية قتادة^(٢) صاحب التفسير ، وعمرُو وواصل^(٣) صاحب الكلام ،

(١) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، أسد الدولة المروانية وموطد دعائمها ومثبت أركانها ومحكم أساسها ، ولولا مواقفه المشهورة وسياسته الدكاتورية لا اكتسح الخوارج دولة بني مروان ولا أصبحت في خبر كان . فهو من بناء الدول وله حوادث وأخبار هي مما يزدان به الأدب العربي . مات سنة ٩٥ هـ

(٢) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأكمه كان من أفاضل التابعين ، مقصود الجناب يحمل علمه إلى الآفاق ، وكان قد ربا على مذهب المعتزلة . قيل هو الذي سماهم بهذا الاسم . تصدر في مجلس الحسن البصري بعد وفاته واتهم منهجه وكان على عمه يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد . توفي بواسط سنة ١١٧ هـ

(٣) عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء هما زعماء المعتزلة وشيخا أهل الاعتزال .

وابن أبي إسحق^(١) صاحب النحو، وفَرَّ قَدْ السَّبْخِيُّ^(٢) صاحب الرقائق ،
وأشباه هؤلاء ونظراؤهم . فمن ذا مثله ، ومن ذا يجري مجراه ؟؟

والثالث — أبو عثمان الجاحظ ، خطيب المسلمين ، وشيخ المتكلمين ،
ومدره المتقدمين والمتأخرين . إن تكلم حكى سَجْبَان^(٣) البلاغة ، وإن
ناظر ضارع النظام في الجدل ، وإن جد خرج في مَسْكِ عامر بن عبد قيس^(٤)
وإن هزل زاد على مُزَبَّد^(٥) حبيب القلوب ومراح الأرواح . شيخ الأدب
ولسان العرب ، كتبه رياض زاهرة ، ورسائله أفنان مشمرة . مانازعه منازع
الارشاه أنفا ، ولا تعرض له متعرض إلا قدم له التواضع استبقاء . الخلفاء
وواضعا مذهب العدل والتوحيد ، ومقررا أصول الاعتزال . وسترى ترجمتهما
مستفيضة . في كتابنا « شيوخ المعتزلة ومذاهبهم » الذي سنصدره بعد هذا
الكتاب إن شاء الله تعالى

(١) هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي بالولاء . كان إماما
في النحو وهو أول من وضع علله وجرّد أقيسته . وكان لا يرى التسليم
في كل ما جاء عن العرب . وله مع الفرزدق الشاعر أخبار وحوادث .
مات سنة ١١٧ هـ

(٢) هو أبو يعقوب فرقد بن يعقوب السبخي . أصله من أرمينية وانتقل
إلى البصرة وصاحب الحسن البصري وأخذ عنه ، وكان من الزهاد المتنسكين
مات سنة ١٣١ هـ

(٣) هو سَجْبَان وائل الخطيب العربي المشهور . راجع ترجمته في شرحنا
على كتاب « البيان والتبيين »

(٤) هو عامر بن عبد قيس . كان من بلغاء الزهاد وفضحاء النساك .
وكان يغزو متطوعا . وقد ترجمناه في شرحنا على « البيان والتبيين »

(٥) هو أبو إسحق مزبد المدني . كان صاحب نوادر وفكاهات ،
سريع الخاطر حسن البادرة كثير الدعابة . وقد ترجمناه في شرحنا على
كتاب « المقابسات » وذكرنا له كثيرا من نوادره وفكاهاته

تعرفه ، والأمراء تصفه ، و [الملوك] تناديه ، والعلماء تأخذ عنه ، والخاصة تسلم له ، والعامّة تحبه . جمع بين اللسان والقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأي والأدب ، وبين النثر والنظم ، وبين الذكاء والفهم . طال عمره وفشت حكمته ، ووطىء الرجال عقبه ، وتمادوا أدبه ، وافتخروا بالانتساب إليه ، ونجحوا بالافتداء به . لقد أوقى الحكمة وفصل الخطاب

قال أبو حيان : هذا قول ثابت ، وهو قول صابى ، لا يرى للإسلام حرمة ، ولا للمسلمين حقا ، ولا يوجب لأحد منهم ذمّا . قد انتقد هذا الانتقاد ، ونظر هذا النظر ، وحكم هذا الحكم ، وأبصر الحق بعين لا غشاوة عليها من الهوى ، ونفس لا لطح بها من التقليد ، وعقل ما تحيل بالعصبية . ولسنا نجعل مع ذلك فضل غير هؤلاء من السلف الطاهر ، والخلف الصالح . ولكنّا نجينا فضل عجب من رجل ليس منا ، ولا من أهل ملتنا ولغتنا ، ولعله ما خبر عمر بن الخطاب كل الخبرة ، ولا استوعب ما للحسن من المنقبة ، ولا وقف على جميع ما لأبي عثمان من البيان والحكمة . يقول هذا القول ، ويعجب هذا العجب ، ويحسد أمتنا بهم هذا الحسد ، ويختم كلامه بأبي عثمان ويصفه بما يأبى الطاعن عليه أن يكون له شيء منه ، ويفضّض إذا ادعى ذلك له ، وأنه للموفر عليه !! هل هذا إلا الجهل الذى يرحم المبتلى به . . . !!

قلت : الظاهر أن أبا حيان بلغه إطرأ عن ثابت هؤلاء الرجال الثلاثة أو قرأ فصلا له فى شيء من مناقبهم ، فتمثل هذا الإطرأ وتصور تلك المناقب وصاغها فى هذا الأسلوب البارع ونسبه إلى ذلك الحكيم الصابى ، ليكون لهذه الكلمة شأنها من المنزلة الرفيعة ومقدارها من المكان الجليل متى نسبت إلى رجل من أكابر الصابئة ، لا ينتظر أن يعنى كثيرا بهذه الناحية

من رجال الاسلام . وان كان المعروف عن ثابت أنه كان من خواص أهل
الفصاحة والحكمة والبيان

وقال أبو حيان : قلت لأبي محمد الأندلسي ^(١) — وكان في عداد
أصحاب السيرافي — : قد اختلف أصحابنا ، في مجلس أبي سعيد السيرافي ،
في بلاغة الجاحظ وأبي حنيفة ^(٢) صاحب النبات ، ووقع الرضى بحكمك ،
فما قولك ؟

فقال : أنا أحقر عن الحكم لهما أو عليهما

فقلت : لا بد من قول !

فقال : أبو حنيفة أكثر نداوة . وأبو عثمان أكثر حلاوة ، ومعاني.
أبي عثمان لائطة بالنفس ، سهلة في السمع . ولفظ أبي حنيفة أعذب وأعرب ،
وأدخل في أساليب العرب

قال أبو حيان : والذي أقوله وأعتقده وأخذ به . وأستهم عليه ؛ أني لم
أجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان في تقيظهم ومدحهم
ونشر فضائلهم في أخلاقهم ، وعلمهم ، ومصنفاتهم ، ورسائلهم ، مدى الدنيا
إلى أن يأذن الله بزوالها ، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم :

هذا الشيخ الذي أنشأنا له هذه الرسالة وبسببه جُسمنا هذه الكلفة ،
أعنى أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن حمود الزيدى الأندلسي . قال الصفدى :
كان من فرسان النحو واللغة والشعر ، وكان مغرى بكلام الجاحظ حتى
إنه كان يقول : رضيت في الجنة بكتب الجاحظ عوضاً عن نعيمها . وكان
من أصحاب أبي سليمان المنطقي وأبي سعيد السيرافي

(٢) هو أبو حنيفة أحمد بن داود بن وند الدينورى . كان قima بعلوم
شتى ، وقد نال شهرة واسعة بكتابه الذى ألفه فى النباتات . وكان من نوادر الرجال
الذين جمعوا بين آداب العرب ومعارف الأقدمين . مات سنة ٢٨٢ هـ

والثاني — أبو حنيفة الدينوري ، فإنه من نوادر الرجال ، جمع بين
حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم ، ورواء وحكم .
وهذا كلامه في « الأنواء » يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار
الفلك . فأما كتابه في « النبات » فكلامه فيه في عروض كلام أبدى
بدوى ، وعلى طباع أفصح عربي . ولقد قيل لي : إن له في « القرآن » كتابا
يبلغ ثلاثة عشر مجلدا ، ما رأيته ، وأنه ما سبق إلى ذلك النمط . هذا مع
ورعه وزهده وجلالة قدره . وقد وقف الموفق^(١) عليه وسأله [فيه] وتحفى به

والثالث — أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ، فإنه لم يتقدم له شبيه في
العصر الأول ، ولا يظن أنه يوجد له نظير في مستأنف الدهر . ومن تصفح
كلامه في كتابه « أقسام العلوم » وفي كتابه « أخلاق الأمم » وفي كتابه
« نظم القرآن » وفي كتابه « اختيار السيرة » وفي رسائله إلى إخوانه وجوابه
يسأل عنه ويبدعه ، علم أنه بحر البحور ، وأنه عالم العلماء ، وما روى في
الناس من جمع بين الحكمة والشرعة سواء . وإن القول فيه لكثير . ولو
تفاضرت إلينا أخبارها لكنا نحب أن نفرّد لكل واحد منهما تقریظا مقصورا
عليه ، وكتابا منسوبا إليه ، كما فعلت بأبي عثمان

وقال ياقوت : كان يقال : إتفق أهل صناعة الكلام على أن متكلمي
العالم ثلاثة : ألاحظ ، وعلى بن عبيدة^(٢) وأبو زيد البلخي :

(١) هو أبو أحمد الموفق طلحة بن الخليفة جعفر المتوكل العباسي . كان
صاحب الشأن الأعلى في دولة أخيه المعتمد على الله ، وإليه المرجع في كل
الأمور ، ولولاه لاكتسح الزنج دولة آل العباس . مات سنة ٢٧٨ هـ

(٢) هو علي بن عبيدة إريحاني الكاتب . كان حاد الذكاء قوى الفطنة
وكان من خاصة المأمون ، بليغا فصيحاً له تأليف على منهج الحكماء .

فمنهم من يزيد لفظه على معناه ، وهو الجاحظ
ومنهم من يزيد معناه على لفظه ، وهو على بن عبيدة
ومنهم من توافق لفظه ومعناه ، وهو أبو زيد
مع أن ياقوت روى أيضاً أنه كان يقال لأبي زيد « جاحظ خراسان »
وكفى جلالة وفخرا للجاحظ أن ينسب إليه أبو زيد البلخي
وكان الأستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد من المعجبين بالجاحظ ،
المولعين به ولعا شديدا ، المقدرين له تقديرا صحيحا ، المتوفرين على كتبه
ومصنفاته ، المغترفين من بحار علومه وآدابه ، الذاهيين مذهبه في أسلوبه
وكتابه ، حتى لقد كان يعجبه أن يلقب « بالجاحظ الثاني » وكان من
عظم تقديره له ، وامتلأ صدره بجلالته وفضله ، إذا طرأ عليه أحد من منتحلي
العلوم ومصطنعي الآداب وأراد امتحان عقله سألته عن :

(١) بغداد ، فإن فطن لخواصها ، وتنبه لمحاسنها ، وأثنى عليها . جعل
ذلك مقدمة فضله ، وعنوان عقله . ثم سألته عن :

(٢) الجاحظ ، فإن وجد لديه أثرا لمطالعة كتبه ، والاقتراب من نوره ،
والاعتراف في بحره ، وبعض القيام بمسائله ، قضى له بأنه غرة شاذخة في
جبين أهل العلم والأدب . وإن وجده ذاما لبغداد ، غفلا عما يجب أن يكون
موسوما به من الانتساب إلى المعارف التي تخصص بها الجاحظ ، لم ينفعه بعد
ذلك شيء من المحاسن

وحدث أبو القاسم السيرافي فقال :

حضرنا مجلس الأستاذ أبي الفضل ابن العميد الوزير ، فجرى ذكر
ورماه بعضهم بالزندقة وليس كذلك بل كان من أفاضل المعتزلة . وقالوا
إن له مؤلفات عدة أكثرها في القصص والنوادر

الجاحظ ، فغض بعض الحاضرين منه وأزرى به ، وسكت الوزير عنه ، فلما خرج الرجل قلت له : سَكَتَ أيها الأستاذ عن هذا الرجل في قوله ، مع عادتك في الرد على أمثاله ؟ ! فقال : لم أجد في مقابلته أبلغ من تركه على جهله ، ولو واقفته وبينت له لنظر في كتبه وصار بذلك إنسانا يا أبا القاسم ، فَكَتُبُ الجاحظ تُعلم العقل أولا ، والأدب ثانيا ، ولم أستصلحه لذلك ؟ !

قلت : وهذا تصرف من ابن العميد غريب ، فقد ضن على هذا الرجل بالارشاد إلى ما يقوم عقله ويُرهِف حد أدبه ! ولست أدري إذا كان هذا من بواعث الحقد وعوامل الضغن ، أو كان من لؤم الطبع وخسة النجيزه ، أو من حوافز الغيرة على العلم والعمل على صيانتهم من الابتذال للسفلة والأوغاد ! وقال ابن العميد : ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه ، فعلى أبي حنيفة ^(١) لأنه دَوَّنَ وَخَلَّدَ ما جعل من يتكلم فيه بعده مشيرا إليه ، ونخبرا عنه

وأما الكلام ، فعلى أبي الهذيل العلاف ^(٢)

وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة ، فعلى أبي عثمان الجاحظ

ومن طريف ما يروى في هذا الباب ما تحدث به أبو محمد الحسن بن عمرو النجيري قال :

(١) هو الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، شيخ العراقيين ، وواضع مذهب أهل الرأي ، والداعى إلى القياس في الشرع . وهو أشهر من أن يعرف . مات سنة ١٥٠ هـ

(٢) هو أبو الهذيل العلاف البصري . كان من أكابر المعتزلة وأفاضل أهل الكلام . صاحب علم ونظر ومقالات وجدل ، واسع الاطلاع على كتب الاقدمين في المنطق والفلسفة وغيرهما . وقد ترجمناه في كتابنا شيوخ المعتزلة ومذاهبهم ، الذي سنصدره قريبا إن شاء الله تعالى

كنت بالأندلس ، فقبل لي : إن ههنا تلميذا لأبي عثمان الجاحظ ،
يعرف بسلام بن يزيد ، ويكنى أبا خلف . فأتيته فرأيت شيخاً هماً ،
فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ، ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس ؟
فقال :

كان طالب العلم بالمشرق يشرفُ عند ملوكنا بقاء أبي عثمان . فوقع
إلينا كتاب « الترييع والتدوير » له ، فأشاروا إليه . ثم أردفه عندنا كتاب
« البيان والتبيين » له ، فبلغ الرجل الصُّكَّك^(١) بهذين الكتائين . قال : فخرجت
لأعرج على شيء حتى قصدت بغداد ، فسألت عنه ، فقبل لي : هو بُسرٌّ مَنْ رَأَى .
فأصعدت إليها ، فقبل لي : قد انحدر إلى البصرة . فأنحدرت إليها ، وسألت
عن منزله فأرشدت ودخلت إليه ، فإذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً
ليس فيهم ذو لحية غيره . فدُهْشْتُ . فقلت : أيكم أبو عثمان ؟ فرفع يده
وحركها في وجهي . وقال :

من أين ؟

قلت : من الأندلس

فقال : طينةُ حمقاء . فما الاسم ؟

قلت : سلام

فقال : اسم كلب القراد . إين من ؟

فقلت : إين يزيد

فقال : بحق ماصرت ! أبو من ؟

فقلت : أبو خلف

فقال : كنية قرد زُبَيْدَة . ما جئت تطلب ؟

قلت : العلم

فقال : إرجع بوقتٍ فإنك لا تُفلح

قلت له : ما أنصفتني ! فقد اشتملت على خصال أربع : خفاء البلدية ،

وبعد الشقة ، وغرة الحداثة ، ودهشة الداخل

فقال : فترى حولى عشرين صبيا ليس فيهم ذو لحية غبرى ، كان

يجب أن تعرفنى بها ! !

قال : فأقمت عليه عشرين سنة

قلت : ولقد أصاب الجاحظ فيما وصف به إقليم الأندلس من أنه طينة

حمقاء ، فإنه لم يكن له قبل دخول العرب اليه تاريخ يعتد به ويشرف المنتسب

إليه ، ولا عرفت له مدينة يصح ذكرها ، ولا حضارة بادٍ أثرها ، وهؤلاء

العرب حينما افتتحوه حملوا إليه عقولا وافرة ، وأذهانا صافية ، وعلومًا صالحة

وحضارة نافعة ، وهمة متوثبة . وفى الحق أنهم حملوا إليه جرائم الحياة وأصول

ال عمران ، ونهضوا به نهوضاً لفت الأنظار إليه . وأمال الأعناق نحوه .

وأنزلوا فى ربوعه قواعد المدنية ، وأقروا فى أنحائه أركان الحضارة ومعالم

الإنسانية . فلما تراخى هم الزمن ، وتناوب بهم الأيام ، تغلب طبعه عليهم

وثارت ثائرة رعونته فيهم ، وحمقه عليهم ، فسلب منهم روح الهمة ، وأضعف

فيهم قوة العزيمة ، وأزاح عنهم عوامل النشاط ، وأخذ بمخنقهم فأخضعهم

لسلطان الضعف والانحلال ، وشاعت فيهم شوائع الحماقة وذرائع الجهالة .

وما زالت بواعث الاضمحلال تعمل فيهم حتى جاءهم من هم أشد منهم حمقاً

وأغرق منهم رعونة . فانتزعوه منهم رغم أنوفهم .

وهل فى الوجود أشدُّ حمقاً من الاسبان ؟ ! ها هم فى رقعتهم من

الأرض طوال هذا الزمن ، وقد نهضت من حولهم كافة العناصر الأوربية ،

وتحركت سائر الشعوب حتى البربر منها إلى الحياة المرموقة ، والعزة المرموقة ،
 وهم هم مايزالون من أهل القرون الوسطى في نوع تعقلهم وطرق تفكيرهم . ولولا
 أنهم يدينون بما تدين به الممالك الأوربية لسيرت عليهم أساطيلها ، ولجئشت
 نخوم جيوشها ، ولبعثت في آفاقهم أسراب طياراتها ، ولا كنتسحتهم
 وألقت بهم في قاع اليم منذهر . فوصف الجاحظ لإقليم الأندلس بأنه طينة
 حقاء ، قد أقره الزمن ، وصدقته الأيام
 ومدحه أبو اسحق النظام بقوله^(١) :

حُبِّي لِعَمْرٍ وَجَوْهَرٌ ثَابِتٌ وَحُبُّهُ لِي عَرَضٌ زَائِلٌ
 بِهِ جِهَاتِي السَّتُّ مَشْغُولَةٌ وَهُوَ إِلَى غَيْرِي بِهَا مَائِلٌ

(١) قد سرق هذين البيتين «ابن التليذ الطيب» وهو من الاطباء الشعراء
 البلغاء — وكان خاصا بالخليفة المقتنى . توفى سنة ٥٦٠ هـ — وجعلهما في ولده سعيد
 فقال :

حبي سعيد جوهر ثابت وجهه لي عرض زائل
 به جهاتي الست مشغولة وهو إلى غيري بها مائل

الفصل الحادى عشر

فى

شهرة مصنفاته فى الآفاق

لعله لم يُعرف كاتب فى العربية ، لاقت مؤلفاته من واسع الشهرة وفائق الذبوع، ملاقت كتب الجاحظ، على كثرتها وتنوع المقاصد والأغراض فيها ، ومن المعروف أنه كان كلما وضع كتابا أو رسالة تهافت الناس على كتبها ونسخها وتداولها فيما بينهم ، وبادروا إلى الحرص على حفظها واستظهارها . كأن ما يحرص الإنسان عليه من نفائس الأشياء . وكانت مجالس العلماء ومحافل الأدباء ، فى الأقطار العربية ، لاتكاد تخلو من ذكر الجاحظ ومصنفاته ، والنظر فى آرائه ومعانيه وصنوف بلاغاته ، بالأخذ والرد والجدب والدفع . ولما سقط له كتاب فى بلد أو فى مصر إلا أقبل الناس على دراسته ، وإلا اتخذوا منه مدرسة يخرجون فيها فى ضروب من الآداب وألوان من الجدل والنظر والكلام .

ومن أكبر الدلائل على ذلك ما رواه أبو حيان التوحيدي قال : ومن عجيب الحديث فى كتبه ما حدثنا به على بن عيسى النحوى ^(١) الشيخ

(١) هو أبو الحسن على بن عيسى بن عبد الله الرمانى . وكان يعرف بالأخشىدى وبالوراق ، لكن الشهرة بالرمانى هى الغالبة . كان أحد مشاهير الأئمة فى مختلف العلوم ، وكان متكلماً على مذهب المعتزلة أهل العدل والتوحيد . قال أبو حيان : لم ير مثله قط بلا تقية ولا تحاش ولا استمزاز ولا استيحاش علماً بالنحو ، وغزارة فى الكلام . وبصراً بالمقالات ، واستخراجاً للعويص ، وإيضاحاً للشكل ، مع تأله وتنزه ودين ويقين وفصاحة وفقاهة .

الصالح ، قال سمعت ابن الأخشيد شيخنا أبا بكر يقول :
 ذكر أبو عثمان في أول كتاب « الحيوان » أسماء كتبه ليكون ذلك
 كالفهرست . ومربي في جملتها كتاب « الفرق بين النبي والمتنبي » وكتاب
 « دلائل النبوة » وقد ذكرهما هكذا على التفرقة ، وأعاد ذكر « الفرق »
 في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه . فأحببت أن أرى الكتابين ، ولم أقدر
 إلا على واحد منهما ، وهو كتاب « دلائل النبوة » وربما لقب « بالفرق »
 خطأ . فهمنى ذلك وساءنى سوء ظفري به . فلما شخصت من مصر ودخلت
 مكة — حرسها الله تعالى — حاجاً أقمت منادياً بعرفات ينادى — والناس
 حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم ، وتنازع أوطانهم ، وتباين قبائلهم
 وأجناسهم ، من المشرق إلى المغرب ، ومن مهب الشمال إلى مهب الجنوب ،
 وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر — : رحم الله من دلنا على كتاب « الفرق
 بين النبي والمتنبي » لأبي عثمان الجاحظ ، على أى وجه كان . قال : فطاف
 المنادى في ترابيع عرفات وعاد بالحبشية وقال : حجت الناس منى ولم يعرفوا
 هذا الكتاب ولا اعترفوا به

قال ابن الأخشيد : وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسى عذرها
 وقد علق ياقوت مدون هذا الخبر عليه بقوله : وحسبك بها فضيلة
 لأبي عثمان أن يكون مثل ابن الأخشيد — وهو هو في معرفة علوم الحكمة
 وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة — يستهم بكتب الجاحظ حتى ينادى
 عليها بعرفات والبيت الحرام . وهذا الكتاب موجود في أيدي الناس
 اليوم لاتكاد تخلو خزانه منه . ولقد رأيت أنامنه نحو مائة نسخة أو أكثر
 وعفاف ونظافة . وله ذكر كثير في كتاب المقابسات . ولد سنة ٢٧٩ وتوفى

ومن أشف وأطرف ما روى في هذا الباب ما تحدث به ابن مقسم^(١)
قال : قيل لأبي هفان — وقد طال ذكر الجاحظ له — لم لا تهجو الجاحظ
وقد ندد بك وأخذ بمخنقك ؟

فقال : أمثلى بمخدع عن عقله ؟ والله لو وضع رسالة في أرنية أنفى لما
أمست إلا بالعين شهرة ، ولو قلت فيه ألف بيت لما طن منها بيت في
ألف سنة !

ومن المفاخر التي استأثر بها الجاحظ في كتبه ما قرره القاضي الفاضل^(٢)
في كلام له حيث قال : أما الجاحظ فما منا معاشر الكتاب إلا من دخل
من كتبه الحارة ، وشن [عليها] الغارة ، وخرج على كتفه منها كاره
ومثل القاضي الفاضل لا يستهان بقوله . ولا يزرى على اعترافه الصادق
وهو سيد كتاب العربية في عصره ، وشيخ ساسة الدولة الايوبية على عهد
صلاح الدين . فهو يقرر أن جمهرة الكتاب من عهد الجاحظ حتى عهده
انتفعوا بكتب الجاحظ وتخرجوا بها واستفادوا منها ، وكانت لهم على عباراتها
ومعانيها ومختلف أغراضها غارات وسطوات يحلون بأسلابها ما يضعون من

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن العطار عرف « بابن مقسم » كان من القراء
والنحاة ، عالما بالعربية حافظا للغة وقد أخذ بالشذوذ في بعض قراءاته . وقد
ذكروا له مصنفات عدة . كان مولده سنة ٢٦٥ هـ وتوفي سنة ٣٥٥ هـ

(٢) هو أبو علي عبد الرحيم القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي
وصاحب تديره ورأس ساسته . وكان أبلغ أهل زمانه قلبا ، وأفصحهم لسانا ،
وأحدهم ذهنا ، كاتبينا ، وشاعرا محسنا ، وسائساداهيا ، ومدبرا عاقلا ، شد
أركان الدولة الايوبية ونهض بأعبائها واضطلع بشؤونها على خير الوجه . وله
أحداث وأخبار ونوادر مما يترنن به الأدب وتلفح به الاذهان . ولد بعسقلان
سنة ٥٢٩ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٦ هـ

كتب ، وما ينشئون من رسائل ، وما يصنفون من أسفار
قلت : وكان أهل البصرة يفاخرون أهل الكوفة بمؤلفات رجالهم ،
وأهل الكوفة يفاخرون أهل البصرة بما لهم في ذلك أيضا . ففي رواية أبي بكر
الخطيب البغدادي أن البصريين فاخروا الكوفيين بأربعة كتب : كتاب
البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان للجاحظ ، وكتاب سيبويه ، وكتاب
العين للخليل . وفاخر الكوفيون البصريين بكتاب محمد بن الحسن (صاحب
أبي حنيفة) عمله في سبع وعشرين ألف مسألة قياسية عقلية في الحلال والحرام
لا يسمع الناس جهلها ، وكتاب المعاني للفراء ، وكتاب المصادر في القرآن ،
وكتاب الوقف والابتداء فيه ، سوى باقي الحدود . قالوا : ولنا واحد أسمى من
الأخبار مثل كل كتاب ألف البصريون ، وهو ابن الأعرابي ، وكان
أوحد الناس في اللغة

وقال أبو القاسم الاسكافي : استظهاى على البلاغة بثلاثة : القرآن ،
وكلام الجاحظ ، وشعر البحترى ^(١)

وذكرت متزهات الدنيا بين يدي ابن دريد ^(٢) فقال : هذه متزهات
العيون ، فأين أنتم من متزهات القلوب ؟ قالوا : وما هي ؟ قال : كتب
الجاحظ ، وأشعار المحدثين ، ونوادر أبي العيناء
وقال أبو محمد الأندلسي : رضيت في الجنة بكتب الجاحظ عن نعيمها

-
- (١) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى الشاعر المشهور الغني بشهرته
وبعد صيته عن الوصف والتعريف . ولد سنة ٢٠٣ هـ وتوفي سنة ٢٨٤ هـ .
(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي عالم الشعراء وشاعر
العلماء الأديب الفاضل صاحب التصانيف الفائقة والمؤلفات البارعة في فنون
اللغة والأدب . توفي ببغداد سنة ٣٢١ هـ

الفصل الثاني عشر

في

تحقيقه للعلم ووفوده على مصر

ما أحسب العالم جديرا بسمة هذا الاسم الشريف إلا إذا قام علمه على أساس متين من البحث والتحقيق، ونهض على دعامة صحيحة من الاستقراء والتمحيص. كذلك لا أرى الأديب حقيقا باسم الأدب إلا إذا شاد أركان أدبه على قواعد من الحفظ وسعة الرواية وبسطة الإطلاع وكثرة الافتنان، وجعل قوامه الذوق السليم. وقد أثبتت الدلائل وقامت البرهانات وتكافأت الحجج التي يخطئها العد على أن الجاحظ كان فرد زمانه في الأدب، بل كان واحد الدهر في سائر فنونه ومتنوع ألوانه، غير أنني لم أكد أعر على كاتب في قديم الزمن وحديثه ممن عرض لبسط حياته والكتابة عنه قد أشار إلى أنه كان ممن يعنى بالمسائل العلمية على طريق أهل البحث والنظر وعلى سبيل أصحاب الاستقراء وقفو الأثر، أو أنه رحل إلى الآفاق لاجراء تجارب في علم الحيوان أو غيره من الشؤون التي أرسل قلمه في بسطها وإيضاحها، وكد ذهنه في الإبانة عنها والإفصاح عن أسبابها وعللها. وكان المفهوم أنه في كتابه «الحيوان» قد جعل أكبر اعتماده في تأليفه على ما كتبه العلماء الأقدمون أمثال أرسطو^(١) وغيره، يمازج ذلك بعض ما نقل

(١) هو أرسطاطاليس بن نيقوماخوس. أعظم فلاسفة القدم صاحب الفضل الأكبر على الإنسانية في ضبط علومها وتحرير عقولها. ولد في إسطاغيرا من بلاد مقدونية سنة ٣٨٤ قبل الميلاد. وتوفي بمدينة خلكس حاضرة جزيرة بوييا سنة ٣٢٢ قبل الميلاد

من المشاهدات الماثورة عن العرب القدماء ، والتي روى أنهم تناقلوها من قول أو إشارة أو شعر أو مثل أو حكاية أو أسطورة . ولكنني تقررت فيما وقفت عليه من شؤونه وأحواله أنه كان عالما محققا بجاثنا متقبا مستقرًا منقرا بكل ما تتسع له هذه الالفاظ من معان وأغراض

فقد وقفت له ، فيما وقفت عليه أثناء مطالعائي ، على بحث رد فيه نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصواب ، وأقره في نساب الحق الصراح ، وأزال عنه شبه النساين الذين شابوا بياضه الناصع بسواد جهالاتهم . ذلك أن الرواة تناقلوا عن الزبير بن بكار ^(١) أنه كان يزعم أن أم النضر بن كنانة ابن خزيمه إسمها برة بنت مر بن أد بن طابخة ، وأن كنانة تزوجها بعد موت أبيه خزيمه فولدت له النضر — على عادة أهل الجاهلية من تزوج الابن الأكبر زوجة أبيه بعد موته إذا كان الولد من غيرها ^(٢) — أما أبو عثمان

(١) هو أبو عبد الله الزبير بن أبي بكر بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . له في الأخبار ورواية الانساب باع طويل . وله شعر جيد ، وكان نبيل القدر ولى قضاء مكة ودخل بغداد مراراً وألف كتباً كثيرة . وتوفى بمكة وهو قاض عليها عن أربع وثمانين من عمره سنة ٢٥٦ هـ

(٢) ومن الغريب أن كثيراً من المتسمين بسمة العلم قد خدعوا بهذه الرواية الخاطئة ولم يكلفوا أنفسهم شيئاً من عناء تحقيقها حتى ولا الشك في صحتها ، ومن هؤلاء أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السبلي الاندلسي صاحب الروض الانف في شرح السيرة النبوية والمتوفى سنة ٥٨١ هـ فانه عند كلامه على قوله تعالى « ولا تتكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف » . قال ولذلك لم يستثن الله تعالى غير ذلك من المحرمات بقوله « إلا ما قد سلف » وغير الجمع بين الاختين ، ولم يقل في الزنا ولا القتل إلا ما قد سلف ، إذ كان الجمع بين الاختين شريعة لمن قبلنا ، ونقل عن أبي بكر بن العربي أنه قال :

الجاحظ فقد دحض هذا الافتراء والقول الهراء فقال : وخاف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته ، وهى بُرة بنت أد بن طابخة، جد كنانة بن خزيمة، ولم تلد لكنانة ولدا، ذكر اولائى، ولكن كانت ابنة أخيها بُرة بنت مر بن أد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة: قال : وإنما غلط كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة خلف أباه على زوجته لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما . وهذا هو الصحيح الذى عليه مشايخنا وأهل العلم والنسب . قال : ومعاذ الله أن يكون أصاب نسب النبي صلى الله عليه وسلم نكاح مقت . وقد قال صلى الله عليه وسلم : ما زلت أخرج من نكاح كندكاح الاسلام . حتى خرجت من أبى وأمى . قال الجاحظ : ومن اعتقد غير هذا فقد كفر، والحمد لله الذى نزهه عن كل وصمة وطهره تطهيرا .

قلت : وهذا مما يرجى به المثوبة للجاحظ يوم الجزاء الأكبر

وفى سبيل التحقيق العلمى رحل الجاحظ إلى بعض الأمصار ، فقد وقفت فى كتاب الحيوان على أنه وفد على مصر وأقام بها زمنا وأجرى بها اختبارات فيما عثر عليه من حيوانها ، فقد لاحظت أنه تكلم عن النمس كلام محقق مختبر مشاهد . ومن العجب أن الجلال^(١) السيوطى لم يذكره فيمن وفد

وفائدة الاستثناء احترام نسبه عليه الصلاة والسلام إذ ليس فى نسبه الكريم نكاح سفاح . وقد كنا فى غير حاجة إلى هذا التعليل السخيف والتخريج المتكلف مادام قد ثبت أن شيئا من ذلك لم يكن كما حققه الجاحظ

(١) هو جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشير . قال ابن إياس : بلغت مؤلفاته ستائة مؤلف . توفى بالقاهرة سنة ٩١١ هـ فى عهد السلطان الغورى . ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة . وقد أزارنى هذا القبر الاستاذ حفى .
ناصف بك رحمه الله منذ عشرين سنة

على مصر من صنوف أهل العلم وأرباب المعارف في كتابه « حسن المحاضرة »
ولعل الذي دفعه إلى إغفاله تعصبه على أهل العلم من المعتزلة حتى أنه لم يقرأ
من كتب الجاحظ شيئاً ولا عني بما اختص به من علوم وفنون وآداب ، وإلا
لظهر أثر ذلك فيما ألف من كتب وصنف من أسفار

ومن آيات تحقيقه عنايته بالوضع اللغوي وتسمية ما لم يكن معروفاً عند
العرب من الأشياء بأسماء خالصة من الشذوذ ، سليمة من التناثر . فقد عن
لى أن أبحث في القواميس العربية ودواوين اللغة عن اسم لذلك اللحم الذي
في أجواف الأصداف البحرية والمحار فلم أجد له أثراً ولا وقفت له على خبر .
وبينا أقلب بين دفتي كتاب « الحيوان » عثرت له على اسم هو من أرق
الأسماء وألطفها وأخفها على اللسان . وذلك الاسم هو « اللَّبْلُ » وإذا كانت
القواميس وكتب اللغة قد خلت من هذا الاسم فإن كتب الاشتقاق لم
تعرض له طبعاً . ولست أدري إذا كان هذا اللفظ نقل عن اللغات الأجنبية
التي كانت معروفة إلى ذلك العهد ، أم أن الجاحظ تلقفه من أفواه البحريين ،
أو أنه وضعه من عند نفسه وضعاً . وعلى أى حال فالجاحظ في ذلك الحجة
التي لا تدفع والثقة التي لا ترد ، ومن جعل الجاحظ بينه وبين الله في تحقيق
اللغة والأدب وأساليب البلاغة والبيان فقد أمن العثار . وله في هذا الباب
الشيء الكثير اكتفينا منه بهذا النموذج

الفصل الثالث عشر

في

الترجمة وأساليبها ورأى الجاحظ فيها وفي النقلة

قلت فيما مضى أن الجاحظ لم يترك كتابا نقل إلى العربية حتى عهده، من أى لغة كانت ، وفي أى علم أو فن ، إلا قرأه واستظهره وتمثله ، أو كما يقولون « هضمه » ومن البين أن الكتب المنقولة عن اللغات المعروفة في ذلك العهد إلى اللغة العربية ، كانت تزخرُ بها عواصم الممالك الإسلامية ومدنها في الشرق والغرب ، بالرغم من أنه لم تكن هناك مطابع تقرب إلى الناس تناولها ، وتسهل على الطلاب تداولها ، بل كان الاعتماد كل الاعتماد في الحصول عليها، محصوراً في صناعة النسخ وتحت سلطان الوراقين . وأنت خير بما يتطلب ذلك من باهظ التكاليف ، وما يقتضيه من ارتفاع الأجور وغلاء الأسعار

وقد وقفت للجاحظ ، فيما ترجم من كتب العلوم في عهده إلى العربية، على رأى غاية في السداد والحكمة ، وهو يحل لنا مشكلا حار فيه العلماء والمفكرون عند مارأوا التباين الظاهر الذى وقع في الشروح والحواشى والتعليقات والتفسير والتأويلات التى وضعا أهل البحث وأرباب النظر أمثال الفارابى^(١)

(١) هو أبو نصر محمد بن طرخان الفارابى . الحكيم المشهور، صاحب التصانيف الفاتحة في المنطق والفلسفة وسائر العلوم القديمة . مات بدمشق

سنة ٣٣٩ هـ

وابن سينا^(١) وابن رشد^(٢) والغزالي^(٣) على كتب سقراط، وأفلاطون^(٤) وفيثاغورس^(٥) وأرسطو، وبقرط^(٦) وجالينوس^(٧) وغيرهم من كبار الفلاسفة والحكماء الأقدمين، مما جعل علماء هذا العصر يشككون في صحة ترجمة تلك الكتب، ولا يرونها نقلت إلينا علومهم على الصحة والصواب

(١) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن سينا . العالم الفيلسوف المنطقي الطبيب اللغوي الأديب المشهور . ولد في قرية من قرى بخارى تسمى أفشنة سنة ٣٧٥ هـ وتوفي بهمدان سنة ٤٢٨ هـ .
(٢) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القاضي العالم المعروف . كان واحد زمانه في الفقه والجدل والخلاف والفلسفة والطب والمنطق ، فاضلا في سائر العلوم . وكان مجلسه بجامع إشبيلية ثم بجامع قرطبة يختلف إليه طلاب العلم من أقاصى البلاد ، ومن سائر أرباب الملل والنحل ، وتخرج به خلق من اليهود والنصارى فضلا عن المسلمين . وتوفي بمراكش سنة ٥٩٥ هـ .
(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المعروف بحجة الاسلام . كان علامة زمانه في الفقه والجدل والمنطق وما إليها ، وروى له شعر . ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي بطوس سنة ٥٠٥ هـ .

(٤) هو أفلاطون الفيلسوف اليوناني الشهير . كان من أشهر فلاسفة القدم ومن أكابر أعلام الدهر الأول . وهو من سلالة ملوك أثينا . ولد ببلاد اليونان سنة ٤٢٧ قبل الميلاد، وتوفي سنة ٣٤٦ قبل الميلاد .
(٥) هو فيثاغورس الحكيم المشهور أحد أكابر الفلاسفة الأقدمين من اليونان . وهو تلميذ علماء مصر في الهندسة والطبيعة والأهليات . وفيثاغورس وأفلاطون وأرسطو شأن كبير في الفلسفة الاسلامية

(٦) هو بقراط بن هيراكليدس . طبيب طبيعي مشهور وكان يلقب « أبا الطب » . وهو من أكابر علماء اليونان وحكمتهم ولد بجزيرة كوس سنة ٦٠٠ قبل الميلاد . ومات بمدينة لاريسا في منتصف القرن الرابع .
(٧) هو جالينوس . طبيب طبيعي مشهور . من أكابر علماء اليونان . وحكمتهم . وكان موجودا في سنة ٢٠٠ ميلادية

وقبل أن نعرض عليك هذا الرأي تقف بك على ما كان متبعاً في ذلك العهد من طرق الترجمة وأساليب النقل ومناهج النقلة والمترجمين - ملخصاً عن الصلاح الصفدى - فنقول :

كان للنقلة والتراجمة في ذلك الحين طريقتان :

الأول - طريق يوحنا بن البطريق ^(١) وابن ناعمة الحمصي ^(٢) وفرقتها - وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى كل لفظة مفردة من الكلمات اليونانية ، أو غيرها من اللغات الأخرى ، وما تدل عليه من معنى ، فيأتون بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى ، فيضعونها في مكانها ، ثم ينتقلون إلى غيرها . وهكذا حتى ينتهى نقل الكتاب على هذه الصورة . ولا شك أن هذه الطريقة عقيمة جداً ، ومن الرداءة في أقصى حد . لأن الناقل قد يضطره عدم إحاطته باللغة العربية ، وعدم وقوفه على سائر مفرداتها التي تقابل الكلمات الأعجمية ، إلى ترك الكثير من هذه الكلمات كما هي على عجمتها . وهنا يصبح الكتاب لا هو بالعربي ، ولا هو بالعجمي . وقد وقع من جراء هذه الترجمة خلل كثير فيما ترجم من الكتب على هذه الطريقة ، وظلت فيها أكثر الكلمات اليونانية ، أو الفارسية ، أو الهندية ، أو السريانية ، أو اللاتينية ، على حالها . هذا فضلاً عن أن خواص التراكيب والنسب الإسنادية في أي لغة كثيراً ما لا يتفق مع

(١) هو يوحنا أو يحيى بن البطريق : كان قياً بلغة الروم اللاتينية ، عاجزاً عن معرفة العربية ، وكان في خاصة الحسن بن سهل
(٢) هو عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي المعروف بابن ناعمة . كان من رجال الترجمة والنقل ، متوسط الجودة

مافى أى لغة أخرى من هذه الخواص . بل ما يقع من الخلل عند استعمال
المجازات ومرامى الإستعارات

الثانى — طريق حنين بن إسحق^(١) والعباس بن سعيد الجوهري^(٢)
مولى المأمون ، وغيرهما ممن نحا نحوهما — وذلك أن يقرأ الناقل جملة الكلام
فيحصل معناها فى ذهنه ويعبر عنها من اللغة العربية بجملة تطابقها ، سواء
ساوت الألفاظ الألفاظ ، أم خالفها . وهذه الطريقة أجود من غيرها بلا
مراء . ولهذا قالوا : إن كتب حنين بن إسحق لم يحتج إلى تهذيب إلا فى
العلوم الرياضية ، لأنه لم يكن قيا بها ، بخلاف كتب الطب والمنطق
والطبيعى والآلهى ، فإن ما عر به منها لم يحتج إلى إصلاح . أما أقليدس^(٣)
فقد ذكروا أن ثابت بن قرّة الحرّانى هذبه ، وكذلك المجسطى
والتوسطات بينها

(١) هو أبو زيد حنين بن إسحق العبادى . كان طبيبا بارعا عالما بعلوم
الأوائل . وكان فصيحاً لساناً بليغاً يقول الشعر إذا شاء . وناهيك بمن يكون
أستاذه الخليل بن احمد . وقد نقل الى اللغة العربية كثيراً من الكتب القديمة
لأنه كان يجيد اليونانية والسريانية والرومية (اللاتينية) وكان بعض الخلفاء
يعطيه أجر النقل زنة الكتاب ذهباً . وخدم المتوكل فى الطب . مات سنة ٢٦٠ هـ
(٢) هو العباس بن سعيد الجوهري . كان فلكياً منجماً عالماً بالأرصاد
وآلاتها . وكان فى صحبة المأمون وهو مولاه . وهو الذى نذبه المأمون فى
جماعة من أصحابه لاجراء الرصد . وله فى ذلك زيچ مشهور . وكان من أكابر
المهندسين والحساب

(٣) هو أقليدس الصورى . كان أواحد أهل زمانه فى معرفة علم الهندسة
والحساب وهو من أكابر الفلسفة الرياضيين . والمقصود هنا اسم كتاب له

هذان هما طريقا النقل والترجمة في تلك العصور .

أما رأى الجاحظ الذي وعدناك بإيراده فإليك هو . قال أبو عثمان :
إن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم على خصائص معانيه ،
وحقائق مذاهبه ، ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده ، ولا يقدر أن
يوفيها حقوقها ، ويؤدي الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على
المجري ، وكيف يقدر على أدائها ، وتسليم معانيها ، والإخبار عنها ، على
حقها وصدقها ، إلا أن يكون في العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ،
وتأويلات مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه ... ! ؟

فتى كان ابن البطريق ، وابن ناعمة ، وأبو قرة ^(١) وابن فهريز ^(٢)
وابن وهبلى ، وابن المقفع : مثل أرسطو ؟ ومتى كانت خالد ^(٣) مثل
أفلاطون ... ! ؟

ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه
في نفس المعرفة . وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول [عنها] والمنقول
إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية

-
- (١) الظاهر أن المقصود به هو أبو علي ابن أبي قرة ، وكان هذا منجما
للعلى البصرى صاحب الزنج الخارج على الدولة العباسية . ثم وقع أسيرا
في يد الموفق فاستبقاه وصار في جلته وعمل كتابا في علة كسوف الشمس والقمر
(٢) لعل المقصود هنا هو حبيب بن فهريز ، وكان يلقب عبد يشوع ، وكان
مطرانا للبوصل . عرب كتب كثيرة للمأمون . وكانت بينه وبين جبرائيل
ابن بختيشوع صداقة مودة ، وكان ينقل له الكتب . وقد ذكر الجاحظ ابن فهريز
هذا في كتابه « البيان والتبيين » المطبوع بشرحنا في ص ٩٦ ج ١ فانظره هناك
(٣) هو خالد بن عبد الملك المروزي . كان من أكابر المنجمين في عهد
المأمون وكان من خاصة منجمي الدولة . وله زيج حاز شهرة واسعة في العصر الأول

ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما ،
لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها .
وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه ، كتمكنه إذا انفرد بالواحدة ؟
وإنما له قوة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما ، وكذلك إن تكلم بأكثر
من لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات
وكما كان الباب من العلم أعسر وأضيق ، والعلماء به أقل ، كان أشد
على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه . ولن نجد البتة مترجما يفي بواحد من
هؤلاء العلماء .

هذا قولنا في كتب الهندسة والتنجيم والحساب واللحون . فكيف لو
كانت هذه الكتب كتب دين وإخبار عن الله عز وجل بما يجوز عليه
بما لا يجوز عليه ، حتى يريد أن يتكلم على صحيح المعاني في الطبائع ،
ويكون ذلك متضمنا بما يجوز على الله تعالى بما لا يجوز ، وبما يجوز على
الناس مما لا يجوز . وحتى يعلم مستقر العام والخاص والمقابلات التي تلقى
الأخبار العامة المخرج فيجعلها خاصة . وحتى يعرف من الخبر ما يخصه الخبر
الذي هو أثر ، مما يخصه الخبر الذي هو قرآن ، وما يخصه العقل مما تخصه
العادة ، أو الحال الرأدة له على العموم . وحتى يعرف الصدق والكذب ،
وعلى كم معنى يشتمل ويجتمع ، وعند فقد أى معنى ينقلب ذلك الاسم .
وكذلك معرفة الحال من الصحيح ، وأى شيء تأويل الحال ، وهل يسمى
الحال كذبا أم لا يجوز ذلك ؟ وأى القولين أخش : الحال أم الكذب ؟
وفي أى موضع يكون الحال أفضع والكذب أشنع ؟ وحتى يعرف المثل
والبديع والوحي والكناية ، وفصل ما بين الخطل والهذر والمقصود والمبسوط
والاختصار . وحتى يعرف أبنية الكلام ، وعادات القوم ، وأسباب تفاههم .

والذى ذكرنا قليل من كثير ، ومتى لم يعرف ذلك المترجم خطأ فى تأويل كلام الدين . والخطأ فى الدين أضر من الخطأ فى الرياضة والصناعة والفلسفة والكيمياء ، وفى بعض المعيشة التى يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجم الذى قد ترجم لا يكمل لذلك خطأ على قدر نقصانه من الكمال . وما علم المترجم بالدليل من شبه الدليل ؟ وما علمه بالاخبار النجومية ؟ وما علمه بالحدود الخفية ، وما علمه بإصلاح سقطات الكلام وإسقاط النساخين للكتب ؟ وما علمه ببعض الخطرفة لبعض المقدمات ؟! وقد علمنا أن المقدمات لا بد أن تكون اضطرارية ، ولا بد أن تكون مرتبة وكالخط المندور . وابن البطريق وأبوقرة لا يفهمان هذا موصوفا منزلا ومرتبامفصلا ، من معلم رفيق ، ومن حاذق طب ! فكيف بكتاب قد تداولته اللغات ، واختلاف الأفلام ، وأجناس خطوط الملل والأمم ؟ ! ولو كانت الحاذق بلسان اليونانية يرمى إلى الحاذق بلسان العربية ، ثم كان العربى مقصرا عن مقدار بلاغة اليونانى لم يجد المعنى . والناقل التقصير ، ولم يجد اليونانى الذى لم يرض بمقدار بلاغته فى لسان العربية بدا من الاعتقار والتجاوز ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً أو كلمة ساقطة فيكون إنشاء عشر ورقات من حُر اللفظ وشريف المعانى أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام ! فكيف يطبق ذلك المعارض المستأجر والحكيم نفسه قد أعجزه هذا الباب ؟ !

قلت : هذا كلام الجاحظ ، وهذا رأيه فى ترجمة كتب العلوم وأسفار الأديان ، وهذا قوله فى التراجمة والنقلة القدماء ، قد أوضح به السبيل ، وأنار الطريق ، وأرسل به شعاعاً من صادق الرأى ومحكم القول وبارع

النظر وفائق الفكر ، على أمر غير العالم الاسلامى طوال هذا الدهر على غير بينة منه . فهل فى مقدور القائلين الآن بإمكان ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأوروبية، الاستنارة به والاهتداء بهديه ؟ وهل فى استطاعة مخالفينهم والقائلين باستحالة ترجمته أن يستفيدوا مما جاء به من العلل والأسباب والدوافع والموانع ؟ وهل لكلا الفريقين تدبر هذا الكلام على حقه وصدقه ، حتى يمكن الاجماع على رأى حاسم فى هذا الأمر الجليل الشأن الكبير الخطر البعيد الأثر فى أهم شأن يخص العالم الاسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها ؟!



الفصل الرابع عشر

في

نشوء الاعتزال في الاسلام

قبل أن نعرض عليك مذهب الجاحظ في الاعتزال ، نرى لزماً علينا أن نبسط لك القول في نشوء الاعتزال ، وأولية المعتزلة ، وكيف كان أصلها ومعناها ، وعلى يد من ثارت ثائرتها . فإن في بسط هذا الموضوع إبانة لمذهب الجاحظ فيه ، وإيضاحاً لما اعتمده من رأى . ولذلك نقول :

لكل دين من الأديان التي ظهرت على وجه الأرض حالة تعرفو القائمين عليه بعد ذهاب مؤسسه إلى حيث تنتهي حياة كل إنسان . فيتناول كل ذي رأى من هؤلاء الخالدين أصول هذا الدين وأسسه ويوجه إليها عنايته ، ويرسل عليها من أشعة عقله ، وبوائق تفكيره سواطع أنوار متديراً معانيها ، مستشفاً مغازيها ، مفسراً الغوامض من عباراتها ، مقرّباً البعيد من مرامي آياتها ، محاولاً إيضاح المشكل من إشاراتها ، مأولاً المشتبه من أغراضها ، مبيّناً ما دق من ملتبسها . ولا يزال بها حتى يستخرج من خلالها أصولاً يبنى عليها فروعا تقوم عنده مقام الدستور الواجب الاحترام . ثم هو لا ينفك لهجا بها ، مكبا عليها بين بسط وقبض ، ورفع وخفض ، إلى أن يستوى له منها مذهب يعرف به ، ويدعو إليه ، وينتصر له ، وينزله منه منزلة العين من الاسم ، والذات من الرسم . لا يكاد يخلو من هذه الحال دين من الأديان ، أو ينبجو منها شرع من الشرائع ، سواء في ذلك أديان السماء

وشرائع الأرض . ومن هنا كثرت المذاهب في الأديان ، وتعددت الآراء في الشرائع ، وتشعبت فيها الملل ، وتفرقت النحل .

ولم يتح للإسلام ، وهو آخر الأديان السماوية ، التخلص من هذه السنة الطبيعية ، سنة التحول والتطور ، والتشعب والتفرق . وكيف يمكن التخلص منها والانسان هو ذلك المخلوق المكون من مختلف العناصر ومتباين المواد ؟ لذلك أصيب الدين الاسلامي من هذه المذاهب بما ناء به ، وكاد يودى بروائه ، ويذهب ببهائه ، ويخرج به عن قواعده المتمكنة في الساحة والسهولة ، والتي ما كان في أجذامها لبس ولا غموض ولا إبهام .

ومن الغريب أن مدونى مذاهبه ، وكاتبى نحلّه ، حينما أولعوا بتقييد ما جد فيه من تنازع الآراء ، وما اعتوره من تجاذب الالهواء ، وما قام فيه بين أهل البحث والنظر ، وأصحاب السند والأثر ، من الجدالات والمهاترات ، أبو إلا أن يقسموا الأمة حسب آراء بعض الأفراد من هؤلاء الى أقسام ، وأن يشعبوا هذه الأقسام الى فرق تتناحر ، ونحل تتجازر ، وأن يتلمسوا لذلك أصلا يعزونه الى الشارع الأعظم ، فابتدعوا حديثا روهه من طرق شتى زعموا فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار الا واحدة ، وهى ما أنا عليه وأصحابى »

ولو صح هذا الحديث لكان نكبة كبرى على جمهور الأمة الاسلامية إذ يسجل على أغليبتها الجامعة الخلود في الجحيم ! ولو صح هذا الحديث لما قام أبو بكر في وجه مانعى الزكاة معتبرا إياهم في حالة ردة ، يحاربهم عليها ، ويقاثلهم من أجلها ، ويستحل منهم ما هو محرم من كل مسلم . ومن يدرى !

فلعل أبو بكر لو لم ينهض لقتال أهل الردة لرأينا في المؤرخين والكتاب من عدهم من الفرق الداخلة في عداد الثلاث والسبعين فرقة ؟ ولعلمهم كانوا سموهم « الزكاتية » لأنهم منعوا الزكاة كما عدوا من قاتلهم على وسموهم « الخوارج المحكمة » لأنهم قالوا « لا حكم إلا لله » ولو صح هذا الحديث لوجب على جمهور المسلمين أن لا يعرضوا بسوء لأى جماعة منهم تحاول التفرد عنهم برأى ، والتخصص دونهم بذهب ، وأن لا ينشأوا هذه الجماعة الرجوع إليهم والدخول في جملتهم ، تصديقاً لهذا الحديث وتعزيزاً له حتى يصل عدد الفرق إلى ما حدد لها فيه . ولو صح هذا الحديث لما نجا من الأمة أحد لأنه ما من فرقة من الفرق إلا ويكفر بعضها بعضاً ، ولم تسلم فرقة ما من المطاعن والمثالب والرمى بالحادى الدين ، وما من فرقة إلا وهى ترى لنفسها النجاة دون أخواتها . وكل حزب بما لديهم فرحون .

ومن أعجب العجب أن مؤرخى هذه المذاهب ، ومسجلى هاتيك الفرق ممن سلف ، تظالموا وراء هذا الحديث وأخذ كل منهم يسلسل فرقه على ما يرى ، ويولد بعضها من بعض ليصل بها الى العدد الذى حدد فيه ، غير مكاف نفسه البحث فى صحته أو فساده ، ولا مفكر فى انطباقه على العقل والطبع والنظر ، أو فى زيفه وبعده عن مطابقة الواقع ! وأشد من ذلك عجباً أن أحداً منهم لم يتحرر النظر فى سلامة أجزائه ، وفى صحة دعائمه ، كأن يتعرف هل كان اليهود فى ذلك العهد إحدى وسبعين فرقة حقاً ، وهل كان النصارى اثنتين وسبعين فرقة ؟ وكأن ينظر فيما سيأتى به الدهر الأطول من ظهور فرق ، ونبوغ مذاهب ، ونشوء فكر ، ونجوم آراء ! وهل هى داخلة فى هذا الحساب أم خارجة عنه ، مستقلة دونه ؟ وما منزلتها من هذه الفرق المحصورة العدد ؟ أم هل خدمت العقول ، ونضبت القرائح ، وتصدع الفلك ، وسلب الله من

سائر خلقه قوة البحث والنظر واعمال الفكر ، مصداقاً لهذا القول وتعزيزاً لهذا الأثر ؟ ! لاشك أن هذا مالا يقول به عاقل يحمل قدرة الله في أشرف مظاهرها وهو « العقل »

والمعتزلة — أو — القدرية — أو — أهل العدل والتوحيد — طائفة من أجل هذه الطوائف الاسلامية عقولا ، ومن أقواها نفوسا ، ومن أسدها تفكيراً . وكان لشيوخها قوة في البيان ، وبسطة في اللسان ، وشدة في الجنان ، ولهم مواقف مشهورة في الاسلام ضد مخالفيه يذودون عنه غاراتهم ، ويدفعون في أقفيتهم بناصع الأدلة وواضح البرهان .

ظهرت هذه الطائفة في أواخر القرن الأول للهجرة عند ما استفحل أمر « الأزارقة » ^(١) من الخوارج ، واشتدت شوكتهم بالبصرة والأهواز ، وأصبح أمرهم خطراً وبأسهم شديداً يهدد الدولة ، على عهد عبد الملك بن مروان ^(٢) وولاية الحجاج بن يوسف العراقيين ، ووقع الخلاف في الناس في شأن مرتكبي الذنوب ومجتري الآثام من الأمة الاسلامية . فكل جماعة ارتأت رأياً ، وذهبت مذهبا ، وقالت قولاً ، وعرضت بنظر .

(١) هم فرقة من الخوارج ، بل هم أكبر فرقة ظهرت منهم وأكثرها عدداً وأشدّها بأساً وأقواها ممنة . وهي تنسب إلى نافع بن الأزرق الحنفي أحد عظمائهم . وكان ظهورهم في عهد ابن الزبير فسير عليهم الجيوش فكانوا يهزمونها ثم سار اليهم المهلب بن أبي صفرة فهزمهم بعد خطوب في وقعة دولا ب بالاھواز . وفي هذه الوقعة مات نافع بن الأزرق وهو منهزم

(٢) هو عبد الملك بن مروان أحد أكابر ملوك بني أمية ومؤسس دولة بني مروان بالشام ، وكان من أعقل الناس وأحزمهم . وكان عهده كله حروب وفتن وأحداث وخطوب غير انه تغلب على هذا كله بالحزم وقوة البطش والاسراف في إراقة الدماء إلى أن استقر له الملك . مات بدمشق سنة

فرأى « الأزارقة » من الخوارج أن كل مرتكب لذنوب، صغيرا كان ذلك الذنب أو كبيرا، فهو مشرك بالله . وعندهم أن أطفال المشركين مشركون . ولذلك استحلوا قتل أطفال مخالفهم وقتل نسائهم ، سواء أ كانوا من أهل الاسلام أم كانوا من غيرهم .

ووافقهم « الصُفْرية »^(١) في ذلك ، إلا أنهم خالفوهم في الأطفال . وذهب « النجدات »^(٢) من الخوارج إلى أن مرتكب الكبيرة ، التي أجمعت الأمة على تحريمها ، مشرك كافر ، ومرتكب الذنب الذي اختلفت فيه الأمة ، حكمه وقف على اجتهاد أهل الفقه فيه .

ورأت « الأباضية »^(٣) من الخوارج أن مرتكب ما فيه الوعيد ، مع معرفته بالله تعالى وبما جاء من عنده ، كافر كفران نعمة ، وليس بكافر كافر شرك .

وذهب الحسن البصرى وجاعة معه إلى أن مرتكب الكبيرة من هذه الأمة منافق .

وأما الجمهور فيرى أن مرتكب الكبيرة من هذه الأمة ، مؤمن . لاعتقاده بأن كل ما جاء من عند الله حق ، ولا يمانه بالرسول والكتب المنزلة ، غير أنه يعد فاسقا بكبيرته التي ارتكبها . على أن وصفه بالفسق ، لا ينفي عنه اسم الايمان والاسلام

وبينا الناس في أمر من هذا الحال مريج ، دخل رجل على الحسن البصرى

(١) هم فرقة من الخوارج تنسب إلى زياد بن الاصفر . ويعبدون في فروغ الازارقة . وإن كانوا فارقوم في بعض القول

(٢) هم فرقة من الخوارج تنسب إلى نجدة بن عامر الحنفي ، وكانوا باليامة ثم إنهم افترقوا فيما بينهم إلى فرق كثيرة تسمى كلها النجدات

(٣) هم فرقة من الخوارج تنسب إلى عبد الله بن إباح وعنها تفرعت عدة فرق

وهو في مجلسه بمسجد البصرة فقال : يا إمام الدين ، لقد ظهر في زماننا هذا جماعة يكفرون أصحاب الكبار ، والكبيرة عندهم كفر يخرج عن الملة — وهم وعيذة الخوارج — وجماعة يُرَجُّون أصحاب الكبار. بل العمل ، على مذهبه ، ليس ركنا من الايمان . ويرون أنه لا يضر مع الايمان معصية ، ولا تنفع مع الكفر طاعة — وهم المرَجَّةُ^(١) — فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً ؟ ففكر الحسن في هذا السؤال مليا ، وقبل أن يجمع رأيه على قول يجيب به ، بادر واصل بن عطاء بالجواب وقال :

أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو في « منزلة بين المنزلتين »

فغضب الحسن لتسريعه في الجواب وجرأته في الاجابة عنه . فقام واصل في جماعة معه عن مجلسه وجلس بهم إلى اسطوانة بالمسجد . ثم أخذ يلقي عليهم رأيه ، ويلقنهم أسبابه وعلاؤه ، ويقرر لهم مقدماته ونتائجها . غير أن الحسن لم يرضه مفارقة واصل له ، وكانت له في نفسه مكانة ، فحاول مرضاته واسترجاعه إلى سابق مودته ، على أن يكون ذلك من طريق الاقتناع ، فأرسل اليه للمناظرة فلما حضر في رهط من صحبه انتدب له عمرو بن عبيد ، وكان من رؤس أصحابه ، وسأل الحسن واصل أن يكلم عمرًا ؟

فقال واصل : لم قلم : من أتى كبيرة من أهل القبلة استحق اسم النفاق ؟

فقال عمرو : لقول الله تعالى « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُخْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَّائِنِ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا »

(١) هم قوم كانوا يقولون بالارجاء في الايمان . وإنما سموا المرجئة لأنهم أرجأوا العمل عن الايمان . والارجاء في اللغة : التأخير

وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » فكان كل فاسق منافق ، إذ كانت ألف المعرفة ولاهما موجودتين في الفاسق .

فقال واصل : أليس قد وجدت الله تعالى يقول « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » ؟ وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة من أهل القبلة استحق اسم ظالم كما استحق اسم فاسق ، فالأكثر كفرتم صاحب الكبيرة من أهل القبلة بقوله تعالى « وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ » ؟ فعرف بألف ولام التعريف اللتين في قوله تعالى « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » كما قال في القاذف « وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » فسميته منافقا لقوله تعالى « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »...؟! يا أبا عثمان ، أى ما أولى أن تستعمل في أسماء المحدثين من أمتنا : ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة ، أو ما اختلفوا فيه ؟!

فقال عمرو : بل ما اتفقوا عليه أولى !

فقال واصل : أأست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه ؟ لأن الخوارج تسميه مشركا فاسقا ، والشيعة ^(١) — الزيدية — تسميه كافر نعمة فاسقا ، والحنابلة يسميه منافقا فاسقا ، والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا . فاجتمعوا على تسميته بالفاسق واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه ، فالواجب أن يسمى بالاسم الذى اتفق

(١) الشيعة من شايعوا على بن أبى طالب وحصروا الفضل والسبق والاولوية فيه . وهم فرق . منهم الزيدية وهؤلاء ينسبون الى زيد بن علي زين العابدين ، وهم من أفضل الشيعة وأنظفهم عقيدة حتى انك لا تكاد ترى فرقا بينهم وبين أهل السنة

المختلفون عليه، وهو الفسق . ولا يسمى بما عدا ذلك من الاسماء التي اختلفوا فيها . فهذا أشبه بأهل الدين ؟!

فقال عمرو : ما بيني وبين الحق عداوة ، والقول قولك ، فليشهد عليّ من حضر أتي تارك للمذهب الذي كنت أذهب إليه ، قائل بقول أبي حذيفة^(١) وأني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب

ثم انضم عمرو بن عبيد إلى واصل بن عطاء ، وأخذا في تقرير مذهبهما لمن تابعهما من الأصحاب والطلاب والاشياع . وفي الواقع أن واصل وعمرا لم يقصدا بما ارتأياه من مقالاتهما « بالمنزلة بين المنزلتين » إلا التوفيق بين مختلف الآراء ، وإلا التقريب فيما بينها ، أملا في الوحدة الجامعة ، وإشفاقا من الفرقة الممزقة ، ولم يكن لهما من وراء ذلك أي مأرب في خلاف أو تفرد برأي يعرفان به ، لولا غضب الحسن من تسرع واصل في الجواب . لأن واصل وعمرا قد كانا من الزهد والورع والنسك والتقوى واستقامة الطريقة إلى الحد الذي ليس وراءه متطلع ، وناهيك برجلين كانا مفخرة أستاذهما أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية؟!^(٢) فهذا أبو بكر الخوارزمي^(٣) كان يقول لمن سألته عن أبي هاشم : أنظر الى أثره على واصل

(١) كنية واصل

(٢) هو أبو هاشم عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب . وأبوه المعروف بابن الحنفية . وأبو هاشم هو الذي بشر محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بمصير الخلافة إلى ولده . ولأبي هاشم أتباع من الشيعة يقولون بامامته وهم من فرقة الكيسانية . وقد كان عظيم القدر جليلا موقرا كثير العلم والفضل والادب

(٣) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب المجيد والشاعر البليغ أحد أفراد الائمة في اللغة والادب والانساب . وكان حافظا مجودا . وهو ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الشهير . وله رسائل جيدة وأشعار حسان : توفي سنة ٣٩٣ هـ

ابن عطاء وعمر بن عبيد : ماذا أقول في جمر هذا شرره ، وفي سيف هذا أثره ، وفي كريم هذا نتاج سؤدده ، وآثار يده ؟!

وفي تسميتهما وأتباعهما « بالمعتزلة » أقوال : منها أن الحسن البصري عند ما فارقه واصل قال : إعتزل عنا واصل . ومنها أن الناس قالوا حينئذ : إن واصلًا وعمرًا اعتزلا قول الأمة . ومنها أن قتادة بن دعامة لما جلس في مجلس الحسن البصري بعد وفاته ، فارقه عمرو بن عبيد ، فسماه وأتباعه « المعتزلة » وقال وهب بن منبه ^(١) : إعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن فسموا « المعتزلة »

والذي أميل إليه وأرجحه في سبب هذه التسمية ، ما قيل من أن قتادة ابن دعامة السدوسي ، وكان من أصحاب الحسن ومن أحلاس مجلسه — وكان أكمه ، ومع ذلك فقد كان يسير في أنحاء البصرة بغير قائد — فدخل المسجد يوماً وإذا به أمام مجلس ظنه في بادية الأمر مجلس الحسن ، إلا أنه ما لبث أن سمع أصواتاً مرتفعة بعبارات لا يعرفها ، وكلاماً لا عهد له بمثله ، فلما عرف أنه مجلس واصل وعمر بن عبيد قال : أهؤلاء المعتزلة ؟! قال هذا من باب الاستفهام الإنكارى . فسموا من يومئذ بهذا الاسم . وهذا أقرب الأسباب إلى محجة الصواب ، لأن مسحة الطبع غالبية عليه .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن منبه المحدث الاخبارى المشهور . أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى لفتح اليمن وطرده الحبشة منه ورد الملك إلى سيف بن ذى يزن . وكان واسع الاطلاع عارفاً بأخبار الأول . مات بصنعاء سنة ١١٠ هـ

وقد روى الإمام أبو الحسن الأشعري^(١) عقيدة المعتزلة في التوحيد وغيره فقال :

« أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثل شئ وهو السميع البصير .
وليس بجسم ، ولا شبح ، ولا جثة ، ولا صورة ، ولا لحم ، ولا دم ، ولا
شخص ، ولا جوهر ، ولا عَرَض ، ولا بذى لون ، ولا طعم ولا رائحة ، ولا
محنة ، ولا بذى حرارة ، ولا برودة ، ولا رطوبة ، ولا يبوسة ، ولا طول ، ولا
عَرْض ، ولا عمق ، ولا اجتماع ، ولا افتراق ، ولا يتحرك ، ولا يسكن ،
ولا يتبعض . وليس بذى أبعاد وأجزاء ، وجوارح وأعضاء . وليس بذى
جهات ، ولا بذى يمين وشمال ، وأمام وخلف ، وفوق وتحت . ولا يحيط به
مكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسّة ولا العزلة ، ولا الحلول
في الأماكن . ولا يوصف بشئ من صفات الخلق الدالة على حدودهم .
ولا يوصف بأنه مُتَنَاهٍ . ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات . وليس
بمحدود ، ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ، ولا تحجبه الأستار ،
ولا تدركه الحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ،
ولا تجري عليه الآفات ، ولا تحمل به العاهات . وكل ما خطر بالبال وتصور
بالوهم فقير مشبه له . لم يزل أولاً سابقاً متقدماً للمحدثات ، موجوداً قبل
المخلوقات . ولم يزل علماً قادراً حياً . ولا يزال كذلك . لا تراه العيون ، ولا
تدركه الأبصار ، ولا تحيط به الأوهام ، ولا يسمع بالأسماع . شئ لا كالأشياء ،

(١) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري . من سلالة أنى موسى
الأشعري الذي حكم بين معاوية وعلي . وأبو الحسن هذا هو رأس فرقة
الأشعرية . وقد كان على مذهب المعتزلة حتى بلغ الأربعين من عمره ثم
فارقهم . وكان ربيب أنى على الجبائي أحد أباير المعتزلة . توفي سنة ٣٢٤ هـ

عالم قادر حى ، لا كالمعلماء القادرين الأحياء . وأنه القديم وحده ، ولا قديم غيره ، ولا إله سواه ، ولا شريك له فى ملكه ، ولا وزير له فى سلطانه ، ولا معين على إنشاء ما أنشأ ، وخلق ما خلق . لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خلق شئ بأهون عليه من خلق شئ آخر ، ولا بأصعب عليه منه . لا يجوز عليه اجترار المنافع ، ولا تلحقه المضار ، ولا يناله السرور والالذات ، ولا يصل اليه الأذى والآلام . ليس بذى غاية فيتنهى ، ولا يجوز عليه الفناء ، ولا يلحقه العجز والنقص . تقدر عن ملامسة النساء ، وعن اتخاذ صاحبة والأبناء »

وقد تواضع فقهاء المعتزلة على أصول خمسة اتخذوها أساساً لمذهب الاعتزال ، واتفقوا على أن من اعتنقها تامة كاملة استحق اسم « المعتزلى » ومن اعتنق بعضها دون البعض . أو زاد عليها ما ليس منها فلا يستحق شرف هذه النسبة . وهذه الأصول هى :

(١) التوحيد — وهو اعتقاد أن الله تعالى واحد لا شريك له فى وحدانيته وأنه قديم وكل ما سواه محدث . وأنه لا تدركه الحواس فى الدنيا بأى كيفية ، ولا يرى فى الآخرة بأى صورة . خلق الأشياء وابتدعها على غير مثال ، وتنزه عن الأشباه والأمثال ، لا يحصره مكان ، ولا يحده زمان . ليس بجسم ، ولا عَرَض ، ولا عنصر ، ولا جزء ، ولا جوهر . وهو البارى لهذا كله . وهو عالم لذاته ، لا يعلم . قادر لذاته ، لا بقدرة . حى لذاته ، لا بحياة . وليكنها صفات قديمة ، ومعان قائمة به ، غير مشاركة له فى القدم الذى هو أخص صفاته الذاتية .

وقد وُضع هذا الأصل رداً لأقوال المجسمة^(١) ودفعاً لمزاعم

(١) هم فرقة قديمة تجعل لله جسماً ذا أعضاء يكسب الانسان . تعالى الله

المُشَبَّهَةِ^(١) من الرافضة^(٢) وغلاة الشيعة. وعلى رأسهم مقاتلُ بن سليمان^(٣)

(٢) العدل — وهو اعتقاد أن الله تعالى حكيم لا يحب الفساد ، ولا يفعل الشر . بل هو لحكمته لا يفعل إلا الخير والصلاح ، ولا يصدر عنه إلا ما فيه رعاية مصلحة العباد . وأن أفعال العباد التي تصدر عنهم من خير وشر وصلاح وفساد ، منسوبة إليهم يشابون عليها ويعاقبون بها في دار الجزاء . لأنهم بقدره رُكِبَتْ فيهم قادرون على خلق أفعالهم ، وهو سبحانه المالك لها دونهم ، يسلبهم إياها إذا شاء ، ويقيها لهم إذا أراد ، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطراباً عن معصيته ، ولكنه لا يفعل . إذ كان في ذلك رَفْعٌ للمحنة ، وإزالة للبلوى . ولم يكاف عباده ما لا يطيقون ، ولا أرادهم على ما لا يقدرون عليه . وأنه تعالى ولي كل حسنة أمر بها ، برىء من كل سيئة نهى عنها . لا يقدر أحد على قبض أو بسط إلا بقدرته التي ركبت فيه .

وقد وُضع هذا الأصل رداً على المُجْبِرَةِ^(٤) ، وبعض الرافضة القائلين

(١) هم فرقة لها رأيان في التشبيه: فمن قائل منها بتشبيه ذات الباري بذات غيره من مخلوقاته . ومن قائل بتشبيه صفاته بصفات مستحدثاته
(٢) هم فرقة من الشيعة غالت في رفض تولى أبي بكر وعمر ، ولها آراء وفكر غريبة

(٣) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان الخراساني الأزدي بالولاء ، كان من العلماء الأجلاء اشتهر بتفسير كتاب الله العزيز حتى قال الامام الشافعي: الناس كلهم عيال على ثلاثة : على مقاتل بن سليمان في التفسير ، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر ، وعلى أبي حنيفة في الكلام . وقوم يوثقونه وقوم يجرحونه ، وكان يرمى بالتشبيه . توفي بالبصرة سنة ١٥٠ هـ

(٤) هم فرقة كانت تقول بأن الانسان مجبر على إحداث أعماله من حسنة وسيئة

بجواز وقوع الظلم من الله تعالى ، وعلى رأسهم جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ^(١)
 (٣) أُلُوْعِد والوَعِيد — وهو اعتقاد أن الله تعالى صادق الوعد ، نافذ الوعيد ، يثيب المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة واستقامة ، ولا يفر لمرتكب الكبائر إذا خرج من الدنيا على غير توبة ، وإلا استحق الخلود في النار . غير أن عقابه يكون أخف من عقاب الكافر . ودركته فوق دركته . لا مبدل لكلمات الله .

وقد وُضِعَ هذا الأصل ردّاً على القائلين بجواز الكذب على الله تعالى فيما وعد به وأوعد .

(٤) الأَسْمَاءُ والأَحْكَام — أو — المَنْزِلَةُ بين المنزلتين — وهو الإقرار بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، ولكنه يُعَدُّ في منزلة بين الإيمان والكفر ، وهى الفسق .

فاذا خرج من الدنيا وهو مُصِرٌّ على فسقه كان مُخْلِداً في النار ، ولكن لا على طريق خلود الكافرين فيها .

وهذا الأصل هو منشأ الاعتزال . وما أراد به واصل بن عطاء وعمرو ابن عبيد ، حين نهضا به ، إلا التآلف والتوافق بين مختلف الآراء ، ونفى التشدد من بين الخوارج وخصومهم . ولأن الإيمان عندهما وعند أصحابهما عبارة عن خصال الخير إذا اجتمعت في إنسان سمي مؤمناً . وهو اسم مدح . والفاسق لم يستجمع الخير ، فهو غير حقيق باسم المدح ، وهو إذاً لا يسمى مؤمناً ، وليس هو بكافر . لأن الشهادة وما يندرج تحتها من خصال الخير موجودة فيه لا إنكار لها ، ولكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير

(١) هو جهم بن صفوان الترمذى . فارسی الأصل وهو رأس الجبرية المخالفة للقدرية . وإليه تنسب فرق الجهمية . مات سنة ١٣١ هـ

توبة، حق عليه الخلود في النار، إذ ليس في دار الجزاء إلا «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» .

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — وهو الإقرار بأن أهل الإيمان مكلفون بمراعاة حدود الله وإقامة أحكامه، وأن التكليف إنما هي ألطاف من الله تعالى امتحن بها عباده بواسطة رسله واختبرهم بأدائها «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ» وأوجب على كل مؤمن الدعوة إليها والتحذير من مخالفتها .

وقد وُضع هذا الأصل تنفيذا لقوله تعالى «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» وتقييداً للمعتزلة بالقيام عليها، والصدوع بها، والنهوض بحمل أعبائها .

فهذه هي الأصول الخمسة التي وضعها فقهاء المعتزلة عقيدة لهم يدورون حولها، ويتجهون نحوها، ولا يبعغون عنها حولا . مع إجازة البحث فيما يتفرع عنها من الآراء، والنظر فيما يعرض فيها من الفكر .

ولهم غير هذه الأصول رأى في الإمامة وقول في الإمام . فهم يرون أن الإمامة اختيار من الأمة، فلائمة الحق المطلق في اختيار الإمام الذي يستطيع النهوض بأحكام الله تعالى فينفذها على وجهها ويردها إلى الحدود التي وضعتها الشريعة لها، سواء أكان الإمام من قريش، أم كان من غيرها . لأنهم لا يقرون بأن هناك نصاً على رجل بعينه، أو على قبيلة بذاتها . وقد وافقهم على ذلك جماعة من الزيدية . وسائر الخوارج من الأباضية وغيرهم، إلا النجديات من الخوارج . مستدلين في ذلك بما روى من أن عمر بن الخطاب حينما فوض الأمر إلى أهل الشورى قال : لو كان سالم^(١) حياً ما دخلتني فيه رية .

(١) هو سالم بن معقل . أصله من اصطخر . كان مولى أبي حذيفة بن عتبة .

وسالم، هذا كان مولى لامرأة من الأنصار، وكان يعرف بسالم مولى أبي حذيفة — فلم يكن عمره على علم من أن الامامة جائزة في سائر المسلمين لما أطلق هذا القول، ولما تأسف على موت سالم في هذا المقام. وقد خالفهم في ذلك أبو حنيفة، وأكثر المرجئة وجمهور الزيدية^(١) من الجارودية وغيرهم، وسائر الشيعة، والرافضة، والراوندية^(٢) فذهب هؤلاء جميعاً إلى أن الامامة لا تجوز إلا في قريش. مستندين في ذلك بما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الامامة في قريش، قدّموا قريشاً ولا تقدّموها. وقد مضى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد إلى ربهما قبل أن تذيع في الناس ترجمة كتب الفلسفة والحكمة والمنطق والطبيعات والآلهيات وغيرها عن اليونان والفرس والروم والهند والسرّيان. أغنى أهتمامهم المذهب بسيطاً ساذجاً، لم يعتمدا في إبانته وتثبيت دعائمه، إلا على البلاغة العربية والفصاحة البدوية وإلا على البيان وقوة اللسان. فلما ذاعت هذه العلوم منقولة إلى العربية في أوائل العصر العباسي أقبل الناس عليها، وتهاوتوا على شرعتها، فنشأ علم الكلام. فكان ممن برع فيه وفي غيره من علوم الأوائل، زعيمهم المبين وفيلسوفهم الكبير أبو الهذيل العلاف، ثم ذكيهم الأملعي، وفطنهم اللوزعي، أبو إسحق إبراهيم بن سيار النظام، ثم حامل لوائهم والذائد عن حياضهم وخطيب حفلهم ومخلّد ذكرهم صاحبنا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. وكان على جانب عظيم من التقوى والصلاح واستقامة السيرة. شهد بدرًا وأخى رسول الله بينه وبين أبي بكر. واستشهد يوم اليمامة في حرب مسيلة الكذاب (١) هم فرقة من فرق الزيدية تنسب إلى أبي الجارون زياد بن المنذر العبدى، انفردوا برأى في الامامة وفي شأن الصحابة (٢) هم فرقة من شيعة بنى العباس. قد غالت في تشبيها إلى حد دعا الخليفة المهدي إلى تجريد الجيوش عليها وتشيت شملها كما أظهرت الخروج في مذهبها

الفصل الخامس عشر

في

مذهب الجاحظ في الاعتزال

عرفت مما بسطناه لك في الفصل السابق، كيف نشأ الاعتزال في الاسلام، ووقفنا بك على السبب الذي من أجله فارق واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد رأسا المعتزلة مجلس الحسن البصري شيخهما، وعلة تسميتهم بهذا الاسم، كما عرفت العقيدة التي يدينون الله بها، ووقفت على أصولهم التي تواضعوا عليها، وآرائهم التي شعبوها عنها في مختلف المقاصد التي انتحوها. وأنت ترى معنى أن المسألة قد كانت في بداءة الأمر من المسائل الاجتهادية التي إن أثبت فيها المصيب على إصابته، لم يَأْتَم فيها المخطئ على خطائه. ومع هذا فقد نشأت عنها أحداثٌ ونجمت غيرٌ، وثارَت فيها مناظرات، وقامت عليها سوق الجدل، وتشعبت أنحاء، وتفرعت فكر، وتولدت مذاهب، واختلفت نحل.

ولما كان الجاحظ من شيوخ المعتزلة ورؤسهم ومن ذوى الرأى الصائب، والنظر النافذ فيهم، فقد انفرد من بينهم بآراء خاصة، تابعه عليها قوم منهم تسموا « بالجاحظية » فكان شيخ مذهب فيهم ورأس فرقة منهم. وليس فيما هو متداول من كتبه ما يمكن استخراج مذهبه الاعتزالي منه، لأن كتبه التي وضعها في هذا الباب قد بادت مع ما باد من جمهور مؤلفاته. غير أن بعض الرواة والمؤرخين قد رَووا له آراء في المذهب، ونحلوه أقوالا لا نرى بدا من عرض خلاصتها، ملقين تبعها عليهم، إن حقاً فحق وإن بطلا فبطل.

ثم نعقب عليها بما قد نراه مما يظهر زيفها من صحيحها . على أنه يجب أن تعرف ، غير شك ولا مستريب ، أن أكثر هؤلاء الرواة إنما هم من خصوم المعتزلة ، ومن نصبوا أنفسهم للطعن فيهم والنيل منهم .

ناهيك بعداوة ابن الراوندى ^(١) والبغدادى ^(٢) وابن حزم ، والشهرستانى ^(٣) .

فقد زعم هؤلاء أن الجاحظ كان يقول :

(١) إن المعارف كلها ضرورية طباع ، وليس شئ منها من أفعال العباد ، وإنما وقعت منهم طباعا ، وليس لهم فيها اختيار على الحقيقة ، وإنما تنسب إليهم على أنها وجبت بإرادتهم ، فإنه ليس للعبد كسب سوى الإرادة .

(٢) ليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى .

(٣) الكفار بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه ، فهو لا يُشكر بما عنده من المعرفة بخالقه ، وصدق رسله .

(٤) مُحال أن يُعدم الله الأجسام بعد وجودها ، وإن أوجدها بعد عدمها . ولا يمكن البتة إفنائها إلا أن يُرققها ويفرق أجزائها فقط . فالأعراض تتبدل ، والجواهر يستحيل عليها الفناء .

(١) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى الراوندى ، كاتب فيلسوف متردد الرأى . كثير التنقل في المذاهب يرمى بالزندقة . ويروى أنه مات على توبة سنة ٢٩٨ هـ .
(٢) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التيمى البغدادى صاحب كتاب « الفرق بين الفرق » الذى نشره بالطبع صديقنا العلامة الدكتور محمد بدر سنة ١٩١٠ توفى البغدادى سنة ٤٢٩ هـ .

(٣) هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى صاحب كتاب « الملل والنحل » عالم فاضل وفقه محقق ، ومتكلم نظار . ولد بشهرستان سنة ٤٤٩ هـ وتوفى بها سنة ٥٤٨ هـ .

(٥) ليس للإرادة أصل، ولكنها جنس من الأعراض إذا انتفى السهو عن الفاعل، وكان عالماً بما يفعله، فهو المريد على التحقيق. وأما الإرادة المتعلقة بفعل الغير فهو ميل النفس إليه.

(٦) جائز أن يوصف الله تعالى بأنه مريد، بمعنى أنه لا يصح في حقه السهو في أفعاله ولا الجهل بها، ولا يجوز أن يُغلب أو يُقهر.

(٧) إن الله لا يُدخل النار أحداً، وإنما النار هي التي تجذب أهلها إليها بطبيعتها، ثم تمسكهم فيها على الخلود، وليس معنى الخلود أن يُصلوا فيها عذاباً أبداً! وإنما هم يصيرون إلى طبيعتها.

(٨) إن للأجسام طبائع وأفعالا مخصوصة بها.

(٩) إن القدر خيرُه وشره من العبد.

(١٠) إن الخلق كلهم من العقلاء عالمون بأن الله تعالى خالقهم، وعارفون بأنهم محتاجون إلى النبي، وهم محجوجون بمعرفتهم. ثم هم صنفان: عالم بالتوحيد، وجاهل به: فالجاهل معذور، والعالم محجوج.

(١١) إن من دان بالاسلام وجب عليه أن يعتقد أن الله تعالى ليس بجسم، ولا صورة، ولا يرى بالأبصار، وأنه عدل لا يمحور، وأنه لا يريد المعاصي. فإن أقر بذلك كله — بعد الاعتقاد والتبيين — فهو مسلم حقاً. وإن عرف ذلك كله ثم جحدته وأنكره، أو دان بالتشبيه والجبر، فهو مشرك كافر حقاً. وإن لم ينظر في شيء من ذلك واعتقد أن الله تعالى ربه، وأن محمداً رسول الله، فهو مؤمن، لا لوم عليه ولا تكليف غير ذلك.

وقد تقولوا على الجاحظ غير ذلك أقاويل أخر، ردها أنصاره، ودفعها أشياعه. ومن استخف ما تقولوه عليه ما رواه الشهرستاني منسوباً إلى ابن

الراوندى ونقله المقرئى^(١) عن الشهرستانى ، أنه كان يقول : إن القرآن المنزل من قبيل الأجساد ، ويمكن أن يصير مرة رجلاً ، ومرة حيواناً...؟! ولا شك فى أن هذا افتراء محض وكذب صراح ، فما كان مثل الجاحظ يتنزل إلى هذا الدرك من السخف ، أو يسف إلى هذا الحضيض من الهراء ! ولا أدرى كيف روى الشهرستانى هذه القرية الجاهلة عن ابن الراوندى ، دون تزييفها وإبانة دغلها ، مع أن أبا الحسين الخياط^(٢) قد استصفى فى كتابه « الانتصار » كل مطاعن ابن الراوندى فى المعتزلة ، وفى صدرهم الجاحظ ، وجاء فيه بما رماهم به من المساوىء والمثالب ، وردها عليه ، واحدة فى إثر واحدة ، بالحجج القاطعة والبراهين الدامغة ، ومع هذا لم يرد لهذه القولة المقترة أى أثر فى تقولات ابن الراوندى على الجاحظ . كذلك قد روى الامام أبو الحسن الأشعري جميع أقوال المعتزلة ، جليها ودقيقها ، فى كتابه « مقالات الاسلاميين » بكل دقة وحرص ، ولم يرد لهذه الأكذوبة أى إشارة . وها هو ابن قتيبة وابن حزم والبغدادى ، وكلهم خصم للجاحظ ، لم ينسبوا إليه شيئاً من هذا رأى الفائل . ولو أن أحداً منهم عثر للجاحظ على شىء من هذا ، ولو من طريق الإيحاء والتعريض ، لملا الدنيا تشييعاً عليه ،

(١) هو تقي الدين احمد بن على بن عبد القادر المقرئى المؤرخ المصرى الشهير صاحب كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » المعروف بخط المقرئى ، وكان من المتفنين فى العلوم . ولى حبة القاهرة زمناً . وكان مولده سنة ٧٦٩ هـ وتوفى سنة ٨٤٠ هـ .

(٢) هو ابو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط صاحب كتاب « الانتصار » الذى يرد به على ابن الراوندى . كان من أكابر المعتزلة وأعيان المتكلمين ، وكان من العلم والفضل وقوة الحجة على جانب عظيم ، وكان مع هذا فقيهاً محدثاً كثير الحفظ . وكان يفضل على بن أبى طالب على جميع الصحابة توفى سنة ٣٠٠ هـ .

وتحقيراه ، وطعننا فيه . ألحق أنها فرية كاذبة لا يصح أن تصدر من عاقل ، لا ولا من مأفون .

وفي تعليق لأبي الحسين الخياط على مفتريات ابن الراوندى على الجاحظ في قوله « محال أن يعدم الله الأجسام بعد وجودها » يقول ابن الراوندى : ومتى استحال أن يعدم الجسم بعد وجوده ، استحال أيضا وجوده بعد عدمه . فقال الخياط : وهذا كذب على الجاحظ عظيم ، وذلك أن قول الرجل إنما يعرف بحكاية أصحابه عنه أو بكتبه ، فهل وجد هذا القول في كتاب من كتبه ؟ فإن كتب عمرو الجاحظ معروفة مشهورة في أيدي الناس ! أو هل حكاها عنه أحد من أصحابه ؟ فإذا كان الرجل ميتا فكنته وأصحابه تخبر بخلاف ماقرفه به هذا الماخن الكذاب . فقد تبين كذبه وبهته وجهله . وبعد فمن قرأ كتاب عمرو الجاحظ في الرد على المشبهة ، وكتابه في الأخبار وإثبات النبوة ، وكتابه في نظم القرآن ، علم أن له في الاسلام غناء عظيما لم يكن الله عز وجل ليضيعه له .

قلت : ولا ضير على الجاحظ ، إن كان قد قال ببقاء المادة وعدم تلاشيها ، فإن هذا القول قد أصبح في عصرنا هذا مذهباً معروفاً ، يسلم به ويدين بصحة أسسه ، الكثير من أكابر العلماء وفحول أهل البحث والنظر ، في أوربا وأمريكا وغيرهما من قارات الدنيا ، ولهم على صحته من الأدلة والبرهانات المبنية على البحث العلمي والاستقراء الطبيعي ، ما لا سبيل إلى دفعه أو إضعافه . اللهم إلا إذا جاءنا الزمن ، وهو أبو العجب ، من الغوامض العلمية التي تظهر آنا بعد آن ، بما لم يخطر على البال ، فينتصر المذهب الروحي على المذهب المادى . غير أن المذهب المادى لا يزال من المشاهد أن له السيادة الصحيحة حتى الآن . فإذا سلمنا بأن الجاحظ كان قد ارتآى هذا الرأي واعتنق هذا

المذهب ، ولم يلصقه به ابن الراوندى إصافاً ، كان له فضل سبق الى كشفه والقول به منذ أحد عشر قرناً .

وكان ابن الراوندى ما يزال يرمى المعتزلة بالشنع ، ولا يتورع فى الكذب عليهم ، ووضع المآثم والمساخذ على أسنتهم . وكان قد رمى الجاحظ ببغض الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فرد عليه الخياط بقوله :

وأما رميك للجاحظ ببغض الرسول ، فهو دليل على أنك لا تعرف المحب من المبغض ، ولا الولى من العدو . لأنه لا يعرف المتكلمون أحداً منهم نصر الرسالة واحتج للنبوة ، بلغ فى ذلك ما بلغه الجاحظ ، ولا يعرف كتاب فى الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه وأنه حجة لمحمد صلى الله عليه وسلم على نبوته ، غير كتاب الجاحظ . وهذه كتبه فى إثبات الرسالة ، وكتبه فى تصحيح مجىء الأخبار ، مشهورة . وهل يستدل على حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والإيمان به وتصديقه فيما جاء به ، بشئ ، أوكد مما يستدل به على حب الجاحظ الرسول وتصديقه إياه ؟ !

قلت : ومن أقوى الأدلة وأبرعها على أن الجاحظ كان أتقى من أن يرمى بما رماه به ابن الراوندى فى شأن الرسول ، أنه صحح النسب الشريف وأثبت أنه فوق كل نسب شرفاً وطهراً ، وأظهر كذب النسايب وخطأهم ، فيما رويناك فى فصل مضى من هذا الكتاب .

الفصل السادس عشر

في

شأن الجاحظ مع ابن الزيات وابن أبي دؤاد

كان الجاحظ ذا حظوة عند رجال الدولة العباسية ، وكانوا جميعاً يقدرّون فضله ، ويعجبون به ويكبرون شأنه ، ويجلون ما اختص به من المعارف الواسعة وما طبع عليه من لطف المعشر ، وجميل السمر ، وتدفق النوادر والفكاهات . ولم يكن واحد منهم إلا ويتعنى أن يكون الجاحظ إلى جانبه وفي جملة . غير أن الجاحظ كان هواه في أشخاص دون آخرين . ولهذا أثر أن يفضل جانب ابن الزيات الوزير ، على جانب ابن أبي دؤاد القاضي . وقد كانت الدسائس تدب عقاربها ، والوشايات تعمل عملها ، بين الوزير والقاضي ، فلما ظهرت العداوة والبغضاء منهما ، واتسعت هوة الشئان بينهما ، سعى بابن الزيات حتى قبض عليه ، ففر الجاحظ ، فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خِفت . أن أكون ثانی اثنين إذ هما في التنور ؟!

يشير إلى التنور الذي صنعه ابن الزيات وجعل في جوفه المسامير ليعذب به خصومه ، فعذب هو فيه ، فيما قيل ، حتى مات .

ثم عُثر على الجاحظ وجيء به إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، فدخل عليه مغلول العنق بسلسلة ، مقيد الرجلين ، في قيص سَمَلٍ . فلما وقع نظره عليه قال : والله ما علمتُك إلا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصنيعة ، معداً للساوى . وما فُتِننى باستصلاحى لك ولكن الأيام لا تصلح منك ، لفساد طويتك

ورداة دخلتك ، وسوء اختيارك ، وغالب طبعك .

فقال الجاحظ : خفض عليك أيدك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر على خير من أن يكون لى عليك ، ولأن أسىء وتحسن أحسن فى الأحداث . من أن أحسن وتسيء ، ولأن تغفو عنى فى حال قدرتك أجمل بك من الانتقام منى .

فقال له ابن أبى دؤاد : قبحك الله ، والله ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام ، وقد جعلت بيانك أمام قلبك ثم اضغنت فيه النفاق والكفر . ما تأويل هذه الآية « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْىَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » ؟

قال الجاحظ : تلاوتها تأويلها ، أعز الله القاضى !

فقال : جيئوا بحداد !

فقال : أعز الله القاضى ، ليفك عنى أو ليز يدنى ؟!

فقال : بل ليفك عنك .

فجىء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساقه ويطيل أمره قليلا ، فلطمه الجاحظ وقال : إعمل عمل شهر فى يوم ، وعمل يوم فى ساعة ، وعمل ساعة فى لحظة ، فإن الضرر على ساقى ، وليس يجزع ولا ساجة ! فضحك ابن أبى دؤاد وأهل المجلس منه . وقال القاضى لمحمد بن منصور^(١)

(١) هو محمد بن منصور بن زياد . وكان يلقب (قى العسكر) وكان فى أول أمره كاتباً للبرامكة ثم تنقلت به الأحوال فى خدمة السلطان . قال أبو العينا : إنه كان يلى قضاء فارس وخوزستان إلى أن صار من سراة الدولة وعظماؤها . ولائى يعقوب الخرمي فيه وفى آله مدائح ومراث حسان ، ومدحه أشجع السلمى ورأى ازدحام الناس على بابه فقال :

على باب ابن منصور علامات من البذل
جماعات وحسب البنا ب نلا كثرة الأهل

وكان حاضراً : أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينته ؟ ثم قال : يا غلام ، صر به إلى الحمام وأمط عنه الأذى .

فنزعه عنه الغل والقيد ، وأدخل الحمام وحمل إليه تحت من الثياب وطويلة وخف ، فلبس ذلك . ثم جاءه فصدره في المجلس ثم أقبل عليه وقال : هات الآن حديثك يا أبا عثمان ؟ !

قلت : أنظر إلى هذه الأخلاق الراقية ، والنفوس الزاكية ، وإلى هذه القلوب الكبيرة ، والصدور الرحبة ! أحمد ابن أبي دؤاد — وهو من صدور الدولة ، وجباه الملة ، ورؤس الأمة — يعامل الجاحظ — وهو الذي مالاً عليه عدوه الألد ، وناصر خصمه الأشد — بهذه المعاملة النبيلة ، وينزله منه هذه المنزلة الجليلة ؟ إن هذا هو الخلق الكريم ، إن هذا هو الفضل العظيم . وهل أكرم في الجاحظ إلا علمه ؟ وهل آثر منه إلا فهمه ؟ وهل أجل إلا أدبه ؟ وهل أعظم إلا بيانه ولسنه ؟ !

ثم أدر طرفك في أهل هذا الزمن ، فهل ترى من هاتيك الفضائل طرفاً في أمير أو وزير ؟ وهل تجد من تلك الشمايل أثراً في عظيم أو كبير ؟ وهل أحسست منهم إلا نفوساً دينئة ، وقلوباً وبيئة ، وصدوراً يضطرب فيها الغل ، ويصطخب الحقد والضغن ؟ !

أَرَى زَمَنًا نَوَّكَاهُ أَكْرَمُ أَهْلِهِ وَلَكِنَّمَا يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ (١)
مَشَى فَوْقَهُ رِجْلَاهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ فَكَبَّ الْأَعَالَى بَارِ تَفَاعِ الْأَسَافِلِ

(١) النوك ، جمع أنوك ، والآنوك : اللاحق الذي لاخير فيه

الفصل السابع عشر

في

رأى الجاحظ في العروض والشعر

تعلق الجاحظ بالشعر ، وحاول التبريز فيه ، والتفوق في مناحيه ، تبريزه في النثر وتفوقه فيه ، وارتقاءه إلى رفته ، وقبضه على ناصيته . ولكن الطبيعة أشد ضنًا من أن تبلغ بإنسان ذوابة الكمال . ولذلك لم ينل من الشعر بما أمل ، ولم يبلغ فيه ما قدر ، فرجحت كفة ميزانه في النثر ، وشالت أختها في الشعر . وكان يقول : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يحسن إلا إعرابه ، فمطقت على أبي عبيدة فرأيته لا ينقل إلا فيما اتصل بالأخبار وتعلق بالأنساب والأيام ؟ ولم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب^(١) ومحمد بن عبد الملك الزيات .

(١) هو أبو علي الحسن بن وهب بن سفيان الكاتب العالم الشاعر الأديب . وهو من ذلك البيت الذي تسلسل في الكتابة للأمرء والوزراء والخلفاء من بني أمية وبني العباس ، وقد ظلت الوزارة في هذا البيت أيام بني العباس زمنًا يتوارثونها كبارًا عن كبار . وكان الحسن هذا يكتب أولًا لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم ترقى به الحال إلى أن تولى ديوان الرسائل ببغداد ، ثم تقلد البريد بالشام في عهد المتوكل على الله العباسي . وله رسائل مدونه آية في البلاغة ، وشعر غاية في الجودة ، وكان مولده ببغداد سنة ١٨٦ هـ وتوفي في حدود سنة ٢٤٧ هـ

وكان، وهو في سبيل الطلب، مغرماً بتعلم العروض، مكبراً من شأنه .
ولهذا كان يقول :

«العروض ميزان الشعر ومعياره ، وبه يعرف الصحيح من السقيم ،
والمعتل من السليم ، والقريض من الشعر ، وبه يسلم من الأود والكسر»
فلما لم يبلغ فيه إربته ، ولم ينل منه بغيته ، ولم يتهبأ له فيه مراده ، قال :
«العروض علم مردود ، ومذهب مرفوض ، وكلام مجهول ، يستكد
العقول ، بمستفعل ومفعول ، من غير فائدة ولا محصول

وهذا من غريب التصرف في ضروب الكلام ، الذي اختص به الجاحظ
وفاق فيه غيره من سائر كتّاب العربية ، وناهيك برجل يضع رسالة يفاضل
فيها بين المسك والرماد ؟ !

وعلى ذكر العروض وقول الجاحظ فيه ، أروى هنا قولاً غريباً عثرت
به لأحد علماء مصر ، وهو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري الملقب
شمس الدين ، قال : إن الشعر اليوناني له وزن مخصوص ، والليونان عروض
لبحور الشعر ، والتفاعيل عندهم تسمى الأيدي والأرجل . قال : ولا يبعد
أن يكون وصل إلى الخليل بن أحمد شيء من ذلك فأعانه على إبراز العروض
إلى الوجود . ؟ !

قلت : إذا صح أن الخليل بن أحمد كان يعرف اللغة اليونانية ، وكان
يعرفها معرفة جيدة ، كان لهذا القول مكانه في الصدق والصواب ، ويكون
لهذا التظني شيء من الوجهة والسداد ، ولكن ذلك لم يثبت ، ولم يتقدم
هذا الشيخ بالقول به أحد ، ولم يُعرف عن الخليل أن له أي إلمام بأية لغة
غير العربية

وللجاحظ رأى فى الشعر ، وهل فى الامكان ترجمته إلى اللغات الأخرى ؟ أما هو فيقول :

وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب ،
والشعر لا يُستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حُول تقطع
نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب منه ،
وعار كالكلام المنثور . والكلام المنثور المبتدأ على ذلك ، أحسن من المنثور
المنقول عن موزون الشعر . وقد نقلت كتب الهند ، وترُجمت حكم اليونان ،
وحُولت آداب الفرس ، فبعضها ازداد حسناً ، وبعضها ما انتقص شيئاً .
ولو حُولت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذى هو الوزن . ثم إنهم لو حولوها
لم يجدوا فى معانيها شيئاً لم تذكره العجم فى كتبهم التى وضعت لمعاشهم
وفطنهم وحكمهم . وقد نقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة ، ومن قرن إلى
قرن ، ومن لسان إلى لسان ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخر من ورثها
ونظر فيها .

قلت : وهذا قول لا غبار عليه ، ورأى جدير بالنظر والاعتبار ، من
كل مشتغل بهذا الفن ، أو متجه نحو هذه الفكرة . لأنه قول خبير ،
ورأى عليم

الفصل الثامن عشر

في

وصف مؤلفاته واحصائها

قال المسعودي: كتب الجاحظ تجلوصداً الأذهان ، وتكشف واضح البرهان ، لأنه نظمها أحسن نظم ، ووصفها أحسن وصف ، وكساها من كلامه أجزل لفظ ، وكان إذا تخوف ملل القارئ ، وسأمة السامع ، خرج من جد إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة . . . وسائر كتبه في نهايه الكمال . . . ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه أقول : وقد اعتمدت في ذكر مؤلفاته على ما ذكره هو في كتابه « الحيوان » وعلى ما أورده ياقوت في كتابه « معجم الأدباء » وعلى ما عثرت به في غيرها من الكتب والأسفار . وقد جهدت أن لا يقع فيها تكرار ، وإن كان النساخ الأقدمون قد جعلوا لبعض كتب الجاحظ عدة عناوين ، مما أجاز اللبس على كثير من الفارقين ، ومما يحول دون الاستقصاء الصحيح . كما أنه قد وُضع الكثير من الكتب معزوة إليه . غير أنه مما لا يصح أن يشك فيه ، أن هذا الثبّت أصح وأوفى وأوضح من غيره على صورة مطلقة . وقد رتبته على الحروف . واليك هو :

١

كتاب آل إبراهيم بن المَدْبَر^(١) في المكاتبه

٢

كتاب آى القرآن

قال الجاحظ: جمعت فى هذا الكتاب آيات من القرآن يتعرف بها
فرق ما بين الإيجاز والحذف ، وما بين الزوائد والفضول والاستعارات .

٣

رسالة فى إثم السكر

٤

وسالة إلى أبى النجم^(٢) وجوابه

٥

كتاب إحالة القدرة على الظلم

٦

كتاب الإحتجاج لنظم القرآن

قال الباقلاني: وقد صنف الجاحظ فى نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على
ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس فى أكثر هذا المعنى .
وهذا كلام فيه عهدة! لأن الباقلاني يريد أن يعان أنه هو وحده الذى
استطاع أن يبرز المتقدمين فى الاحتجاج لأعجاز القرآن ونظمه .

(١) آل المدبر: هم أحمد ومحمد وإبراهيم. وكلهم كاتب بليغ وشاعر مجيد.
وما منهم إلا من ولى الولايات الجليلة ، وعمل للسلطان الأعمال النافعة ، فى
عهد الخلفاء العباسيين من المعتصم إلى المعتضد. ولأحمد وإبراهيم أخبار حسان
(٢) هو أبو النجم هلال الأنبارى مولى بنى سليم ومن أهل بغداد. وكان
من الكتاب المترسلين . وكان ولده صالح كاتباً ، وولده أحمد شاعراً

٧

كتاب أجدوثة العالم

٨

كتاب الأخبار

وقد ذكر له كتابان آخران ، هما « كتاب الأخبار وكيف تصح »
وكتاب « تصحيح الأخبار » ولعل هذه الأسماء لمسمى واحد

٩

كتاب الأخطار والمراتب والصناعات

١٠

كتاب أخلاق الشُّطَّار

١١

كتاب أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة
ذكر هذا الكتاب في كتاب التاج المنسوب إليه

١٢

كتاب أخلاق الملوك

١٣

كتاب الإخوان

١٤

كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب

١٥

كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال

وهو من الكتب التي وضعها في تقرير مذهب الاعتزال

١٦

كتاب استطالة الفهم

ذكره القاضي شهاب الدين الخفاجي ^(١) في كتابه « طراز المجالس » وقال : كتاب صنفه الجاحظ وقد جمع فيه نبذا من كلام الحكماء والشعراء

١٧

رسالة في استنجاز الوعد

هذه الرسالة منشورة ضمن «مجموعة رسائل» المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٤ وهي كذلك منشورة ضمن «الفصول المختارة» المطبوعة بهامش كتاب الكامل

١٨

كتاب الأسد والذئب

١٩

كتاب أصحاب الإلهام

٢٠

كتاب الأصنام

هو الكتاب الذي وضعه الجاحظ في ذكر الأصنام في الجاهلية وصحح

فيه نسب النضر بن كِنَانَةَ جد النبي صلى الله عليه وسلم

(١) هو الشيخ أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي المصري، أحد أفراد العلماء وأفذاذ الأدياء، صاحب التصانيف البارعة في العلم والأدب. ولى قضاء بلاد الروملى ثم قضاء سلانيك ثم ولى قضاء مصر. وعنه عزل ورحل إلى بلاد الروم ثم أعيد منفيًا إلى مصر وبها عين قاضيا. وله من المؤلفات : شرح الشفاء، وشرح درة الغواص، وريحانة الألباء، وشفاء القليل، وديوان الأدب، و طراز المجالس. وله رسائل ومقامات وأشعار تنطق ببراعته وتفوقه على أهل دهره. توفي بمصر عن نيف وتسعين عاما

٢١

كتاب أصول الفتيا والأحكام

٢٢

الاعتزال وفضله

لعل هذا هو الكتاب بعينه الذى ذكر باسم « فضيلة المعتزلة »
والذى رد عليه ابن الراوندى بكتاب أسماه « فضيحة المعتزلة »

٢٣

كتاب افتخار الشتاء والصيف

٢٤

كتاب أفعال الطبائع

٢٥

كتاب أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات

٢٦

كتاب الإمامة على مذهب الشيعة

ولست أدرى هل هذا الكتاب هو الرسالة المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٤
ضمن « مجموعة رسائل » بعنوان « بيان مذاهب الشيعة » ؟ أم هو غيرها !

٢٧

كتاب إمامة معاوية بن أبى سفيان^(١)

(١) هو معاوية بن أبى سفيان. أسلم بعد أبيه عام فتح مكة سنة ٨، وولى الشام بعد أخيه يزيد لعمر وعثمان. ثم كانت بينه وبين على بن أبى طالب أحداث وخطوب ووقائع وحروب بدعوى المطالبة بدم عثمان، وظل الشام فى يده إلى أن تنازل له الحسن بن على عن حقه فى الخلافة فاستولى عليها واستقام له الأمر، ودبر الملك بما طبع عليه من حكمة وسياسة ودهاء وخديعة ومكر، إلى أن مات بدمشق سنة ٨١ هـ عن ثمانين سنة

قال المسعودي : لم يرض (الجاحظ) بهذا الكتاب المترجم بكتاب « العثمانية » حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر في إمامة الروائية وأقوال شيعتهم ! ورأيته مترجما بكتاب « أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان » في الانتصاف من علي بن أبي طالب وشيعته الرافضة ، يذكر فيه رجال الروائية ويؤيد فيه إمامة نبي أمية وغيرهم

٢٨

كتاب إمامة وُلد العباس^(١)

قال المسعودي : وقد صنف الجاحظ كتاب « إمامة ولد العباس » محتج فيه لهذا المذهب ويذكر فعل أبي بكر^(٢) في فدك^(٣) وغيرها، وقصته

(١) هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإليه ينتهي نسب العباسيين. كان إليه في الجاهلية سقاية الحاج وزمزم. ثم دفعهما النبي إليه عام الفتح. وكان يوم العقبة مع النبي فعهده له على الانصار. مات في خلافة عثمان وقد كف بصره عن ٨٩ سنة

(٢) هو أبو بكر الصديق الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يع له بالخلافة يوم سقيفة بني ساعدة، وقام بالبيعة له عمر بن الخطاب فقطع بذلك مادة الشر وحسم أسباب الخلاف بين المهاجرين والانصار. ونهض أبو بكر بأعباء الخلافة خير نهوض، ونهد لحروب الردة فكان فيها من الموفقين. مات سنة ١٣ هـ

(٣) هي قرية بالحجاز قريبة من المدينة، كانت من الاملاك الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أن النبي بعث، بعد منصرفه من خيبر، إلى أهل فدك محيصة بن مسعود يدعوهم إلى الاسلام فوجدهم في خوف ووجل بعد سقوط خيبر في يدا المسلمين، فصالحه أهلها، وعلى رأسهم زعيمهم يوشع بن نون، على نصف الأرض بترتها، فقبل ذلك منهم وأمضاه رسول الله، فكان خالصاً له دون سائر المسلمين، لأنه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب. فلما انتقل

مع فاطمة رضى الله عنها ومطالبتها إياه بإرثها من أبيها صلى الله عليه وسلم ، واستشهادها ببعلمها وابنيها وأم أيمن ^(١) وما جرى بينها وبين أبي بكر من المخاطبة ، وما كثر بينهما من المنازعة ، وما قالت وما قيل لها عن أبيها عليه الصلاة والسلام من أنه قال : « نحن معاشر الأنبياء نرث ولا نُورث » . وما احتجت به عليه من قوله عز وجل « وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ » على أن النبوة لا تورث فلم يبق إلا التوارث . وغير ذلك من الخطاب .

قال المسعودى : ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية وهم شيعة ولد العباس ، لأنه لم يكن مذهبه ولا كان يعتقده ، لكن فعل ذلك تماجنا وتقربا

قلت : ولعله هو المسمى بكتاب « العباسية » وقد وقفت على وصية للعباس ألقاها إلى علي بن أبي طالب حال وفاته ، رواها الصولى عن الجاحظ ، وأحسب أنها منقولة من هذا الكتاب ، ولهذا آثرت إثباتها هنا لأنها من جيد ما يروى . قال الجاحظ : إن العباس بن عبد المطالب أوصى على بن أبي طالب فى علقته التى مات فيها فقال :

إلى الرفيق الأعلى وقام بالأمر من بعده أبو بكر ، طالبته فاطمة بحقها فى ميراث أبيها من فدى فلم يورثها . ولتكملى الشيعة والمعتزلة فى هذا الشأن مجادلات ومناظرات فى تخطئة أبى بكر وتصويبه ، ليس هنا محل بسطها . غير أن عمر ابن الخطاب لما تولى الخلافة دفعها إلى بنى هاشم فكانت فى يد على والعباس ، فلما ولى معاوية أقطعها مروان بن الحكم ، ثم وهبها مروان لعبد العزيز وعبد الملك ابنه ، ثم جمعها عمر بن عبد العزيز إليه وردّها على بنى هاشم ، ثم دفعها المأمون إلى بنى فاطمة

(١) هى جارية تسمى بركة كانت لأم رسول الله ، ورثها منها واعتقها وتزوجها رجل من الخزرج يسمى عبيد فولدت له أيمن بن عبيد ، ثم تزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد

أَيُّ بُنَيٍّ ، إِنِّي مُشَفَّ عَلَى الظَّنِّ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ الَّذِي فَاقَنِي إِلَى عَفْوِهِ وَتَجَاوُزِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِي إِلَى مَا أَنْصَحُكَ فِيهِ وَأَشِيرُ عَلَيْكَ بِهِ . وَلَكِنَّ الْعَرِقَ نَبُوضٌ ، وَالرَّحِمَ عَرُوضٌ . وَإِذَا قُضِيَتْ حُقُ الْعُمُومَةِ فَلَا أَبَالِي بَعْدَ . إِنْ هَذَا الرَّجُلُ — يَعْنِي عُثْمَانَ — قَدْ جَاءَنِي مَرَارًا بِمُحَدِّثِكَ ، وَنَاطَرَنِي مُلَانِيًا وَمُخَاشِنًا فِي أَمْرِكَ ، وَلَمْ أَجِدْ مِنْهُ عَلَيْكَ إِلَّا مِثْلَ مَا أَجِدُ مِنْكَ عَلَيْهِ ، وَلَا رَأَيْتُ مِنْهُ لَكَ إِلَّا مِثْلَ مَا أَرَى مِنْكَ لَهُ ، وَلَسْتُ تُؤَوِّقَنِي مِنْ قِلَّةِ عِلْمٍ ، وَلَكِنْ مِنْ قِلَّةِ قَبُولٍ . وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَالرَّأْيُ الَّذِي أُودِعَكَ بِهِ أَنْ تُسْكِنَ عَنْهُ لِسَانَكَ وَيَدَكَ وَهَمْزَكَ وَغَمَزَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَبْدُوكَ مَا لَمْ تَبْدُوهُ ، وَلَا يُجِيبُكَ عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ ، وَأَنْتَ الْمُتَجَبِّى وَهُوَ الْمُتَأَنَّى ، وَأَنْتَ الْعَائِبُ وَهُوَ الْعَائِمَةُ . فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ هَذَا وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسًا أَنَابَهُ أَحَقُّ ؟ فَقَدْ قَارَبْتَ . وَلَكِنْ ذَلِكَ بِمَا كَسَبْتَ يَدَاكَ ، وَنَكَصَ عَنْهُ عَقِبَاكَ . لَأَنْكَ بِالْأَمْسِ الْأَذْنَى هَرَوَاتِ إِلَيْهِمْ تَظُنُّ أَنَّهُمْ يُحْكِلُونَ جِيدَكَ ، وَيُخْتَمُونَ إصْبِعَكَ ، وَيَطْئُونَ عَقِبَكَ ، وَيُرُونَ الرُّشْدَ بِكَ ، وَيَقُولُونَ لَا بَدَ لَنَا مِنْكَ ، وَلَا مَعْدِلَ لَنَا عَنْكَ ! وَكَانَ هَذَا مِنْ هَفَوَاتِكَ الْكَبِيرِ ، وَهَنَاتِكَ الَّتِي لَيْسَ لَكَ مِنْهَا عَذْرٌ . وَالْآنَ ، بَعْدَ مَا ثَلَّثْتَ عَرْشَكَ ، وَنَبَذْتَ رَأْيَ عَمَلِكَ فِي الْبَيْدَاءِ ، يَتَدَهَّدُ فِي السَّافِيَاءِ .

خَذْ بِأَحْزَمٍ مَا يَتَوَضَّحُ بِهِ وَجْهُ الْأَمْرِ : لَا تُشَارَّ هَذَا الرَّجُلَ وَلَا ثَمَارَهُ ، وَلَا يَبْلُغْهُ عَنْكَ مَا يُخْتَقُّ عَلَيْكَ . فَإِنَّهُ إِنْ كَاشَفَكَ أَصَابَ أَنْصَارًا ، وَإِنْ كَاشَفْتَهُ لَمْ تَرَ إِلَّا ضَرَارًا ، وَلَمْ تَسْتَلِجْ إِلَّا عَثَارًا . وَاعْرِفْ مَنْ هُوَ بِالشَّامِ لَهُ ، وَمَنْ هَهُنَا حَوْلَهُ مِنْ يَطِيعِ أَمْرِهِ ، وَيُمَثِّلُ قَوْلَهُ . لَا تَبْتَغِرْ بِنَاسٍ يُطِيفُونَ بِكَ ، وَيَدَّعُونَ الْخَنُوَ عَلَيْكَ وَالْحُبَّ لَكَ ، فَانْهَمِ بَيْنَ مَوْلَى جَاهِلٍ ، وَصَاحِبٍ مَتَمِّنٍ ، وَجَلِيسٍ يَرَعَى الْعَيْنَ وَيَبْتَذِرُ الْحَضَرَ . وَلَوْ ظَنَّ النَّاسُ بِكَ مَا تَظُنُّ

بنفسك لكان الأمر لك والزام في يدك . ولكن هذا حديث يوم مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فات ، ثم حَرَّمَ الكلام فيه حين مات ، فعليك الآن بِالْعَزُوفِ عن شيء عَرَضَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يَتم ، وتَصَدَّيت له مرة بعد مرة فلم يستقم ، ومن ساور الدهر غُلِبَ ، ومن حرص على ممنوع تَعَبَ . فعلى ذلك فقد أوصيت عبد الله بطاعتك ، وبعثته على مُتَابَعَتِكَ ، وأوجرتك محبتك ، ووجدت عنده من ذلك إِظْفَى به لك . لا توتر قوسك إلا بعد الثقة بها ، وإذا أعجبتك فانظر إلى سَيِّئَتِهَا ، ثم لا تَفُوقْ إلا بعد العلم ، ولا تفرق في الزرع إلا لتصيب الرَّمِيَّةَ . وانظر لا تَطْرَفَ يَمِينُكَ عَيْنُكَ ، ولا تَجَنَّ شِمَالَكَ شَيْنُكَ ، ودعني بآيات من آخر سورة الكهف . وقم إذا بدا لك !

٢٩

رسالة في امتحان عقول الأولياء
بعث بها الجاحظ إلى أبي الفرج بن نجاح

٣٠

كتاب الأمثال

٣١

كتاب الأمصار

لعل هذا الكتاب هو بعينه الذي ذكره السعودي باسم كتاب
« البلدان » وقد ذكرناه لاحتمال المغايرة

٣٢

رسالة في الأمل والمأمول

٣٣

كتاب أمهات الأولاد

٣٤

كتاب الأنس والسوة

٣٥

كتاب الأوقاف والرياضات

٣٦

كتاب البخلاء

هذا الكتاب من أبدع ما خطه يد الجاحظ ، وهو خليف بأن يستخرج منه بحث طريف في أصول التدبير المنزلى ، وفي استثمار المال ، والانتفاع بحقائق الاشياء . وهو مطبوع في مصر سنة ١٣٢٣ هـ

٣٧

كتاب بصيرة غنام المرتد

٣٨

كتاب البلدان

قلنا إن هذا الكتاب قد يكون هو بعينه كتاب « الأمصار » المار ذكره ، ولكننا ذكروه لاحتمال المغايرة

٣٩

كتاب البيان والتبيين

وضع الجاحظ هذا الكتاب الجليل وقدمه إلى القاضى أحمد بن أبى دؤاد ، أحد عظماء الدولة العباسية ، وأجازه القاضى عليه بخمسة آلاف دينار . وزعم ياقوت أن الجاحظ وضع من هذا الكتاب نسختين كانت الثانية منهما أصح وأجود . وقد أجمع المتقدمون من أكابر العلماء وأفاضل الأدباء ، على أنه من أفضل ما وضع في الأدب . قال المسعودى : والجاحظ كتب حسان ، منها كتاب « البيان والتبيين » وهو أشرفها ، لأنه جمع فيه من المنثور والمنظوم ، وغرر

الأشعار، ومستحسن الأخبار، وبلغ الخطب، ما لو اقتصر عليه مقتصر لا كتنى به. وقال ابن خلدون^(١): سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين. وهى: «أدب الكاتب لابن قتيبة»، وكتاب «الكامل للمبرد»، وكتاب «البيان والتبيين للجاحظ» وكتاب «النوادر لأبى على القالى»^(٢) وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها.

وقد طبعت في القسطنطينية سنة ١٣٠١ بمطبعة الجوائب مجموعة باسم «خمس رسائل» ضمنها كتاب «منتخبات البيان والتبيين»، ولم يذكر الناشر اسم من انتخبه، غير أنه زعم أنه للجاحظ. ولم يُعرف عن الجاحظ أنه تعرض لشيء من كتبه بالانتخاب أو الاختيار أو التلخيص أو الاختصار. مع أن هذا المنتخب غير جيد ولا حسن. ولا هو خيرة ما في البيان والتبيين ولما كان أبى رحمه الله كثير الحث لى على قراءة كتاب البيان والتبيين وكان يوجب على استظهار ما يمكننى استظهاره من منشوره ومنظومه، فقد ولت به منذ الصغر. وكنت كثير الاستياء من طبعاته التى ظهر بها. لهذا رأيت أن أضبط ما يستحق الضبط من عباراته، وأعلق عليه الحواشى والتعليقات، وأبين

(١) هو ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمى الفاسى المؤرخ الشهير. وهو أول من وضع قواعد علم الاجتماع والعمران من علماء العرب. ولد بمدينة فاس، وتولى هناك كثيرا من الأعمال السلطانية، ثم حضر إلى مصر وتولى قضاء المالكية في البيروية. ومات في رمضان سنة ٨٠٨ هـ

(٢) هو أبو على اسماعيل بن القاسم بن عيذون القالى نسبة إلى بلد بأرمينية تسمى قالى قلا. ولعلها هى المعروفة الآن بكليكية. كان من أكابر الأدباء وأفاضل اللغويين. وهو صاحب كتاب الأمل والذيل والنوادر المشهور. ولد بديار بكر سنة ٢٨٨ هـ وتوفى بقرطبة سنة ٣٥٦ هـ

بقدر الحاجة ماغمض من معانيه . فلما تم الى ذلك طبعته في سنة ١٩٢٦ —
 ١٩٢٧ في ثلاثة أجزاء . ثمها أنا ذا في سبيل وضع شرح له أوفى وبيان أتم ،
 وسأعيد طبعه قريباً إن شاء الله تعالى في صورة أبدع وأجل ، نسأل
 الله العون .

٤٠

رسالة في بيان مذاهب الشيعة

هذه الرسالة مطبوعة ضمن « مجموعة رسائل » بمصر سنة ١٣٢٤ وقد
 قلنا فيما سلف إنها قد تكون كتاب « الامامة على مذهب الشيعة » . ولكننا
 ذكرناها هنا لاحتمال المغايرة

٤١

كتاب تحصيل الأموال

٤٢

كتاب الترتيب والتدوير

هذا الكتاب طرفة من طرف الجاحظ ، وضعه يتندر به على صاحبه
 أحمد بن عبد الوهاب ، ويصف ما هو عليه من دمامة الخلق وقبح التركيب ،
 ودعواه أنه جميل الصورة معتدل الخلق حسن التركيب ، ويعاينه بمائة مسألة
 يطلب اليه الجواب عنها . وأكثر هذه المسائل من الخرافات والأساطير ،
 ولكنها تملك على النفس مشاعرهما لسمو العبارة ودقة المعنى . طبع هذا
 الكتاب مع رسالة « مناقب الترك » ورسالة « فخر السودان على البيضان »
 بلندن سنة ١٩٠٣ ثم طبع بمصر ضمن « مجموعة رسائل » سنة ١٣٢٤ هـ

٤٣

كتاب تصويب على في تحكيم الحكيم

يظهر أنه لم يبق من هذا الكتاب إلا هذه القطعة التي عثرنا بها

بعد الجهد الجهيد ، وهى تعطى صورة من الطريقة التى تتبعها الجاحظ فى الاعتذار لعلى فى قبوله التحكيم . قال الجاحظ : من عرفه (يعنى على) عرف أنه غير مألوم فى الاتقياد معهم الى التحكيم ، فإنه مَلَّ من القتل وتجريد السيف ليلاً ونهاراً حتى ملئت الدماء من إراقته لها ، وملت الخيل من تَقَحُّمِ الأهوال بها ، وضجر من دوام تلك الخطوب الجليلة ، والأرزاء العظيمة ، واستلاب الأنفس ، وتطاير الأيدي والأرجل بين يديه ، وأكلت الحرب أصحابه وأعداءه ، وعطلت السواعد ، وخذرت الأيدي التى سلمت من وقائع السيوف بها ، ولو ان أهل الشام لم يستعفوا من الحرب ، ولم يستقبلوا من المقاترة والمصادمة ، لأدت الحال إلى قعود الفيلقين معاً ، ولزومهم الأرض ، وإلقائهم السلاح . فان الحال أفضت بعظمها وهولها إلى ما يعجز اللسان عن وصفه

٤٤

كتاب التفاح

٤٥

كتاب تفضيل صناعة الكلام

قال المسعودى : وهى الرسالة المعروفة بالهاشمية

٤٦

رسالة فى تفضيل النطق على الصمت

هذه الرسالة ضمن «مجموعة رسائل» طبعت بمصر سنة ١٣٢٤

٤٧

كتاب التفكير والاعتبار

٤٨

كتاب التمثيل

٤٩

كتاب جمهرة الملوك

٥٠

كتاب الجوابات

٥١

كتاب جوابات كتاب المعرفة

٥٢

كتاب الحوارى

٥٣

رسالة الحاسد والمحسود

مطبوعة ضمن «مجموعة رسائل» بمصر سنة ١٣٢٤ هـ

٥٤

كتاب حانوت عطار

٥٥

كتاب الحجات

ذكره القاصى شهاب الدين الخفاجى فى كتابه «طراز المجالس»

٥٦

كتاب الحجة فى تثبيت النبوة

٥٧

كتاب الحجر والنبوة

٥٨

كتاب الحزم والعزم

٥٩

كتاب حكاية قول أصناف الزيدية

٦٠

رسالة الحلبة

٦١

كتاب حيل اللصوص

زعم أبو منصور البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق » ان الجاحظ علم هذا الكتاب الفسقة وجوه السرقة . وهو قول خصم بعيد من الانصاف . ولو قدر لنا الاطلاع على هذا الكتاب لعرفنا مكان هذا القول من الحق أو الباطل

٦٢

كتاب حيل المكدئين

ذكره أبو منصور البغدادي في كتابه

٦٣

كتاب الحيوان

وضع الجاحظ هذا الكتاب وقدمه إلى محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، فاجازه عنه بخمسة آلاف دينار . وهو من كتب الجاحظ الجيدة الحافلة بصنوف المعارف وضروب الآداب . وقد قال أبو منصور البغدادي : وهو كثير النيل من أبي الجاحظ والافتراء على جمهور المعتزلة : وقد سلخ فيه معاني كتاب الحيوان لأرسططاليس وضم اليه ما ذكره المدائني ^(١) من

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، مولى عبد شمس بن عبد مناف . كان من أكابر الاخباريين وأفاضل الرواة والمؤلفين

حكم العرب وأشعارها في منافع الحيوان
قلت : بالرغم من هذا فالكتاب يعد من مفاخر الجاحظ ومحاسنه . وقد
عرض له قوم بالاختصار والتلخيص ، فاختصره عبد اللطيف البغدادي ^(١)
في كتاب سماه « اختصار كتاب الحيوان » ولخصه ابن سناء الملك الشاعر
المصرى ^(٢) في كتاب سماه « روح الحيوان » . وكتاب الحيوان طبع بمصر
في سبعة أجزاء سنة ١٣٢٥هـ ١٩٠٧

٦٤

رسالة في الخراج
بعث بها الجاحظ إلى أبي النجم

٦٥

كتاب خصومة الحول والعمور

٦٦

كتاب خلق القرآن

وكان متكلماً جدلاً ، أخذ علم الكلام عن معمر بن الأشعث . وكان منقطعاً
إلى إسحق بن إبراهيم الموصلي وفي منزله توفي سنة ٢٢٥ هـ عن ٩٣ سنة
(١) هو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي كان من أفاضل
الأطباء واعيان العلماء مع إحاطة بعلوم الدين والنحو والفلسفة والتاريخ
والمنطق . ولد ببغداد سنة ٥٥٧ و حضر مصر ووضع بها مؤلفاً وصف فيه
المجاعة الكبرى والقحط الجائع الذي كان بمصر في عهده ثم عاد إلى بغداد
وبها مات سنة ٦٢٩ هـ
(٢) هو السعيد أبو القاسم هبة الله بن الرشيد المعروف بابن سناء الملك
الشاعر المصرى المعروف صاحب الموشحات البارعة . وكان من الأفاضل
النبلاء . تولى ديوان الانشاء زمناً . وله كتاب « روح الحيوان » اختصر
فيه كتاب الحيوان للجاحظ . ولد سنة ٥٥٠ هـ وتوفي سنة ٦٥٨ هـ

٦٧

كتاب الدلالة على أن الإمامة فرض

٦٨

كتاب ذكر ما بين الزيدية والرافضة

٦٩

رسالة في ذم أخلاق الكتاب

عُثر على هذه الرسالة في مكتبة نور الدين بك مصطفى ثم طبعت
بالمطبعة السلفية ضمن «ثلاث رسائل للجاحظ» سنة ١٣٤٤ هـ وهي منشورة
أيضاً ضمن «الفصول المختارة» بهامش كتاب الكامل

٧٠

كتاب ذم الزنا

٧١

رسالة في ذم التبيذ

٧٢

رسالة في ذم الوراقة

٧٣

رسالة في الرد على الجهمية

٧٤

رسالة في الرد على القولية

٧٥

كتاب الرد على النصارى

اختار عبيد الله بن حسان من هذا الكتاب رسالة عثر عليها وضمها
كتابه «الفصول المختارة» المنشور بهامش الكامل . ثم طبعت بالمطبعة

السلفية ضمنها ثلاث رسائل للجاحظ، سنة ١٣٤٤

٧٦

كتاب الرسائل الهاشميات

٧٧

كتاب الرد على من ألد في كتاب الله

٧٨

كتاب الرد على من زعم أن الانسان جزء لا يتجزأ

٧٩

كتاب الرد على العثمانية

٨٠

كتاب الرد على المشبهة

٨١

كتاب الرد على اليهود

٨٢

كتاب الزرع والنخل والزيتون والأعشاب

وضع الجاحظ هذا الكتاب وقدمه إلى ابراهيم بن العباس الصولي رئيس

ديوان الرسائل في عهد المأمون، فأجازه عليه بخمسة آلاف دينار

٨٣

كتاب السلطان وأخلاق أهله

٨٤

رسالة الشارب والمشروب

وهي رسالة منشورة ضمن « الفصول المختارة » بهامش الكامل

٨٥

كتاب الصُّرْحَاءِ وَالْهُجَنَاءِ

٨٦

كتاب صناعة الكلام

لعله الكتاب المسمى « تفضيل صناعة الكلام » المار ذكره

٨٧

كتاب الصَّوَالِجَةِ

٨٨

رسالة في طبقات المغنين

منها قطعة مطبوع ضمن « مجموعة رسائل » بمصر سنة ١٣٢٤

٨٩

كتاب الطفيليين

٩٠

كتاب العالم والجاهل

٩١

كتاب العباسية

لعله الكتاب المار باسم امامة ولد العباس

٩٢

كتاب العثمانية

قال المسعودي : وقد صنف (الجاحظ) كتابا استقصى فيه الحجاج

عند نفسه ، وأيده بالبراهين وعضده بالأدلة فيما تصور من عقله ، ترجمه

بكتاب « العثمانية » يحل فيه عند نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ،

ويحتج فيه لغيره ، طلبا لأمانة الحق ومضادة لأهله : وقد نقض على الجاحظ كتابه هذا جماعة من متكلمي الشيعة كأبي عيسى الوراق^(١) والحسن ابن موسى النخعي وغيرهما من الشيعة . وقد نقض على الجاحظ كتاب العثمانية أيضا رجل من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم وأهل الزهد والديانة منهم ، ممن يذهب إلى تفضيل علي والقول بامامة المفضل ، وهو أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي . وكانت وفاته سنة ٢٤٠ هـ

قلت وقد عثرت على كتاب «العثمانية» للجاحظ وكتاب «نقض العثمانية» للأسكافي وهما عندي وسأشرهما في لواحق هذا الكتاب

٩٣

كتاب العرب والعجم

٩٤

كتاب العرب والموالي

٩٥

كتاب العرجان والبرصان

٩٦

رسالة في العشق والنساء

هذه الرسالة مطبوعة ضمن «مجموعة رسائل» بمصر سنة ٣٢٤

٩٧

رسالة في الغفو والصفح

(١) هو محمد بن هرون أبو عيسى الوراق كان من المعتزلة، ثم ظهر عليه فيما زعموا ميل إلى الزندقة، فوشى به فطلبه السلطان فلما ظفر به حبسه حتى مات . وله شعر جيد في نوعه. وكانت وفاته سنة ٢٤٠ هـ

٩٨

كتاب عناصر الآداب

٩٩

كتاب غش الصناعات

زعم أبو منصور البغدادى أن الجاحظ قد أفسد بهذا الكتاب على
التجار سلمهم .

١٠٠

رسالة في فخر السودان على البيضان

هذه الرسالة طبعت مع رسالة «مناقب الترك» و «التربيع والتدوير»
بلندن سنة ١٩٠٣ ثم طبعت ضمن «مجموعة رسائل» سنة ١٣٢٤

١٠١

كتاب فخر عبد شمس ونخزوم

١٠٢

كتاب فخر هاشم وعبد شمس

عُثِرَ على هذا الكتاب وهو عندى وسأشره ضمن لواحق هذا الكتاب

١٠٣

رسالة في فرط جهل الكندى^(١)

(١) هو فيلسوف الاسلام أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندى
البصرى البغدادى ينتهى نسبه إلى ملوك كندة . وهو أول من اشتهر في
الاسلام بالعلوم الفلسفية وما إليها ، وكان على مذهب افلاطون في القول
بحدوث العالم . وله رسائل ومؤلفات عدة في علوم شتى . وكان بالرغم من
تبحره في المعارف وسعة دائرته في العلوم مبطلا . وهو عند الجاحظ من أئمة
البخلاء . والظاهر أنه توفي ببغداد سنة ٢٥٢ هـ

١٠٤

كتاب فرق ما بين الجن والإنس

١٠٥

كتاب فرق ما بين الملائكة والجن

١٠٦

كتاب فرق ما بين النبي والمتنبي

١٠٧

رسالة في فضل اتخاذ السكتب

١٠٨

كتاب فضل ما بين الرجال والنساء

١٠٩

كتاب فضل العلم

١١٠

كتاب فضل الفرس على الهملاج^(١)

١١١

كتاب فضيلة المعتزلة

ذكر هذا الكتاب أبو الحسين الخياط في كتابه الانتصار . ولعله

هو بعينه الكتاب المسمى « الاعتزال وفضله » المار ذكره . وقد رد عليه

ابن الراوندي بكتاب « فضيحة المعتزلة »

(١) الهملاج : البرزون السهل القياد

١١٢

كتاب فضيلة الكلام

أشار إليه ابن النديم ^(١)، وقال: لأبي بكر الرازي ^(٢) كتاب «مناقضة الجاحظ في كتابه في فضيلة الكلام» وقال المسعودي: قال الجاحظ في كتابه في «تفضيل صنعة الكلام» وهي الرسالة المعروفة «بالحاشمية» فأنت ترى أن لبعض كتبه عدة أسماء.

١١٣

كتاب القحاب

ذكره أبو منصور البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» وذكر له كتابا آخر في نوع آخر!

١١٤

كتاب القحطانية والعدنانية

١١٥

كتاب القضاة والولاة

١١٦

رسالة في القلم

(١) هو أبو الفرج محمد بن اسحق النديم البغدادي . صاحب كتاب «الفهرست» وهو أول كتاب وضع فيما نسميه الآن «تاريخ أدب اللغة العربية» وضعه مؤلفه في الربع الأخير من القرن الرابع للهجرة . توفي ابن النديم سنة ٣٧٨ هـ

(٢) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب الفيلسوف الشهير توفي

سنة ٣٢٠ هـ

١١٧

كتاب القواد

لعله هو الذى نشره القاضى شهاب الدين الخفاجى فى كتابه طراز
المجالس باسم « القواد وأسباب الصناعات »

١١٨

رسالة فى القيان

عثر على هذه الرسالة فى مكتبة نور الدين بك مصطفى رحمه الله ثم
طبعت بالمطبعة السلفية ضمن « ثلاث رسائل » للجاحظ سنة ١٣٤٤

١١٩

كتاب الكبر المستحسن والمستقبح

١٢٠

رسالة فى كتمان السر

١٢١

رسالة فى السكرم

بعث بها الجاحظ إلى أبى الفرج بن نجاح

١٢٢

كتاب الكلاب

ذكره أبو منصور الغدادى فى كتابه « الفرق بين الفرق »

١٢٣

رسالة فى الكيمياء

١٢٤

كتاب المخاطبات فى التوحيد

١٢٥

رساله في مدح التجار وذم عمل السلطان
وهي مطبوعة ضمن « مجموعة رسائل » بمصر سنة ١٣٢٤

١٢٦

رسالة في مدح الكتاب

١٢٧

رسالة في مدح النبذ

١٢٨

رسالة في مدح الوراقة

١٢٩

كتاب المزاح والجد

١٣٠

كتاب المسائل

١٣١

كتاب مسائل العثمانية

قال المسعودي : ثم صنف (الجاحظ) كتابا ترجمه بكتاب « مسائل
العثمانية » يذكّر فيه ما فاتته وتقضه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين علي
ومناقبه ، وقد نقضه عليه جماعة من متكلمي الشيعة . وقد مر ذكرهم فيمن
نقض كتاب العثمانية

١٣٢

كتاب مسائل كتاب المعرفة

١٣٣

كتاب القرآن

١٣٤

كتاب المضحك

ذكره أبو منصور البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»

١٣٥

كتاب المعاد والمعاش

١٣٦

كتاب المعادن

١٣٧

كتاب معارضة الزيدية

١٣٨

كتاب المعرفة

١٣٩

كتاب المعلمين

١٤٠

كتاب المغنين والفناء والصنعة

١٤١

كتاب مفاخرة السودان والحمران

١٤٢

رسالة في مفاخرة المسك والرماد

ذكرها صلاح الصفدي^(١) في شرحه على لامية العجم وقال : إنها رسالة بديعة

(١) هو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي . كاتب شاعر أديب مؤرخ متفنن له مؤلفات عدة وشرح كثيرة . ومن أفضل شروحه (شرح لامية العجم) توفي سنة ٧٦٤ هـ

١٤٣

كتاب الملح والطرف

١٤٤

كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية

١٤٥

رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة

وضع الجاحظ. هذه الرسالة وقدمها إلى الفتح ابن خاقان وزير المتوكل. طبعت هي ورسالة « التربع والتدوير » ورسالة فخر السودان على البيضان ، بليدن سنة ١٩٠٣ ثم عثر على نسخة منها ابراهيم بك المويلحي^(١) بالاستانة ونشرها في جريدته « مصباح الشرق » ثم نشرت بالطبع ضمن « مجموعة رسائل » بمصر سنة ١٣٢٤

(١) هو ابراهيم بك المويلحي الكاتب البليغ والصحفي الشهير ، كان في أول أمره تاجراً كسائر أسرته الكريمة ، ثم عين عضواً في مجلس الأحكام في عهد الخديوى اسماعيل ثم أنشأ مطبعة واشتغل بالصحافة ، وكان الخديوى اسماعيل يحبه ويعطف عليه ، فلما خلع وسير إلى إيطاليا دعاه إليه واتخذة سكرتيراً خاصاً وندياً أثيراً ، فأصدر وهو في أوروبا جريدة الأنباء وجريدة أبوزيد . ثم ذهب إلى الاستانة وعين عضواً في مجلس المعارف في عهد السلطان عبد الحميد ، ولما عاد إلى مصر وضع كتابه « ما هنالك » ثم أنشأ جريدة « مصباح الشرق » وشاركه في تحريرها ولده الكاتب المجيد محمد بك رحمه الله. ولد بمصر سنة ١٨٤٦ وتوفي سنة ١٩٠٦

١٤٦

رسالة في من يسمى من الشعراء عمراً

١٤٧

رسالة في موت أبي حرب الصفار البصرى

١٤٨

رسالة في الميراث

١٤٩

كتاب الناشئ والمتلاشى

١٥٠

كتاب النرد والشطرنج

١٥١

كتاب النصراني واليهودى

١٥٢

كتاب النعل

١٥٣

كتاب نقض الطب

وقد وضع أبو بكر الرازى كتاباً في الرد عليه ونقضه ، وكذلك وضع

ابن مندويه ^(١) رسالة في نقضه . ذكر ذلك ابن أبى أصبغة

(١) هو أبو على أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الاصفهاني كان من مشهورى الأطباء في بلاد العجم وكتبه كلها رسائل . وهى كثيرة ، وكان مع هذا أديباً شاعراً حسن العبارة

١٥٤

كتاب نوادر الحسن

١٥٥

كتاب النواميس

ذكره أبو منصور البغدادي وقال عنه : وهو ذريعة للمحتالين يجتابون
به ودائع الناس وأموالهم

١٥٦

كتاب وجوب الإمامة

١٥٧

كتاب الوعد والوعيد

١٥٨

كتاب الوكلاء

وهو رسالة مطبوعة ضمن « مجموعة رسائل » بمصر سنة ١٣٢٤

١٥٩

رساله اليتيمة

الفصل التاسع عشر

فى

الكتب التى نسبت الى الجاحظ وليست له

١

كتاب الابل

قال ياقوت : إنه من الكتب التى نسبت اليه قديماً

٢

كتاب التاج

أو أخلاق الملوك

هذا الكتاب نشره أحمد زكى باشا بالطبع سنة ١٣٣٢ (١٩١٤)
موصنع له مقدمة طويلة حاول فيها نسبته إلى الجاحظ ، وجدنى لصقه به وتزييفه
عليه ، بما فى وسعه من حجة ، وبما استطاع تصيده من دليل وبرهان ، غير
أن الحق الذى لا مرأى فيه يصرخ فى وجهه : إن الجاحظ منه براء . ونحن
لا نتكلف التدليل على ذلك بأكثر من أن نعرض عليك مقارنة بين
تقدمة هذا الكتاب وتقدمة أخرى مثلها الكتاب آخر له ، وكلتاها مرفوعتان
إلى رجل واحد ، لتعرف فرق ما بينهما ، وهل هما كما رفعنا لرجل واحد ،
كانتا لكتاب واحد ؟ أم تراهما متنافرتين ، تنادى كل واحدة منهما
« بالبراءة من أختها » ، وبأنه لا جامعة بينهما ، ولا سبب يربط إحداها بالأخرى !

كان الفَتْحُ بنُ خاقان وزير المتوكل على الله العباسي ، أ كبر رجل
في دار الخلافة ، وكان من عظماء الدولة وأصحاب المكانة والسلطان فيها ،
وكان على جانب عظيم من الدهاء والسياسة والفضل ، وكان مقصود الجانب
من أ كابر العلماء ، وخول الأُدباء ، وأرباب القلم من كل فن ونوع ، وكان
محباً للجاحظ ، مُعجباً بأدبه وفضله وسعة معارفه ، وكان الجاحظ يراه أهلاً
للإيثار ، ويعتده أثيراً بالاعتبار ، فوضع له رسالته المشهورة في « مناقب
الترك وعامة جند الخلافة » ورفعها إليه بهذه المقدمة الجاحظية البارة ، قال :
« وفقك الله لرشدك ، وأعان على شكرك ، وأصلحك وأصلح على يدك ،
وجعلنا وإياك ممن يقول الحق ويعمل به ، ويؤثره ويحتمل ما فيه مما قد
يصده عنه ، ولا يكون حظه منه الوصف له والمعرفة به ، دون الحث عليه ،
والانقطاع إليه ، وكشف القناع عنه ، وإيصاله إلى أهله ، والصبر على
المحافظة في أن لا يصل إلى غيرهم ، والتثبت في تحقيقه لديهم . فان الله تعالى
لم يُعَلِّم الناس ليكونوا عالمين دون أن يكونوا عاملين ، بل علمهم ليعملوا
وَبَيَّنَ لهم ليتقوا . ولخوف الوقوع في المضار ، والتورط في المهلك ، طلب
الناسُ التَّبَيُّن . ولحب السلامة من الهلكة والرغبة في المنفعة احتملوا
ثقل التعلم ، وتعجلوا مكروه المعاناة . ولقلة العاملين وكثرة الواسفين ، قال
الأولون : العارفون أكثر من الواسفين ، والواصفون أكثر من العاملين .
وإنما كثرت الصفات وقلت الموصوفات ، لأن ثواب العمل مؤجل ،
واحتمال ما فيه مُعجل .

وقد أعجبنى ما رأيت من شغفك بطاعة إمامك ، والحماية لتدبير
خليفتك ، وإشفاقك من كل خلل دخل على مُلكه وإن دق ، ونال
سلطانَه وإن صغر . ومن كل أمر خالف هواه وإن خفي مكانه ، وجانب .

رضاه وإن قل ضرره . ومن تخوفك أن يجد المتأولُ إليه مُتَطَرِّقًا ، والعدو عليه متعلقًا . فان السلطان لا يخلو من متأول ناقم ، ومن محكوم عليه ساخط ، ومن معدول عن الحكم زارٍ ، ومن مُتعطل مُتصفح^(١) ومن مُعجَب برأيه ذى خطل فى بيانه ، مولع بتهجين الصواب والاعتراض على التدبير ، حتى كأنه رائدٌ لجميع الأمة ، ووكيل لسكان المملكة ، يضع نفسه فى موضع الرقباء ، وفى موضع التصفح على الخلفاء والوزراء ، لا يعذر وإن كان مجاز العذر واضحًا ، ولا يقف فيما يكون للشك محتملا ، ولا يُصدق بأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وأنه لا يعرف مصادر الرأى من لم يشهد موارده ، ولا مُستَدْبِرُه من لم يعرف مستقبله . ومن محروم قد أضطفنه الحرمان . ومن أئيم قد أفسده الاحسان . ومن مستبطىء قد أخذ أضعاف حقه ، وهو لجهله بقدره ، ولضيق ذرعه ، وقلة شكره ، يظن أن الذى بقى له أكثر ، وأن حقه أوجب . ومن مستزيد لو ارتجع السلطان سالف أياديه البيض عنده ، ونعمه السالفة عليه ، لكان لذلك أهلا وله مستحقًا . قد غره الإملاء ، وأبطره دوام الكفاية ، وأفسده طول الفراغ .

وصاحب فتنة خامل فى الجماعة ، رئيس فى الفرقة ، نَفَاقٍ فى الهرَج ، قد أقصاه عز السلطان ، وأقام صفوه ثِقَافِ الأدب ، وأذله الحكم بالحق ، فهو مَغِيْظ لا يمد غير التشنيع ، ولا يتشفى بغير الإرجاف ، ولا يستريح إلا إلى الأمانى ، ولا يأنس إلا بكل مُرجف كذاب ، ومفتون مرتاب ، وخارص^(٢) لاخير فيه ، وخالف لاغناء عنده . يريد أن يسوَّى بالكُفَاة

(١) المتصفح: المقلب لوجوه الاشياء عليه يعثر على ما يوجب المؤاخذه والانتقاد

(٢) الخارص : الكذاب المختلق للباطيل

وَيُرفع فوق الحُماة ، لأمر سلف له ، ولا حسان كان من غيره ، وليس ممن يَرُبُّ^(١) قديماً بحديث ، ولا يحفلُ بدروس^(٢) شرف ، ولا يفصل بين ثواب المحتسبين ، وبين الحفظ لأبناء المحسنين . وكيف يعرف طبقات الحق في مراتبه ، ولا يفصل الزمام وثواب الكفاية ، من لا يعرف طبقات الحق في مراتبه ، ولا يفصل بين طبقات الباطل في منازلها ؟!

ثم أعلمتني بذلك أنك بنفسك بدأت في تعظيم إمامك ، والحفظ لمناقب أنصار خليفتك ، وإياها حطت بحياضك لأشياعه ، واحتجاجك لأوليائه . ونعم العون أنت إن شاء الله على ملازمة الطاعة ، والموازرة على الخير ، والمكافئة لأهل الحق . وقد استدلتُ بالذي أرى من شدة عنايتك وفرط اكتراثك وتفقدك لأخاير الأعداء ، وبحثك عن مناقب الأُولياء . على أن ما ظهر من نصحك أَمَمٌ^(٣) في جنب ما بطن من إخلاصك . فأمتع الله بك خليفته ، ومنحنا وإياك محبته ، وأعاذنا من قول الزور ، والتقرب بالباطل . إنه حميد مجيد ، فعال لما يريد »

هذه هي المقدمة التي رفع بها الجاحظ رسالته إلى الفتح بن خاقان ، وهذا هو الأسلوب الذي اختص به الجاحظ من بين كتاب العربية . فانظر كيف افتتح هذه المقدمة ، وكيف بدأها ، وكيف تنقل في معانيها ، وأغراضها ، من الدعاء إلى الوصف ، ومن العبرة إلى الحكمة ، ومن ذكر الطبائع إلى نعت المطامع . ثم انظر كيف قسم صنوف الناس من المتبرمين بالسلطان ، وكيف علل تبرمهم ، وفصل أسباب تضجرهم ، حتى لم يكذب يدع خاطرة في هذا الباب ، ولا بادرة في هذا المعنى ، إلا استوفى الإبانة عنها

(١) يرب : يزيد ويصل

(٢) الدروس : المحو والابلاء

(٣) أَمَم : قريب ظاهر

بعبارات جزلة ، وألفاظ سهلة . وحتى كأنه يصف أخلاق أهل مصر في هذا العصر ، بقلم القدرة الذى يحق الحق ويبطل الباطل . ثم انظر كيف ختم ذلك بالاعجاب به ، وبشدة إخلاصه لامامه ، وحمده إياه على ما يتخذ في هذه السبيل من وسائل محودة الأثر . ثم حثه على الاستمساك بعصم الولاء ، والاعتصام بحبل الوفاء . وبعد أن تفهم هذه المعاني ، وتزن هذه الأساليب ، وتفقه هذه المناهج ، وتتشرب هذه الروح : إقرأ هذه المقدمة التى رفع بها مؤلف كتاب التاج كتابه إلى الفتح بن خاقان . والتى ألح ناسر هذا الكتاب فى نسبته إلى الجاحظ .

وإليك هذه المقدمة ، ليكون الحكم على بينة . قال :

« ألحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير . أحمده على تتابع آلائه ، وتواتر نعمائه ، وترادف مننه . وأستهديه وأستوفقه لما يرضيه ويرضى فيه . وأشهد أن لا إله إلا الله الذى لا شبيه له ولا نظير ، الذى جل عن الأجزاء والتبعيض ، والتحديد والتثليل ، والحركة والسكون ، والثقل والزوال ، والتصرف من حال إلى حال . لا إله إلا هو الكبير المتعال . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأمينه ونبيه ، إبتعثه على فترة من الرسالة ، وطُمُوس من الهداية ، ودُروس من شرائع الأنبياء والمرسلين « لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ » والعرب تندأ أولادها ، وتتسافك دماها ، وتتباوح أموالها ، وتعبد اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، فصدع بأمر ربه ؛ وجاهد فى سبيله ، ودعا إلى معالم دينه ، وجاء بما أعجز الجن والإنس أن يأتوا « بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً » صلى الله عليه وعلى جميع المرسلين ، وخصه بصلاة من نوافله دون العالمين ، وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فإن الذى حدانا على وضع كتابنا هذا معان : منها أن الله عز وجل لما خص الملوك بكرامته ، وأكرمهم بسلطانه ، ومكن لهم فى البلاد ونوّلهم أمر العباد ، أوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيزهم وتقريظهم ، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم ، فقال فى محكم كتابه : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ » وقال عز وجل « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ومنها أن أكثر العامة وبعض الخاصة لما كانت تجهل الأقسام التى تجب للملوكها عليها — وإن كانت متمسكة بجملة الطاعة — حصرنا آدابها فى كتابنا هذا لنجعلها قدوة لها وإماماً لتأديها . وأيضاً فإن لنا فى ذلك أجرين : أما أحدهما فَلَمَّا نبهنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها . وأما الآخر فَلَمَّا يجب من حق الملوك علينا من تقويم كل مائل عنها ، ورد كل نافر إليها . ومنها أن سعادة العامة فى تبجيل الملوك وطاعتها ، كما قال أَرْدَشِيرُ ابْنُ بَابَك : سعادة الرعية فى طاعة الملوك ، وسعادة الملوك فى طاعة الملاك . ومنها أن الملوك هم الأسُّ ، والرعية هم البناء ، وما لا أسَّ له مهديم . ومنها أنا ألفنا كتاباً قبل كتابنا هذا ، فيه أخلاق الفتیان وفضائل أهل البطالة ، وكان غير ذلك أولى بنا وأحق فى مذهبنا ، وأخرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب للملوك من ذكر أخلاقها وشيمها ، إذ فضلها الله على العالمين ، وجعل ذكرها فى الباقيين ، إلى يوم الدين . ألا ترى حين ذكر الله تعالى الأمم السالفة والقرون الخالية ، لم يقصد من ذكر إلى وضع ولا خامل ! بل قال تعالى حكاية عن مضى منهم « رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا » وقال تبارك اسمه « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ » وقال جلّت عظمته « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ » وقال جل وعلا « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ

«اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
وَأَنَّا كُنتُمْ مَالَمَ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ» وقال تقدست أسماؤه «إِنَّ
الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً» وقال تبارك
وتعالى «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ
تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ» وقال عز وجل ، وقد بعث موسى عليه السلام الى أعشى خلقه وأشدهم
عُنُودًا وَصُدُوفًا عن أمره «إِذْ هَبْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا
لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ» فليفهم الحكماء هذه الأعجوبة التي وصلت
عن الله تبارك وتعالى فإن فيها حكمة عجيبة وموعظة بليغة ، وتنبيه لمن كان
له قلب .

حدثنا أصحابنا عن شَبَابَةَ عن وَرْقَاءَ عن ابن أبي نَجِيحٍ عن مجاهد
في قوله تبارك وتعالى «فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا» قال : كَنِيَّاهُ . وإنما أمرها
بذلك لأن الملوك وإن عصى أكثرها فمن حقها أن تدعى الى الله بأسهل
القول ، وألين اللفظ ، وأحسن المخاطبة . فإذا كان هذا حكم الله في العاصي
من الملوك والذين ادعى الربوبية وجحدوا الآيات وعاندوا الرسل ، فما ظنك
بمن أطاع الله منها وحفظ شرائعه وفرائضه ، وقلد مقام أنبيائه ، وجعله الحجة
بعد حجته ، وفرض طاعته حتى قرنها بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم !؟ فرأينا إذ أخطأنا في تقديمنا أخلاق أهل البطالة — وإن كان فيها
بعض الآداب وما يحتاج إليه أهل الشرف من محاسن الأخلاق — أن
نتلافى ما فرط منا بوضع كتاب في أخلاق الملوك وخصائصها التي هي لها
في أنفسها ، وأن نخص بوضع كتابنا هذا الأمير الفتح بن خاقان مولى أمير
المؤمنين : إذ كان بالحكمة مشغوفاً ، وعلى طلبها مثابراً ، وفيها وفي أهلها

راغباً ، ليبقى له ذكره ، ويحيا به اسمه ، ما بقى الضياء والظلام ، وبالله
التوفيق والإعانة »

فأى امرئ له مُسَكَّةٌ من عقل ، أو إثارةٌ من ذوق ، أو بقيةٌ من أدب ،
أو صُباةٌ من فضل ، يستطيع أن يقول : إن كاتب تلك المقدمة هو كاتب
هذه ؟ وهل يشك لحظة في أن الفرق بين أسلوب الأولى وأسلوب الثانية إلا
كالفرق بين الصدق والكذب ، والنور والظلمة ، والحق والباطل ، والعلم والجهل ؟
الحق أن كتاب التاج ليس للجاحظ ، ومن حاول نسبته إليه فإما أراد التنكيل
به والخط من قدره ، أو هو في الواقع يجهل الجاحظ جهلاً تاماً كما لا يقوى
على تذوق أسلوبه ، واستشعار مذهبه ، وتفقه منهجه . وإذا كان لنا أن نسلم
جدلاً بأن الكتاب قد يكون وضع في القرن الثالث الذي توفى الجاحظ
في منتصفه ، فلن نسلم قط بأن هذه المقدمة وضعت في ذلك العهد أو رآها
الفتح بن خاقان . والراجح عندنا أن رجلاً من كتاب القرن الخامس وقع
له كتاب عنوانه أخلاق الملوك ، ورأى في ثبوت كتب الجاحظ أن له كتاباً
بهذا الاسم وكتبا آخر باسم أخلاق الفتيان وأهل البطالة ، فوضع له هذه
المقدمة المصطنعة ، لينفقه على الناس وتكون له الخطوة لدى القراء .

هذا رأينا في نسبة هذا الكتاب إلى الجاحظ

٣

كتاب تنبيه الملوك والمكاييد

إذا علمت أن هذا الكتاب مصدر بفتح يقول فيها « الحمد لله الذي
افتتح بالحمد كتاباً ، وفتح للعبد إذا وافا إليه باباً » لم تتردد لحظة في أنه لغیر
الجاحظ ، وإنما نسبه من نسبه إليه جهلاً وغباءً . توجد منه نسخة مأخوذة
بالتصوير الشمسى بدار الكتب المصرية تحت نمرة ٢٣٥٤

٤

كتاب الحنين إلى الأوطان

من قرأ هذا الكتاب وقرنه بشيء من كتب الجاحظ أو وازن بينه وبين طريقته في التأليف ، لا يشك مطلقاً في أن الجاحظ منه براء ، وأنه من تليفات الوراقين الذين يجمعون شتى العبارات إلى بعضها في كتاب ثم ينسبونه إلى مؤلف مشهور ليلقى الرواج عند الناس . ومن العجب أن الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ، وهو الذي وقف على طبعه يخدع به ، ولا يفتن إلى أن نسبته إلى الجاحظ كذب واقتراء؟! . طبع بمطبعة المنار سنة ١٣٣٣ هـ .

٥

كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والآثار

عثر به الفاضل محمد راغب الطباخ الحلبي وطبعه منسوباً إلى الجاحظ سنة ١٩٢٨ ولعله للحارث بن أسد المحاسبي أحد أفاضل الزهاد

٦

كتاب سلوة الحريف بمناظرة الربيع والحريف

الظاهر أن مدير مطبعة الجوائب . وكانت من خيرة المطابع بالأستانة ، قد عثر على هذا الكتاب في إحدى المكاتب العامة باستانبول ، وطبعه عن نسخة مخطوطة في سنة ١٤٤١ هـ . غير أنه لم يصف المخطوطة ولم يذكر اسم كاتبها ، ولم يلتفت إلى تحقيق نسبتها ، إلا أنه على ما يظهر قد وجد بصدرها اسم الجاحظ ، فطبعها منسوبة إليه دون تكلف بحث هذه النسبة ووزنها . أما أنا فأقرر أن هذا الكتاب ليس للجاحظ وماعرفه قط في حياته . وإليك بيان ذلك :

جاء بالمقدمة بعد ديباجة لا عهد لأهل القرن الثالث بها :

« خرجت يوما وأنا في خدمة » قوم الملك ونظام الدين أبي يعلى أحمد ابن طاهر « أطال الله في المعالي تهذيب المعاني بقاءه ، وحرس في اقتفاء المكارم عن المكاره فناءه ، وحاط على الأفاضل بإسداء الفواضل نعاءه ، وعطف على العلماء بحفظ أيامه وزمانه ، وحجّل الدنيا بعزة تمكينه فيها ورفعته مكانه » الخ

ولم تكد تُعرف هذه الألقاب أمثال : قوم الملك ونظام الدين ، وحجة الاسلام ، ونور الممالك ، وجمال السلطنة ، وبهاء الدولة ، إلا في أيام الدولة السلجوقية . ولست في حاجة إلى إيراد تاريخ أبي يعلى أحمد بن طاهر ، فقد كفانا ما جاء في الكتاب من شعر لابن المعتز ولابن الرومي وغيرهما من الشعراء والكتاب الذين لم يُعرفوا إلا في القرن الرابع أو في أواخر القرن الثالث ، فما ورد فيه منسوباً إلى ابن المعتز قوله :

إِشْرَبَ عَلَى طَيْبِ الزَّمَانِ فَقَدْ حَدَا
وَأَشْمَنَا بِاللَّيْلِ بَرَدَ نَسِيمِهِ
وَوَافَاكَ بِالْأَنْدَاءِ إِقْدَامَ الْحَيَا
كَمْ فِي ضَمَائِرُتُ رَبِّهَا مِنْ رَوْضَةٍ
تَبْدُو إِذَا جَادَ السَّحَابُ بِقَطْرِه
وَقَوْلُهُ :

الْأَتْرَى بِهَجَاتِ الرَّوْضِ فِي السَّحَرِ
فَوْقَ النَّدَى وَاتِّسَاقِ الْوَرْدِ فِي الشَّجَرِ
إِذَا السَّحَابُ سَقَاهَا فِي الدُّجَى خَلَعَتْ

بَعْدَ السَّحَابِ عَلَيْهَا الشَّمْسُ فِي الْبُكْرِ
وَالرَّوْضُ مِنْ زَاهِرٍ زَاهٍ بِنَضْرَتِهِ
وَكَلِمٍ مِنْهُ فِي الْأَغْصَانِ مُنْتَظَرٍ

حَسْبِي مِنَ الْوَرْدِ تَوْرِيدُ الْخُدُودِ كَمَا
حَسْبِي مَسْرَّةُ مَحْسُودٍ مِنَ الْبَشَرِ

ومما ورد فيه لابن الرومي قوله :

لَوْلَا فَوَاكِهُ أَيْلُولُ إِذَا اجْتَمَعَتْ
إِذَا لَمَّا حَفَلَتْ نَفْسِي مَتَى اشْتَمَلَتْ
يَا حَبْدًا كَيْلُ أَيْلُولٍ إِذَا بَرَدَتْ
وَجَمَشَ الْقَرُّ فِيهِ الْجِلْدُ وَاشْتَمَلَتْ
وَأَسْفَرَ الْقَمَرُ السَّارَى بِصَفْحَتِهِ
يَا حَبْدًا نَفْحَةٌ مِنْ رِيحِهِ سَحَرًا
بَلْ فِيهِ مَا شِئْتُ مِنْ شَهْرٍ تَعَهَّدَهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَدُ اللَّهِ بَيْضَاهُ

وقوله :

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا تَرُوقُ مَنْ نَظَرَ
بِمَنْظَرٍ فِيهِ جَلَالُ الْبَصَرِ
وَاهَا لَهَا مُصْطَنَعًا لَقَدْ شَكَرُ
أَنْدَتُ عَلَى اللَّهِ بِآلَاءِ الْمَطَرِ
وَالْأَرْضُ فِي رَوْضٍ كَأَفْوَافِ الْحَبْرِ
تَبَرُّجَتْ بَعْدَ حَيَاءٍ وَخَفَرِ
تَبَرُّجَ الْأَشْيَى تَصَدَّتْ لِلذِّكْرِ

وأنت تعلم أن ابن المعتز وابن الرومي لم يدرك واحد منهما الجاحظ ولا
رآه ، وعندى أن هذا الكتاب قد وضع في أواخر القرن الرابع وأوائل
القرن الخامس . والجاحظ منه براء

٧

كتاب المحاسن والأضداد

خُدْعَ كثير من الناس بهذا الكتاب ونسبوه إلى الجاحظ ، بلا بحث
ولا تحقيق ، ومن خُدْعَ به قديما الشيخ محي الدين بن العربي ، فقد رأيت

ينقل عنه في كتابه « محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار ». والحقيقة أن الجاحظ يبرأ إلى الله منه ومن زيفه عليه . إذ هو كتاب غث سقيم حُشى بكثير من الأكاذيب المزوجة بالقليل من أشباه الحقائق . والظاهر أن أحد الوراقين في القرن الرابع لفقّه ولم يجد سبيلا إلى ترويجه إلا بأن ينسبه إلى الجاحظ .

ومن الأدلة على براءة الجاحظ منه أني بينا أقلبه وقع نظري في صفحة ٣٨ من النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٤ هـ على هذه الأبيات منسوبة إلى ابن المعتز ، قال : وقال ابن المعتز :

تَعَلَّمْتُ فِي السَّجْنِ نَسِجَ التَّكَاكُفِ وَكُنْتُ امْرَأً قَبْلَ حَبْسِي مَلِكٌ
وَقِيدْتُ بَعْدَ رُكُوبِ الْجِيَادِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِدَوْرِ الْفَلَكَ
أَلَمْ تُبْصِرِ الطَّيْرَ فِي جَوْهَا تَكَادُ تَلَاصِقُ ذَاتَ الْحُبُكِ
إِذَا أَبْصَرَتْهُ خُطُوبُ الزَّمَانِ أَوْقَعْنَهُ فِي حَبَالِ الشَّرْكَ
فَهَذَاكَ مِنْ حَالِقِي قَدْ يُصَادُ وَمِنْ قَعْرِ بَحْرِ يُصَادُ السَّمَكُ
قرأت هذه الأبيات فعجبت كيف يروى الجاحظ لابن المعتز وقد

مات الجاحظ قبل أن يبلغ ابن المعتز من العمر ست سنين ؟ فقد ولد ابن المعتز في شعبان سنة ٢٤٩ ومات الجاحظ في المحرم سنة ٢٥٥ فهل من المعقول أن يروى الجاحظ عنه وهو في هذه السن ؟ وهل يتفق عرفا وعادة أن ابن ست سنين يقول شعرا ؟ على أن نظرة في هذه الأبيات تكفي لنفيها عن ابن المعتز أيضا . لأنها من الضعف والسقم والاسفاف إلى حد كبير . فهي لا تتفق ونفس ابن المعتز ، ويعلمو أسلوبه عنها . ولأن ابن المعتز لم يسجن فضلا عن يبقى في السجن حتى يتعلم نسج التكك . وحقيقة ذلك أنه لما أقامه رجال الدولة خليفة لم يلبث في دست الخلافة أكثر من يوم وليلة ثم نار به رجال المقتدر وتمكنوا من خلعه فاخفى في دار ابن الجصاص الجوهري ثم أخذه

مؤنس الخادم، أحد قواد الدولة المشهورين، فقتله ثم سلمه إلى أهله في كساء .
 فهل يظن أنه وهو محتف في دار ابن الجصاص ، والطلب مشدد عليه ، والزعر
 والفزع متملكان فؤاده ، يفرغ لتعلم نسج التكبك ؟ ! فضلا عن أن يقول
 الشعر فيها وفي تعلم نسجها ؟ على أنني لم أعثر على هذه الأبيات في ديوانه .
 وفي الصفحة ١١٦ رأيت واضع الكتاب يقول : وقال عبد الله بن
 المعتز « أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام » وسبيل هذا سبيل ماسلف .
 وفي صفحة ١٣٥ يقول : حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان . ولا يصح
 مطلقا أن يحدث الجاحظ عن ثعلب . وفي صفحة ١٤٢ يقول : ومما جاء في
 الحسن من الشعر قال عبد الله بن المعتز : أنشدني أبو سهل اسماعيل بن علي
 لأبي الصواعق :

وَمَرِيضٍ طَرَفٍ لَيْسَ يَصْرِفُ طَرَفَهُ نَحْوَ الْمَدَى إِلَّا رَمَاهُ بِحَتْفِهِ
 ظَنِي لَهُ نَظَرٌ ضَعِيفٌ كَلَمَّا قَصَدَ الْقَوَى أَتَى عَلَيْهِ بَضْعُهُ
 قَدَقَلْتُ لَمَّا مَرَّ يَخْطُرُ مَائِسًا وَالرَّدْفُ يَجْذِبُ خَصْرَهُ مِنْ خَلْفِهِ
 يَا مَنْ يُسَلِّمُ خَصْرَهُ مِنْ رَدْفِهِ سَلَّمَ فَوَادَ مُجِبِّهِ مِنْ طَرَفِهِ
 فقلت (يعنى ابن المعتز) في هذا المعنى وعلى هذا الوزن :

وَحَيَاةٍ مِنْ جَرَحِ الْفَوَادِ بِطَرَفِهِ لَا حَبْرَنَّ قَصَائِدِي فِي وَصْفِهِ
 قَمَرٌ بِهِ قَمَرُ السَّمَاءِ مُتِمِّمٌ كَالْغُضَنِ يَعْجَبُ نَفْصُهُ مِنْ نَفْصِهِ
 إِنِّي عَجَبْتُ لَخَصْرِهِ مِنْ ضَعْفِهِ مَاذَا تَحْمَلُ مِنْ ثِقَالَةِ رَدْفِهِ ؟
 هَذَا وَمَا أَدْرِي بِأَيَّةِ فِتْنَةٍ جَرَحَ الْفَوَادِ بِطُفْهِ أَمْ طَرَفِهِ ؟
 أَمْ بِالذَّلَالِ أَمْ الْجَمَالِ أَمْ الضِّيَا مِنْ وَجْهِهِ أَمْ بِالْقَفَا مِنْ خَلْفِهِ
 ولم أعثر على هذه الأبيات في ديوانه

وفي الصفحة ١٤٤ يقول : وقال آخر :

يا ملاح الدَّلالِ وَالْإِعْتِنَاجِ ما أَرَى الْقَلْبَ مِنْ هَوا كُنَّ نَاجِـ
أَنْتَ زَرَقَنْتَ فَوْقَ خَدَّيْكَ صَدْعًا مِنْ عَبِيرٍ عَلَى صَفَاحِ عَاجِـ
أَشْرَقَتْ وَجْهَتَاكَ بِالنُّورِ حَتَّى أَغْنَمْتَ الْخَلْقَ عَنْ ضِيَاءِ السَّرَاجِـ
فَعَلِمْتَ مُفْلَتَاكَ بِالْقَلْبِ مِنْى فَعَلَّةَ الْقَرْمَطِ بِالْحِجَاجِـ
يَا هِلَالًا آتَسْتُ مِنْهُ بِضَوْءِ جُنْحَ لَيْلٍ مِنَ الظَّلَامِ الدَّاجِـ

وقد لفت نظري في هذه الأبيات قوله « فعلة القرمطى بالحجاج »

فإن هذه العبارة تشير الى وقعة حدثت بعد وفاة الجاحظ بأربعين سنة .

وذلك أن ذكرَ وَيْهِ زعيم القرامطة هاجم الحجاج بجيوشه سنة ٢٩٤ وفنك

بهم فتكا ذريعا . حتى قالوا إن عدة القتلى كان عشرين ألفا؟ الخ . فكيف يتسنى

للجاحظ أن يروى في كتاب له شعرا تذكر فيه حادثة لم تقع إلا بعد وفاته .

بأربعين سنة ؟ هذا مالا يقول به عاقل !

والحق أن هذا الكتاب مدسوس على الجاحظ ، وأبو عثمان لا يعرفه .

٨

كتاب الهدايا

قال ياقوت انه مما نسب الى الجاحظ قديما

الفصل العشرون

في

ما اخترناه من طرفه ونوادره

للجاحظ أخبارٌ شائقةٌ ، وطرفٌ فائقةٌ ، ونوادرٌ طريفةٌ ، وأحاديثٌ لطيفةٌ ، وكان مع جده وجلالة مقامه ، وسنى منزلته ، ومع مواقفه المشهورة في الجدل والنظر ، ومع شدة مجالده لخصومه وأعداء مذهبه بقوة لسانه ، ومثانة بيانه ، كان مع هذا كله ميالا الى الملح واللطائف ، والنكت والطرائف ، والتندر والعبث ، والسخرية والطَّزُّ ، والترويح عن النفس بما لاغمية فيه بالدين ، وإحجام الخاطر بما لا مساس فيه بالروء ، لا يبالى في سبيل تصيد النكتة الحارة ، وفي تقييد الطرفة الشبية ، أن يرويها ولو كان فيها ما يتناول سمته ، ويفتخر حلى وقاره ، واقفا من ذلك عند حد الأثر القائل « أجوا هذه النفوس بشيء من الهزل لتستعين به على الجد » فمن ذلك ما حدث به عن نفسه قال :

١

ذُكِرَت للمتوكل لتأديب بعض ولده ، فلما رآني استبشع منظري ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني . فخرجت من عنده ، فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف إلى مدينة السلام ، فعرض على الخروج معه والانحذار في حرَّاقته - وكنا بسرَّ من رآى - فركبنا في الحراقة فلما انتهينا الى قم القاطول نصب ستارة وأمر بالغناء . فاندفعت عَوَّادَةٌ فغنت :

كلَّ يومٍ قَطِيعَةٌ وَعِتَابُ يَنْقُضِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غِضَابُ

لَيْتَ شِعْرِي أَنَا خُصِصْتُ بِهَذَا دُونَ ذَا الْخَلْقِ أَمْ كَذَا الْأَحْبَابُ!
وسكتت . فأمر الطَّنْبُورِيَّةَ فغنت :

وَأَرْحَمَتَا لِلْعَاشِقَيْنَا مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ مُعِينَا
كَمْ يُهْجَرُونَ وَيُصْرَمُونَ وَيُقْطَعُونَ فَيَصْبِرُونَ

فقال لها العوادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : هكذا يصنعون ؟ وضربت
بيدها إلى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قر فألقت نفسها في الماء .
وعلى رأس محمد غلام يضاهاها في الجمال ، وبيده مِدْبَةٌ فَأَتَى الْمَوْضِعَ وَنَظَرَ
إِلَيْهَا وَهِيَ تَمْرُ بَيْنَ الْمَاءِ وَأَنْشَدَ :

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتَنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمَيْنَا

وَأَتَى نَفْسَهُ فِي أَثَرِهَا . فَأَدَارَ الْمَلَّاحُ الْحَرَاةَ فَإِذَا بِهِمَا مَعْتَقَانِ ، ثُمَّ غَاصَا
فَلَمْ يُرَ يَا . فَاسْتَعْظَمَ مُحَمَّدٌ ذَلِكَ وَهَالَهُ أَمْرُهُمَا ثُمَّ قَالَ : يَا عَمْرُو ، لَتَحْدِثَنِي حَدِيثًا
يَسْلِينُنِي عَنْ فِعْلِ هَذَيْنِ وَالَا لِحَقَّتْكِ بِهِمَا !

قال : فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك^(١) وقد قعد لامظالم وعرضت
عليه القصص فمرت بها قصة فيها : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخْرَجَ إِلَى جَارِيَتِهِ
فَلَانَةٌ حَتَّى تُغْنِيَنِي ثَلَاثَةُ أَصْوَاتٍ فَعَلَ . فَاغْتَاظَ يَزِيدُ مِنْ ذَلِكَ وَأَمَرَ مَنْ يُخْرِجُ
إِلَيْهِ فَيَأْتِيهِ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ أَتَبَعَ الرَّسُولَ رَسُولًا آخَرَ بِأَمْرِهِ بِأَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ

(١) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان أحد ملوك بني أمية بالشام ولى
الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز وذلك في يوم الجمعة ٢٤ رجب سنة ١٠١ هـ
وكان يكنى أبا خالد وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وكان صاحب لهُو
ولعب واستهتار ، على ما يقولون ، وكانت له جارتان تسمى إحداهما سلامة
والأخرى حبابة ملكا عليه عقله ، واستأثرا بلبه ، وشاع الظلم والجور في أيامه .
توفي بأربد من أرض البلقاء من أعمال دمشق سنة ١٠٥ هـ

فأدخله . فلما وقف بين يديه قال : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال :
الثقةُ بجملك ، والاتكالُ على عفوك . فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بني
أمية إلا خرج ، ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها ، فقال لها
الفتى : غنى :

أَفَاطِمُ . مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدِازْمَعْتَ صَرَمِي فَأَجْلِي
فغنته . فقال له يزيد : قل ؟ فقال : غنى :

تَالْقَى الْبَرْقُ نَجْدِيًّا فَقُلْتُ لَهُ يَا أَيُّهَا الْبَرْقُ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
فغنته . فقال له يزيد : قل ؟ فقال : يا مولاي ، تأمرلى برطل شراب !
فأمر له به . فما استتم شربه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى نفسه على
دماغه فمات ... !! فقال يزيد : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أثره الأحمق الجاهل
ظن أنى أخرج إليه جاريتى وأردها إلى ملكى ؟ خذوا بيدها واحملوها إلى
أهله ، إِنْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ ، وَإِلَّا فَبِيعُوهَا وَتَصَدَّقُوا عَنْهُ بِشَمْنِهَا . فانطلقوا بها
فلما توسطت الدار نظرت إلى حفيرة فى وسط دار يزيد ، قد أعدت له طرء ،
فجذبت نفسها من أيديهم وأنشدت :

مَنْ مَاتَ عَشَقًا فَلَيْمُتْ هَكَذَا لَا خَيْرَ فِي عِشْقِ بِلَا مَوْتٍ
وَأَلَقْتُ نَفْسَهَا فِي الْحَفِيرَةِ عَلَى دِمَاغِهَا فَمَاتَتْ ... !! قال : فسررى عن محمد
وأجزل صليتى .

قلت : وأنا أشك فى صدق هذه القصة من أولها إلى آخرها ، ولأستثنى
منها إلا خبر دعوة المتوكل الجاحظ لتأديب بعض ولده . وأما غير ذلك فإنى
أراه من وضع الجاحظ وتلفيقاته ، ومن منتزعات خياله . على أنه قد
ثبت ثبوتًا لا يقبل الشك أن الجاحظ كان له سهم نافذ فى وضع القصص

على أنواعها حتى النوع « التراجيدى » المؤثر ، ذلك الفن الذى هو من مفاخر كتاب أوربا فى هذا العصر

٢

وقال : أتيت أبا الربيع الغنوى ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم ، ومعى رجل من بنى هاشم ، فقلت : أأبا الربيع ههنا ؟ فخرج إلى وهو يقول :: خرج إليك رجل كريم ، فلما رأى الهاشمى استحيا من فخره بحضرته فقال :: أكرم الناس رديفاً ، وأشرفهم حليفاً^(١) . فتحدثنا ملياً فنهض الهاشمى .. فقلت :

يا أبا الربيع ، من خيرُ الخلق ؟

فقال : الناسُ ، واللهِ

فقلت : ومن خيرُ الناس ؟

فقال : العربُ ، واللهِ

فقلت : فمن خيرُ العرب ؟

فقال : مُضَرٌّ ، واللهِ

فقلت : فمن خيرُ مُضَر ؟

فقال : قَيْسٌ ، واللهِ

فقلت : فمن خيرُ قَيْس ؟

فقال : يَعْصَرُ ، واللهِ

فقلت : فمن خيرُ يعصر ؟

فقال : غَنِيٌّ ، واللهِ

(١) يريد أن أبا مرثد الغنوى كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حليف حمزة بن عبد المطلب

فقلت : فمن خير غني ؟

فقال : المخاطب لك ، والله

فقلت : أفأنت خير الناس ؟

فقال : نعم ، إني والله

فقلت : أيسرك أن تحتك بنت يزيد بن المهلب ؟^(١)

(١) هو أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي . أحد أمراء الدولة المروانية ، وقائد من قوادها العظام ، شهد مع أبيه المهلب حروب الجبارة من الخوارج فأبلى فيها بلاء حسنا ، وكان أبوه يعتمد عليه في كبريات الوقائع ويقدمه موثورة لما كان معروفا به من القوة والشجاعة ومصارعة الأبطال وجودة التدبير ، وكان مع هذا جوادا سمحا كريما لا يرد سائلا ولا يحرم عافيا . وقد ولى خراسان بعد أبيه وسنه ثلاثون سنة ثم عزله عبد الملك بمشورة الحجاج لأنه كان له مبغضا ، مع أن أخته كانت تحت الحجاج . وكان السبب في بغض الحجاج له خرافة نبأها أحد المشعوذين إذ قال له : إن الذي يلي الأمر بعدك يسمى يزيدا . فلم ير أمامه من يليق بذلك إلا يزيد بن المهلب ، فكان ذلك داعيا إلى بغضه له وحبسه إياه وتعذيبه . ثم هرب يزيد من حبسه وذهب إلى الشام مستشفعا بسلیمان بن عبد الملك فشفع له إلى الوليد فعفا عنه وأمنه . ولما أفضت الخلافة إلى سلیمان وولاه خراسان فافتتح جرجان ودهستان وغيرهما من البلاد التي لم تكن فتحت من قبل . ثم أقبل بغنائمه يريد سلیمان فبلغه موته فقال إلى البصرة فغادعه عدی بن أرطاة حتى أوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز فحبسه فهرب من حبسه ، ثم جمع جموعا وخرج بها على يزيد بن عبد الملك ، فسير إليه الجيوش بقيادة مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وهما بطلا بني أمية ، فقاتلاه بالعقر من أرض بابل . فمات يزيد بالمعركة محتقلا بغبارها سنة ١٠٢ هـ ٧٣٠ م

فقال : لا ، والله

فقلت : ولك ألف دينار ؟!!

فقال : لا ، والله

فقلت : فألفا دينار ؟!!

فقال : لا ، والله

فقلت : ولك الجنة ؟!!

فأطرق برأسه ثم قال : على ألا تلد مني ؟ وأنشد :

تَأْتِي لِأَعْصَرٍ أَغْرَاقُ مَهْدَبَةٍ مِنْ أَنْ تُنَاسِبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْفَاءِ
فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ حَتْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ فَادْكُرْ حُذَيْفَ فَإِنِّي غَيْرُ أَبَاءِ^(١)

٣

وقال : دعوت نجارا كان عندي لتعليق باب ثمين كريم ، فقلت له :
إن إحكام تعليق الباب شديد ، ولا يُحسنه من مائة نجارٍ نجارٌ واحد ، وقد
يُذكر بالخذق في نجارة السقوف والقباب وهو لا يُكمل تعليق باب على
تمام الإحكام ، والقبابُ عند العامة أصعب ، ولهذا أمثال : فمن ذلك أن
الغلام والجارية يشويان الجُدَى والحَمَلَ وهما يُحكمان الشيء ، وهما لا يحكمان
شيءَ جَنِبٍ ، ومن لا علم له يظن أن شيءَ البعض أهون من شيء الجميع ؟!!
فقال لي : قد أحسنت حين أعلمتني أنك تبصر العمل ، فإن معرفتي بمعرفتك
تمنني من التشقيق . فملقه فأحكم تعليقه . ثم لم يكن عندي حلقة لوجه

(١) هو حذيفة بن بدر الفزاري . وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه
أسمهم به نسبا ، وذلك أن يعصر أو أعصر هو ابن سعد بن قيس . وهؤلاء بنو
ريث بن غطفان بن سعد بن قيس

الباب إذا أردت إصفاقه ، فقلت له : أكره أن أجلسك إلى أن يذهب الغلام إلى السوق ويرجع ، ولكن اتقُبْ لي موضعها ؟ فلما ثقبه وأخذ حقه وَلَآئِي ظهره للإِنصراف والتفت إلى فقال : قد جَوَّدْتُ الثَّقبَ ولكن انظر أى نجار يدق فيه الرزة فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شق الباب . فعلمت أنه يفهم صناعته فهما تماماً

٤

وقال : قامت لِعُبَيْدِ الكَلَابِيِّ : أيسرك أن تكون هجيناً^(١) ولك ألف دينار ؟

فقال : لا أحب اللؤم بشئ

فقلت : إن أمير المؤمنين ابنُ أمةٍ ؟

فقال : أخزى الله من أطاعه ؟ !

فقلت : نبياً الله إسماعيل ومحمد ابنا أمةٍ ؟

فقال : لا يقول هذا إلا قَدَرِيٌّ

فقلت : وما القدرى ؟

فقال : لا أدري ، إلا إنه رجل سوء ؟ ! !

قلت : لعله يريد بأمير المؤمنين « المعتصم » فإن أمه جارية ، وكانت

تسمى ماردة . ومن المعروف أن إسماعيل إنما جاء لابراهيم عليهما السلام من

جارته المصرية هاجر . ومحمد رسول الله من سلالة إسماعيل ، ومن هنا قال

إن أمهما أمة

(١) ألجين من أبوه عربى خالص وأمه أمة

وأراد الجاحظ زيارة محمد بن عبد الملك الزيات فدخل عليه وقد افتصد فقال له : أدام الله صحتك ، ووصل غبطتك ، ولا سلبك نعمتك فقال له ابن الزيات : ماذا أهديت إلينا يا أبا عثمان ؟ فقال : فكرت في شئ أهديه إليك ، فإذا كل شئ عندك ، فلم أر أشرف ولا أطرف من كتاب سيبويه ، بخط الكسائي وعرض الفراء . وقد اشتريته من ميراث الفراء . فقال : والله ما أهديت إلي شئاً أحب منه !

وقال : ما أخجلني أحدٌ إلا امرأتان ، رأيت إحداهما في العسكر ، وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام ، فأردت أن أمازحها فقلت لها : إنزلي كلّي معنا ؟ فقالت : إصعد أنت حتى ترى الدنيا !! وأما الأخرى فإنها أتتني وأنا على باب دارى فقالت : لي إليك حاجة وأريد أن تمشي معي ؟ فقامت معها إلى أن أتت بي إلى صانع يهودى وقالت له : مثل هذا ؟ !! وانصرفت . فسألت الصانع عن قولها فقال : إنها أتت إلي بفص وأمرتني أن أقتس لها عليه صورة شيطان ! فقلت لها : يا ستي مارأيت الشيطان ؟ !! فأنت بك وقالت ما سمعت ؟ !!

وقال : سألتى بعضهم كتاباً بالوصية إلى بعض أصحابي ، فكتبت له رقعة وختمتها ، فلما خرج الرجل من عندي فضها فإذا فيها :

« كتابي إليك مع من لا أعرفه ، ولا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أحمذك ، وإن رددته لم أذمك »

فرجع الرجل إلى فقلت له : كأنك فضضت الورقة ؟
فقال : نعم !

فقلت : لا يضيرك ما فيها فإنه علامة لى إذا أردت العناية بشخص ؟!!
فقال : قطع الله يديك ورجليك ولعنك !
فقلت : ما هذا ؟ !

فقال : هذا علامة لى إذا أردت أن أشكر شخصاً !

٨

وقال : كان رجل من أهل السواد^(١) يتشيع ، وكان ظريفاً . فقال ابن عم له : بلغنى أنك تبغض علياً ؟ والله لئن فعلت لتردن عليه الحوض يوم القيامة ولا يسقيك !

فقال : والحوض فى يده يوم القيامة ؟
فقال : نعم

فقال : وما لهذا الرجل الفاضل يقتل الناس فى الدنيا بالسيف ، وفى الآخرة بالعطش ؟ ! !

فقال له : أقول هذا مع تشيعك ودينك ؟!!
فقال : والله لا تركت النادرة ولو قتلتنى فى الدنيا ، وأدخلتنى النار فى الآخرة . . ؟ !

(١) أهل السواد هم قلاحوا أرض العراق وزراعتها

٩

وقال : نزلت على صديق لى فلم آكل عنده لحما ، ففرّضْتُ له فقال :
إني لأكثر من اللحم منذ سمعت الحديث « إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ الْبَيْتَ اللَّحْمَ » .
فقلت : يا أخى ، إنما أراد البيت الذى تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة ؟ ! ..
فلم يؤخر حضور اللحم من ذلك اليوم !

قلت : وهذه إحدى معائب الجاحظ وتلاعبه بالكلام حتى يصرفه عن
وجهه ، فإن الحديث متواتر على الصحة . ومهما يكن من شئ فهى من
ألف النكات

١٠

وقال : أتيت منزل صديق لى فطرقت الباب فخرجت إلى جارية سندية :
فقلت : قولى لسيدك : ألاحظُ بالباب ؟
فقلت : أقول الجاحد بالباب ؟ -- على لفتها !
فقلت : لا ، قولى له : أَلحدَقُ بالباب !
فقلت : أقول : أَلحلَقى بالباب ؟
فقلت : لا تقولى شيئاً . ورجعت !!

١١

وقال : رأيت أربعة أشياء لم أر مثلهن :
رأيت سائلا يسأل فى الحمام ، ويأخذ مواعيد من فيه إلى أن يخرجوا !
ورأيت معلماً يعلم الصبيان القرآن ، والصبيا الغناء !
ورأيت حجاماً بالكوفة يحجم بنسيئة إلى الرجعة لشدة إيمانه بها !^(١)

(١) الرجعة : هى عقيدة قوم كانوا يقولون بأن الانسان بعد وفاته
لا بد عائد إلى هذه الدار ، طال الزمن أو قصر . وكان السيد الخيرى الشاعر

ورأيت حاملين يحملون جنازة فكلموا أعيوا وضعوا عن رؤسهم إلى أن بلغوا شفير القبر !

١٢

وقال : كان يحضر إلى رجلٌ فصيحٌ من العجم . فقلت له : هذه الفصاحة ، وهذا البيان ، لو ادعيت في قبيلة من العرب لكنت لا تُنازع فيها ؟ فأجابني إلى ذلك . فجمعت أحفظه نسباً حتى حفظه وهذه هذاً . فقلت له : الآن لا تتبر علينا ؟ فقال : سبحان الله ! إن فعلت ذلك فأنا إذا دعيت ؟ !!

١٣

وقال : جاءني يوماً بعض الثقلاء فقال : سمعت أن لك ألف جواب مُسكت ، فعلمني منها ؟
فقلت : نعم
فقال : إذا قال لي شخص : يا زوج القحبة ، يا ثقليل الروح ، أى شئ أقول له ؟
فقلت : قل له : صدقت ؟ !!

١٤

وقال : وقفت أنا وأبو حرب على قاصٍ فأردت الولع به ، فقلت لمن حوله : إن هذا رجل صالح لا يحب الشهرة . فتفرقوا عنه . فنظر إلى وقال : حسبك الله ؟ إذا لم يجد الصيد طيراً كيف يمد شبكته ؟ !

يقول بهذا القول ، فجاءه رجل يسأله أن يقرضه مائة دينار على أن يردها إليه بعد الرجعة ، فقال له السيد : ومن يضمن لي أنك لن تعود حماراً ؟ !!

١٥

وقال : مَرَضَ عَلِيٌّ بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّيْحَانِيُّ فدخلت عليه عائداً وقلت
 لله : ماتشتهي يا أبا الحسن ؟ فقال : عُيُونُ الرِّقَاءِ ، وَالسِّنُّ الْوُشَاةُ ، وَأَكْبَادُ
 الْحَسَادِ !

١٦

وقال : ما غلبني أحدٌ قط إلا رجل وامرأة :
 فأما الرجل فإني كنت مجتازاً في بعض الطريق فإذا برجل قصير
 بطين كبير الهامة طويل الاحية مؤتزرب بمنز وبيده مشط يمشطها . فقلت في
 نفسي : رجل قصير بطين أَلْحَى ! فاستزريته ، فقلت : أيها الشيخ ، لقد
 قلبت فيك شعراً ! فترك المشط من يده وقال : قل . فقلت :
 كَأَنَّكَ صَعَوَةٌ فِي أَصْلِ حُشٍّ أَصَابَ الْحُشَّ طَشٌّ بَعْدَ رَشٍّ (١)
 فقال : إسمع جواب ما قلت . فقلت : هات ! فقال :
 كَأَنَّكَ جُنْدَبٌ فِي ذَيْلِ كَبْشٍ تَدَلُّدَلْ هَكَذَا وَالْكَبْشُ يَمْشِي (٢)
 وأما المرأة فإني كنت مجتازاً في بعض الطريق فإذا أنا بامرأتين ،
 وكنت راكبا على حمارة ، فضرطت الحمارة ، فقالت إحداهما للأخرى : وئى !
 حمارة الشيخ تضط !! ففاظطى قولها فقلت لها : إنه ما حملتنى أننى قط إلا
 ضرطت . فضربت بيدها على كتف الأخرى وقالت : كانت أم هذا منه
 تسعة أشهر في جهد جهيد ؟ !!

١٧

وقال أبو بكر محمد بن إسحق : قال لى إبراهيم بن محمود ، ونحن ببغداد :

- (١) الصعوة : عصفورة صغيرة كثيرة الصغير . الحش : بيت الخلا .
 الطش : المطر الكثير . الرش : المطر الخفيف .
 (٢) الجندب : الجرادة

ألا ندخل على عمرو بن بحر الجاحظ ؟ فقلت : مالى وله ؟ فقال : إنك إذا انصرفت إلى خراسان سألوك عنه ! فلو دخلت إليه وسمعت كلامه ؟ فدخلنا عليه فقدم لنا طبقا عليه رطب ، فتناولت منه ثلاث رطبات ثم أمسكت ، ومر فيه إبراهيم ، فأشرت إليه أن يمسك . فرمقنى الجاحظ وقال لى : دعه يافقى فقد كان عندى بعض إخوانى قد دمت إليه الرطب فامتنع فخلفت عليه فأبى إلا أن يهرقسمى بثلاثمائة رطبة ! !

١٨

وقال ابن أبي الذئبال المحدث : حضرت وليمة حضرها الجاحظ ، وحضرت صلاة العصر وما صلى الجاحظ ، فلما عزمنا على الانصراف قال الجاحظ لرب المنزل : إني ما صليت لمذهب أو لسبب أخبرك به ! فقيل له : ما أظن أن لك مذهبا فى الصلاة إلا تركها !

١٩

وقال أبو العيناء : كان الجاحظ يأكل مع محمد بن عبد الملك الزيات فجاءوا بفالودجة ^(١) ، فتولع محمد بأبى عثمان الجاحظ وأمر أن يجعل من جهته مارق من الجام ، فأسرع فى الأكل فتتنظف ما بين يديه ، فقال ابن الزيات : تقشعت سماؤك قبل سماء الناس ؟!! فقال الجاحظ : لأن غيمها كان رقيقا ! !

٢٠

وقال يموت بن المزرع : سمعته — يعنى الجاحظ — يقول : رأيت رجلا يروح ويغدو فى حوائج الناس فقلت له : قد أتعبت بذلك بدنك وأخلقت ثيابك ، وأعجفت برؤوسك ، وقتلت غلامك ، فمالك راحة ولا قرار

(١) الفالودجة : هى الفالوذ ، وهى حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل . بالوذة .

فلو اقتصدت بعض الاقتصاد ! ! فقال : سمعتُ تغريد الأَطيار فما طربته
طربي لنعمة شاكر أوليته معروفاً، أو سعيته له في حاجة !

٢١

وقال الجاحظ : نسيت كنييتي ثلاثة أيام فسألت أهلي : بماذا أُكنِّي؟
فقالوا لي : أبو عثمان !

٢٢

ومن أطرف ما يروى في هذا الباب ما تحدث به أبو علي الحسن بن
محمد الأنباري الكاتب قال : مات عندنا بالأنبار فلان . وأسماء . وكان
عظيم النعمة ، وافر المروءة ^(١) كثير الثياب . وكان لكثرتها يجعل كل فن
منها في عدة صناديق . فكانت دراريعة الدَّبِيقَةِ ^(٢) مفردة ، والدراريع
الديباج مفردة ، وكذلك القمص ، والسرراويلات ، والجباب ، والطبالس
والعمائم . قال : وكان له بنو عم وأم وَلَدٍ ^(٣) قد تزوجها ، فلما مات أخرجت
جميع آلاته وقماشه وثيابه إلا اليسر ، من الدار ، لخبأته . وذهب عليها
صناديق السرراويلات فلم تُخرجها ، فجاء بنو العم فحتموا على الخزائن ، فلما
انقضت أيام المصيبة فتحوها فوجدوها أخلى من فؤاد أم موسى . فخاصموها

(١) المروءة : هي كمال الرجولية ، وهي آداب نفسية تحمل مراعاتها
الإنسان على التزام محاسن الأخلاق وجميل العادات ، والظهور أمام الناس
بحسن السمات ونظافة الثياب وتخييرها حتى لا تنبو العين عن شيء منها .

(٢) الدبيقة نسبة إلى بلد مصرية كانت بين الفرما وتيس ، وكانت مشهورة
بصنع الثياب والعمائم من رقيق النسيج وتوشيتها بالذهب ، وقد تبلغ قيمة
الذهب في العمامة الواحدة خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل

(٣) أم الولد : هي الجارية التي كانت تتخذ للتسرى حتى إذا حملت أعتقت
وعقد عليها

إلى قاضي البلد ، فلم تنقطع الخصومة . فدخلوا الحاضرة ^(١) فتظاهروا ، فأشخصت
وحملت إلى القاضي أبي جعفر بن البهلول — ووقع إليه بالنظر فيما بينهم على
طريق المظالم ^(٢) — فحضروا عنده وأخذ يسألهم عن دعواهم ، وهي منكرة
جميعها فقالوا له : أيها القاضي ، فلان أنت أعرف الناس بمروءته وثيابه وما
كنت تشاهده له ، وكله كان في يدها له ، وساعة مات ختمنا خزائنه ،
وهي كانت في الدار ، ولما فتحناها لم نجد له فيها إلا عدة صناديق فيها سراويلات ،
وقطعاً يسيرة من ثيابه ! فأين مضى هذا ومن أخذه ؟ وما السبب في عظم
السراويلات وقلة الثياب ؟ ! قال : فأقبلت الجارية محمّدة كأنها قد أعدت
الجواب ، فقالت : أعز الله القاضي ، أما سمعت ماحكاه الجاحظ من أن رجلا
كان يعشق الهواوين فجمع منها مائتي هاون ؟ ! هذا كان يعشق السراويلات ...؟!
قال : فضحك القاضي أبو جعفر وانفض المجلس من غير شيء فما استنصفوا
منها بعد ذلك !

(١) الحاضرة : هي عاصمة الملك ، ويراد بها هنا بغداد

(٢) كانت محاكم المظالم في العهد القديم أشبه بالمحاكم المدنية الآن ، مع
خارق كبير بين صفات من كان يتولى النظر في تلك المظالم ، وبين من يتولى
المحاكمات المدنية الآن .

الفصل الحادى والعشرون

فى

شدور من كلمائه

ليس فى الإمكان حصر ما ذهب من كلمات الجاحظ مذهب الأمثال، ولا ماسار منها مسير الشمس، فإن كتبه ورسائله قد حفلت بهذا النوع من الكلام، وحشدت بهذا الضرب من القول الموجز والبيان المعجز، وإذا فاتنا استقصاء ذلك فلن يفوتنا الإلماع إليه، وإيراد شدور منه، فمن ذلك قوله:..

١

يجب للرجل أن يكون سخيا لا يبلغ التبذير، وشجاعا لا يبلغ الهُوج، ومحترسا لا يبلغ الجبن، وماضيا لا يبلغ القِحة، وقوالا لا يبلغ الهذر، وصموتا، لا يبلغ العي، وحليما لا يبلغ الذل، ومنصرا لا يبلغ الظلم، ووقورا لا يبلغ البلادة، ونافذا لا يبلغ الطيش

٢

ليس جُهد البلاء مدَّ الأعناق وانتظار وقع السيف، لأن الوقت قصير، والحين مغمور. ولكن جهد البلاء أن تظهر الخلَّة، وتطول المدة، وتعجز الحيلة، ثم لا تعدم صديقا مؤنبا، وابن عم شامتا، وجاراً حاسداً، ووليا تحول عدوا، وزوجة متخلفة، وجارية مسبعة، وعبداء يحفوك، وولداً ينتهرك

٣

وقال مرة للسَّدرى: إذا كانت المرأة عاقلة ظريفة كاملة كانت قحبة؟

فقال السدرى : وكيف !!؟

قال : لأنها تأخذ الدراهم ، وتمتع بالناس والطيب ، وتختار على عينها
من تريد ، والتوبة معروضة لها متى شاءت !

فقال السدرى : فكيف عقل العجوز ؟

قال : هي أحق الناس وأقلهم عقلا

٤

كل عشق يُسمى حبا ، وليس كل حب يسمى عشقا . لأنَّ العشق ..
اسم لما فضل عن المحبة ، كما أنَّ السَّرَفَ اسم لما جاوز الجود ، والبخل اسم
لما قصر عن الاقتصاد ، والجبن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس ، والهوج ،
اسم لما فضل عن الشجاعة

٥

وقال : تسعة موجودة في تسعة . أَلْخَفَةُ في السَّمِّ ، وَالْهَوَجُ في الطَّوَالِ ،
وَالْعُجْبُ في الْقِصَارِ ، وَالنَّبْلُ في الرَّبْعَةِ ، وَالْمَلَاخَةُ في الْحَوْلِ ، وَالذِّكَاةُ في
الْخُرْسِ ، وَالْحَفْظُ في الْعُمَيَّانِ ، وَالثَّقَلُ في الْعُورِ ، وَالنَّشَاطُ في الْعُرْجِ !

٦

وقال : أربعة أشياء ممسوخة : أكل الرز البارِد ، والنبيذ في الماء ، والقَبْلُ
على النِّقَابِ ، والغِنَاءُ من وراء الستار !

٧

وقال : أجمع الناس على أربع : أنه ليس في الدنيا أثقل من أعمى ،
ولا أبغض من أعور ، ولا أخف روحا من أحول ، ولا أقود من أهدب

٨

وقال : إذا سمعتَ الرجلَ يقول : ما تركَ الأولُ للآخر شيئاً ! فاعلم أنه
ما يريد أن يُفلح

٩

وقال : مَنْ أَلَفَّ فقد استهدف ، فإن أحسن فقد استظرف ؟ وإن
أساء فقد استقذف

١٠

وقال أبو زيد البلخي : ما أحسنَ ما قالَ الجاحظ : عقلُ المنشئ مشغول ،
وعقلُ المتصفح فارغ ؟ !!

١١

وقال الجاحظ : من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : الدين ، والعرض

١٢

وقال : إحدِر من تأمن ، فإنك حدِرٌ ممن تخاف

١٣

وقال : إن تهياً لك في الشاعر أن تبره وترضيه ، وإلا فاقتله !!!
قلت : إن الجاحظ ، من أجل بغضه لبشار بن برد ومن كان على نهجه
من الشعراء الذين كانوا يهاجون المتكلمين ورجال المعتزلة ، يقول هذه القولة
ويحرض بها من طرف خفي كل ذي نفوذ وسلطان على اغتيال الشعراء !!
وهل في الإمكان إرضاء كل شاعر وقطع لسانه بالعطايا والهبات ، في كل وقت
وفي كل آن ؟ ! هذا ما لا يستطيعه إنسان ، كائنًا من كان ! ولكنه كان لبقًا
في تحريضه ، لطيفًا في حثه وإيعازه . وقد أذكرتني هذه الكلمة كلمة أخرى
قريبة الشبه منها سمعتها من الشيخ علي يوسف ^(١) رحمه الله ، في بعض حديث

(١) هو الكاتب البارع القدير ، والصحنى المصرى الماهر المقطوع
النظير ، الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد ، ومفخرة الصحافة المصرية ،

كان لى معه وهى قوله : « صاحب الكتاب كحامل العقرب لا يدرى متى تلدغه » فقلت له : ولم اختصاصت الكتاب بهذا دون غيره ؟ فقال : لأن الكاتب الأديب أشد فطنة وأدق ذهنًا وأسرع التفاتًا وأكثر تقديرًا لأحوال الناس ومراعى أغراضهم ، من سواه ، فهو إن أَرْضِيته وقتَ بمطالبه ، رضى عنك وقال فيك خير ما يعلم ، وإن أغضبتَه وقصرت في إبلاغه أمانيه ، ثار بك وقال فيك شر ما يعلم وما لا يعلم . وما الكتاب في هذا العصر إلا خلفاء الشعراء في العصر الأول . فقلت له : إن الرضا عند الإحسان ، والسخط عند الإساءة ، طبيعة في الجبلة الانسانية ، وغريزة في كل ما ذرأ الله من خلق ، أما سمعت قول الشاعر :

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْأَسَانَ مَوْكَلَّ ۖ بِمَدْحِ كِرَامٍ أَوْ بِذَمِّ لِيَامٍ ؟ !

فقال : نعم . ولكن الشعراء والكتاب أشد إحساسًا وأرق عاطفة وأنفذ نظرًا وأكثر عرفانا بمقادير أنفسهم ، من كل من عداهم .

بل أحد مفاخر مصر في عهدها القريب . ولد بقرية بلصفورة ، وتلقى علومه بها على الشيخ حسن الهوارى ، ثم حضر إلى القاهرة والتحق بالأزهر . وكان يقول الشعر بمدح به بعض الكبراء استدرازا لعوارفهم . ثم صبت نفسه إلى الكتابة في الصحف ، فشارك الشيخ أحمد ماضي في تحرير جريدة الآداب ، وبعد قليل استقل بها . ثم أنشأ جريدة المؤيد ، وفيها ظهرت براعته ، وذاعت شهرته وانتشر صيته في أقطار الأرض . وصار المؤيد بحق جريدة العالم الاسلامى . وما زالت تدفع به همة وتسمو به مواهبه إلى أن أصبح غشى الجانب من السلاطين والأمراء ، ومن في طبقتهم ، فأهدوا إليه نياشين الفخار ، ومنحوه رتب الاعتبار . ثم صاهر بيت السادات العريق في الحسب ، وصار شيخا للسادات الوفاية . وكان له في المؤيد جولات قلم كانت تقيم السلطنة العثمانية وتقعدها ، وترضيها وتسخطها . وكان المؤيد مدرسة تخرج بها الكثير من فحول الكتاب وأكابر الأدباء الذين يقودون الحركة الفكرية ، ويقبضون على زمام النهضة القلبية ، في هذا العصر . توفي بالقاهرة سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٣ م

الفصل الثاني والعشرون

في

نبد من شعره

يندر في البلاء من تستوى له الإجابة في الصناعتين فيجمع بين بلاغة
النثر، وبراعة الشعر . وهما إذا اجتماعا لبليغ ققلا مساويا في درجات البيان ،
وطبقات التبيان . ولاشك في أن الجاحظ قد بلغ في الكلام المنشور الذروة
العليا في طبقات الفصاحة ، ومعارض الإبانة، ومراقى البلاغة، حتى صار إماما في
أسلوبه ، وحتى تقاصرت دون بلوغ غايته همم الكتاب الذين جاءوا من بعده .
ومع هذا فقد كان في شعره يتظالم وراء الطبقة الوسطى من الشعراء . وكان
ربما استعان بشعر غيره بين يدي حاجته ولا يرى في ذلك بأسا . وقد تظهر
دخيلته في هذه الاستعانة ولا يخشى قول أحد ، لأن له من لسانه وقاية ،
ومن بيانه حماية . على أنه ليس في إمكاننا أن نترك هذا الكتاب دون
أن نثبت فيه ما عثرنا عليه من شعره ، إن صحت رواية الرواة أن الشعر له :

١

روى الرواة أنه قال في أبي الفرج نجاح بن سلمة قصيدة يسأله فيها
إطلاق رزقه . ولم يبق منها إلا قوله :

أَقَامَ بَدَارَ الْخَفْضِ رَاضٍ بِخَفْضِهِ

وَذُو الْحَزْمِ يَسْرِي حَيْثُ لَا أَحَدٌ يَسْرِي ^(١)

(١) يريد بدار الخفض: الإقامة على الفقر والرضا به. وأن الراضى بهذه
الحالة غير حازم ولا بعيد المهمة ، وأما الحازم فهو بعيد المهمة كثير النشاط.

يَظُنُّ الرِّضَا شَيْئًا يَسِيرًا مُهَوَّنًا وَدُونَ الرِّضَا كَأَنَّ أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ (١)
 سَوَاءٌ عَلَى الْأَيَّامِ صَاحِبُ حُنْكَةٍ وَآخِرُ كَلْبٍ لَا يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي (٢)
 خَضَعْتُ لِبَعْضِ الْقَوْمِ أَرْجُو نَوَالَهُ وَقَدْ كُنْتُ لَا أُعْطَى الدِّينِيَّةَ بِالْقَسْرِ (٣)
 فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ يَبْذُلُ بَشْرَهُ وَيَجْعَلُ حُسْنَ الْبَشْرِ وَاقِيَةً الْوَفْرِ (٤)
 رَجَعْتُ عَلَى ظِلْفِي وَرَاجَعْتُ مَتْرَلِي فَصُرْتُ حَلِيفًا لِلدِّرَاسَةِ وَالْفِكْرِ (٥)

والحركة، لا يرضيه الدون من العيش، ولكنه ما يزال معنيا بعظام الأمور. وهو بهذا يعارض قول الشاعر:

يُقِيمُ الرَّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا
 (١) يعني مع هذا فإن الرضا ليس بالشئ الهين اليسير

(٢) صاحب الحنكة! هو المجرب للأمر. والكاني: هو الغر الغمر المغفل. لا يريش ولا يبري: هذا مثل عربي يضرب لمن لا خير فيه ولا غناء عنده

(٣) يريد أنه على شمه وإبائه قد دفعته الحاجة إلى قصد بعض الناس، وقد ظن فيه السباحة والكرم، فخص له ليستنزل سحائب جوده. مع أنه كان لا يتسامح مع نفسه في أن يذل لأحد أو يذعن لدنية إلا إذا قهر عليها

(٤) يريد أنه لما رأى الناس الذين قصدهم في حاجته ليس عندهم إلا حسن اللقاء والابتسام في وجه قاصدهم وأنهم يجعلون ذلك وقاية لأموالهم. وهذا الصنف من الناس هو الذي عناه المتنبي بقوله:

جود الرجال من الأيدي وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود
 (٥) يريد أنه لما رآهم على تلك الحال التي وصفها في البيت السالف عاد على نفسه باللائمة ولزم منزله وانكب على الدرس والمطالعة والتفكير. ولا تحسبن أن الجاحظ كان فقيرا معدما؛ فقد كانت له موارد رزق غامرة. غير أنه على ما يظهر كان قد وقع في ضيقة مالية اضطرتة إلى قول ما قال. ووصف ما وصف. أو أن هذا القول كان منه على طريق مجازاة الشعراء في الاحتيال على الكرماء واختداع الأجواد

- وَشَاوَرْتُ إِخْوَانِي فَقَالَ عَلَيْهِمُ (١)
 أُعِيدُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ قَوْلٍ شَامِتٍ: (٢)
 وَلَوْ كَانَ فِيهِ رَاغِبًا لَرَأَيْتَهُ (٣)
 أَخَافُ عَلَيْكَ أَلْعَيْنَ مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ (٤)
 فَإِنْ تَرَعَّ وَدَى بِالْقَبُولِ فَأَهْلُهُ (٥)
 عَلَيْكَ الْفَتَى الْمُرِّي ذَا الْخُلُقِ الْغَمْرِ (١)
 أَبُو الْفَرَجِ الْمَأْمُولُ يَزْهَدُ فِي عَمْرٍو (٢)
 كَمَا كَانَ دَهْرًا فِي الرَّخَاءِ وَفِي الْيُسْرِ (٣)
 وَذُو الْوُدِّ مَخُوبُ الْفُؤَادِ مِنَ الدَّغْرِ (٤)
 وَلَا يَعْرِفُ إِلَّا قَدَارَ غَيْرِ ذَوِي الْقَدَرِ (٥)

٢

قالوا: وقال في أحمد بن أبي دؤاد:

- وَعَوِيصٍ مِنَ الْأُمُورِ بِهَيْمٍ (٦)
 قَدْ تَسَنَّمْتُ مَا تَوَعَّرَ مِنْهُ بِلِسَانٍ يَزِينُهُ التَّجْبِيرُ (٧)
 مِثْلُ وَشَى الْبُرُودِ هَلْهَلَهُ النَّسِجُ وَعِنْدَ الْحِجَااجِ دُرٌّ نَفِيرُ (٨)
 حَسَنُ الصَّمْتِ وَالْمَقَاطِعِ إِمَّا نَصَتْ الْقَوْمُ وَالْحَدِيثُ يَدُورُ (٩)
 ثُمَّ مِنْ بَعْدِ لَحْظَةٍ تُورِثُ الْيُسْرَ وَعَرِضٌ مُهَذَّبٌ مَوْفُورُ (١٠)

(١) الخلق الغمر: يعنى الخلق العظيم

(٢) عمرو: هو الجاحظ نفسه

(٣) وهذا البيت يحقق ما ظنناه من أنه كان يحاول خدعه

(٤) الفؤاد المخوب: الواهى الضعيف

(٥) هذا هو بيت القصيد

(٦) العويص: الصعب. والبهيم: المظلم المستبهم الذى لا معارف له

ولا أعلام

(٧) تسنمت: ركبت. ما توعر: ما صعب واستعصى

(٨) يعنى بكلام هو لبلاغته وفصاحته وقوة ما فى معانيه من حجة وما فى

ألفاظه من رقة، كأنه البرود الموشية الرقيقة النسج. الحجاج: الجدل والمناظرة

(٩) نصتوا: تسمعوا

(١٠) ما أجل المعنى الذى تضمنه هذا البيت!! فهو يقول إنه لحظهم لحظة

٣

ومما كتبه إليه ، ولعلها من الأبيات الماضية :

لَا تَرَانِي وَإِنْ تَطَاوَلْتُ عَمْدًا بَيْنَ صَفِيهِمْ وَأَنْتَ تَسِيرُ^(١)
 كُلُّهُمْ فَاضِلٌ عَلَيَّ بِمَالٍ وَلِسَانِي يَزِينُهُ التَّخْيِيرُ^(٢)
 فَإِذَا ضَمَّنَا الْحَدِيثُ وَبَيَّنْتُ وَكَأَنِّي عَلَى الْجَمِيعِ أُمِيرُ^(٣)
 رَبِّ خَضَمٍ أَرَقَّ مِنْ كُلِّ رُوحٍ وَلِفَرْطِ الذِّكَا يَكَادُ يَطِيرُ^(٤)
 فَإِذَا رَامَ غَايَتِي فَهُوَ كَلْبٌ وَعَلَى الْبُعْدِ كَوَكَبٌ مَبْهُورُ^(٥)

٤

وروى يموت بن المزرع أن الجاحظ قال يهجو الجواز . وتروى لعبد الصمد

ابن المعدل :

نَسَبُ الْجَمَّازِ مَقْصُورٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ
 تَذْتَهِي الْأَحْسَابُ بِالنَّاسِ وَلَا يَعْدُو قَفَاهُ
 يَتَنَجَّيْ مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ فِيهِ كَاتِبَاهُ
 لَيْسَ يَدْرِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ إِلَّا مَنْ يَرَاهُ

أزاحت عنهم العسر ، وأحلت بهم اليسر ، دون أن يراق لهم ماء وجهه ، أو يثلم لهم عرض

(١) من هذا البيت يتضح أن الجاحظ قد جمع إلى دمامة الخلق قصر القامة

(٢) يريد أنهم أكثر منه مالا ولكنه أحلى منهم لسانا

(٣) يعني أنه حينما يكون معهم في بيت ويجرى بينهم الحديث سادهم وكأنه عليهم أمير بحسن بيانه وجميل اقتنانه

(٤) يعني أن خصمه مهما أوتى من خفة الروح ورقة سحر البيان ومن

الذكاء الخارق كان كما وصفه في البيت التالي

(٥) يعني أن خصمه مع ما هو عليه من الصفات التي أبانها في البيت

الماضي لن يبلغ شأوه ولن يصل إلى غايته

وروى له أبو العيناء هذه الأرجوزة في الخضاب :

زُرْتُ فَتَاةً مِنْ بَنَى هِلَالٍ

فَاسْتَعْجَلَتْ إِلَيَّ بِالسُّؤَالِ :

مَا لِي أَرَاكَ قَانِي السَّبَالِ ^(١)

كَأَنَّمَا كَرَعْتُ فِي جِرْيَالِ ^(٢)

مَا يَنْتَفِي مِثْلُكَ مِنْ أَمْثَالِي ؟!

تَنْحَ قُدَّامِي وَمِنْ حِيَالِي

٦

وقال في فضل العلم والعلماء :

يَطِيبُ الْعَيْشُ أَنْ تَلْقَى حَكِيمًا غَذَاهُ الْعِلْمُ وَالْفَهْمُ الْمُصِيبُ

فِيكْشِفُ عَنْكَ حَيْرَةً كُلَّ جَهْلٍ وَفَضْلُ الْعِلْمِ يَعْرِفُهُ اللَّبِيبُ

سَقَامُ الْحِرْصِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ وَدَاءُ الْجَهْلِ لَيْسَ لَهُ طَبِيبُ

٧

وفي رواية الخطيب البغدادي أن أبا العيناء قال : قال إبراهيم بن رباح :

أَتَانِي جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَأَنْشَدْنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَكُلُّ يَدْعِي أَنَّهُ مَدْحَنِي

بهذه الأبيات :

بَدَا حِينَ أَتَرَى بِإِخْوَانِهِ فَفَلَّلَ عَنْهُمْ شَبَابَ الْعَدَمِ ^(٣)

(١) قاني السبال : مصبوغ الشارين باللون الأحمر

(٢) يريد أن حمرة شاريه كمن شرب خمرًا أو عب فيه فأثر لون الخمر

في شاريه

(٣) فلل شبابة العدم : أذهب عنهم حدة الفقر

وَذَكَرَهُ الْحَزْمُ صَرَفَ الزَّمَانِ نِ قَبَا دَرَقِبَلِ انْتِقَالِ النِّعَمِ^(١)
 فَتَى نَحْصَهُ اللَّهُ بِالْمَكْرُمَا تِ فَمَازَجَ مِنْهُ الْحَيَا بِالْكَرَمِ
 إِذَا نِعْمَةٌ قَصُرَتْ عَنْ يَدِ تَنَاوَلَهَا بِحَزَلِ الْهِيمِ
 وَلَا يَنْسُكَتُ الْأَرْضَ عِنْدَ السُّوَا لِ لِيَقْطَعَ زَوَّارُهُ عَنْ نَعَمِ

قال : وكان اللاحقُ منهم ، وأحسبها له . ثم آخر من جاء في الجاحظ
 وأنا والى الأهواز ، فأعطيته عليها ، ثم كنت عند ابن أبي دؤاد فدخل إلينا
 الجاحظ فالتفت إلى ابن أبي دؤاد فقال : يا أبا إسحق ، قد امتدحت بأشعار
 كثيرة ماسمت بشيء وقع في قلبي وقبلته نفسى مثل أبيات مدحى بها
 أبو عثمان ؟! ثم أنشدنيها بحضرته « بدا حين أترى بإخوانه » فقلت : وجد
 أيدك الله مقالا ؟! . . . قال : وعجبت من عمرو وسكوته ، ولم أذكر من
 ذلك شيئا . . . !

٨

وقال فى إبراهيم بن رباح :
 وَعَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يَصْلَحُ أَمْرُهُ رَحِيبُ مَجَالِ الرَّأْيِ مُنْبَلِجُ الصَّدْرِ
 فَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْوَلَايَةَ سُبَّةً عَلَيْهِ فَإِنِّي بِالْوَلَايَةِ ذُو خُبَرِ
 فَقَدْ جَهْدُهُ بالسُّوَالِ وَقَدْ أَبَى بِهِ الْمَجْدُ إِلَّا أَنْ يَلِجَ وَيَسْتَشْرِى^(٢)

٩

وقال فى الخضاب :

إِنْ حَالَ لَوْنُ الرَّأْسِ عَنْ حَالِهِ ففى خِضَابِ الرَّأْسِ مُسْتَمْتَعٌ^(٣)

(١) فى رواية : وذكره الدهر . وما أئبتاه أفضل

(٢) يلج ويستشْرِى : يبالغ فى شأنه فى الكرم

(٣) فى رواية . ففى خضاب المرء

هَبْ مَنْ لَهُ شَيْبٌ لَهُ حِيلَةٌ فَمَا الَّذِي يَحْتَالُهُ الْأَضْلَعُ^(١)

١٠

وروى أبو الحسن البرمكي له :

وَكَانَ لَنَا أَصْدِقَاءُ مَضَوْا تَفَانُوا جَمِيعًا وَمَا خَلَدُوا
تَسَاقَوْا جَمِيعًا كُؤُسَ الْمَنُ نِ فَاتَ الصَّدِيقُ وَمَاتَ الْعَدُو

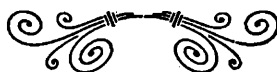
١١

وبما روى له وهو مريض :

لَئِنْ قُدِّمْتُ قَبْلِي رَجَالٌ فَطَالَمَا مَشَيْتُ عَلَى رِسْلِي فَكُنْتُ الْمُقَدَّمَا
وَلَكِنْ هَذَا الدَّهْرُ تَأْتِي صُرُوفُهُ فَتُبْرِمَ مَنَقُوضًا وَتَنَقُضَ مُبْرَمًا

(١) وفي رواية :

هَبْ أَنْ مِنْ شَابٍ لَهُ حِيلَةٌ فَمَا الَّذِي تَحْنِي لَهُ الْأَضْلَعُ
وَالَّذِي أَتْبَتَاهُ أَجُودُ



الفصل الثالث والعشرون

في

هجو الشعراء له

ليس بدعاً أن يوجد في قالة الشعر من يعرض للجاحظ بالهجو ، ومع هذا فلم يهجه منهم إلا من لا خطر له ولا شأن من الشعراء . أما ذوو الأخطار ، منهم وأصحاب الأقدار فيهم ، فقد عرفوا منزلته ، وأدركوا مكانته ، وصارت الأمانة الكبرى التي يصبوا إليها الشاعر منهم هي أن يذكره الجاحظ في بعض كتبه ، ولو من طريق النقد والملاحظة ، أو التندر والمفاكهة ، فإنه يضمن بذلك أن يتردد ذكره في الآفاق ، ويبلغ صيته السبع الطباق .

١

يروى أن صديقه أبا كريمة البصري قال يعاتبه ويقرعه :

| | |
|---|--|
| لَمْ يَظْلَمْ اللَّهَ عَمْرًا حِينَ صَبَّرَهُ | مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى آدَابِهِ عَارِي |
| بَدَّتْ جِبَالٌ وَصَالِي كَفِّهِ قُطِعَتْ | لَمَّا اسْتَعْنَتْ بِهِ فِي بَعْضِ أَوْطَارِي |
| فَكُنْتُ فِي طَلْبِي مِنْ عِنْدِهِ فَرَجًا | كَالْسُغَمِثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ |
| إِنِّي أُعِيدُكَ وَالْمُعْتَادُ مُحْتَرَسٌ | مِنْ شُؤْمٍ عَمْرٍ وَبِعَزِّ خَالِقِ الْبَارِي |
| فَإِنْ فَعَلْتَ لَحْظٌ قَدْ ظَفِرْتَ بِهِ | وَإِنْ أَبَيْتَ فَقَدْ أَعْلَنْتُ أَسْرَارِي |

٢

وقال بعض خصوم المعتزلة يهجوهم :

لَوْ يُمَسَّحُ الْخَزِيرُ مَسْحًا ثَانِيًا مَا كَانَ إِلَّا دُونَ قُبْحِ الْجَاحِظِ

رَجُلٌ يَنْتُوبُ عَنِ الْجَحِيمِ بِنَفْسِهِ وَهُوَ الْقَذَى فِي كُلِّ طَرَفٍ لَا حِظَّ

٣

وقال الجواز في رده عليه :

يَا قَتَى نَفْسُهُ إِلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ تَائِهَةٌ

لَكَ فِي الْفَضْلِ وَالْتَّزَهُدِ وَالنُّسْكِ سَابِقَةٌ

٤

وقال فيه :

قَالَ عَمْرٌو مُفَاخِرًا : نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ

قُلْتُ : فِي طَاعَةِ لِرَبِّكَ أَبْلَيْتَ ذَا النِّسْبِ



الفصل الرابع والعشرون

في

مرضه وما قيل في سببه . وموته

كان ابتداء مرض الجاحظ في أواخر عهد الخليفة جعفر المتوكل على الله العباسي، أي في سنة ٢٤٧ هـ . والظاهر أنه لم ينقطع عن الكتابة والتأليف طوال مدة مرضه ، مما يدل على أنه كان على جانب عظيم من قوة البنية ، وشدة الأسر ، ومتانة الأعصاب ، وحضور الذهب ، وقوة العقل . ولا عبرة بما وصف به نفسه ، أو بما وصفه به غيره ، من شدة وقع المرض عليه . فمن البديهي أن ذلك قد كان في أول وقع الإصابة به ، أو في أواخر أيامه واقتراب أجله وتداني ساعته . ومع هذا فمن الثابت أنه لم يمت حتى وقعت عليه أجلاذ الكتب فقطعت أنفاسه . وقد ظل مفلوجاً ثمانية أعوام مُجرَّمةً . من سنة ٢٤٧ إلى سنة ٢٥٥ وإليك ما قيل في ذلك :

١

نقل ابن أبي أصيبعة^(١) من خط ابن بطلان^(٢) الطيب: أن أبا عثمان

(١) هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، عرف بابن أبي أصيبعة، أحد أفاضل العلماء في القرن السابع. وقد ألف كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » برسم خزانة أمين الدولة ابن غزال وزير الملك الصالح بن الملك العادل صاحب دمشق. توفي بصرخند سنة ٦٦٨ هـ .

(٢) هو أبو الحسن المختار بن عبد وش . وقيل عبدون . المعروف بابن بطلان . طبيب ماهر ، ومنطقي فاضل ، وكاتب بارع . نشأ ببغداد نصرانياً . ثم رحل إلى الجزيرة الموصل وديار بكر ، وأقام بحلب زمناً ، وكان له فيها

الجاحظ ويوحنا بن ماسويه ^(١) اجتمعا - في ظن ابن بطلان - على مائدة إسماعيل بن بلبل ^(٢) (قلت: الأصواب أنهما اجتمعا على مائدة أحمد بن أبي دؤاد) وكان في جملة ما قدم مَصِيْرَةٌ بعد سمك، فامتنع يوحنا من الجمع بينهما، فقال له أبو عثمان: أيها الشيخ، لا يخلو أن يكون السمك من طبع اللبن أو مضاد له، فإن كان أحدهما ضد الآخر فهو دواء له، وإن كانا من طبع واحد فلنحسب أنا قد أكلنا من أحدهما إلى أن اكتفينا؟ فقال يوحنا: والله مالي خبرة بالكلام، ولكن كل يا أبا عثمان وانظر ما يكون في غد. فأكل أبو عثمان، نصره لدعواه، فنلج في ليلته! فقال: هذه والله نتيجة القياس المحال.

شأن، ثم وفد على مصر ولقى بها ابن رضوان الطبيب المصري وجرت بينهما مناظرات ومجادلات. وله من الكتب «دعوة الأطباء» وهو كتاب ظريف. ورحلته بدون منها الشيء الكثير في بطون الكتب. توفي بدير اتخذ لنفسه بانطاكية بعد أن ترهب زمنا سنة ٤٤٤ هـ.

(١) هو أبوزكريا يوحنا بن ماسويه. طبيب سرياني، خدم الرشيد بطبه وتولى له ترجمة كتب الطب القديمة، وظل في خدمة الخلفاء العباسيين إلى أمام المتوكل. وكان ذا جاه عظيم، وقدر جليل. وكان له مجلس يحضره العلماء والتلاميذ للبحث والنظر. وكان به ضيق صدر وحدة تخرج به إلى النكتة النادرة والملاحظة المضحكة. وكان سلوه يصفه بالفضول ويحذر من الاعتماد على ما يصفه من الأدوية. ومن عجيب كلامه قوله لابن حمدون النديم، وقد عبث به: لو كان مكان ما فيك من الجهل عقل وقسم على مائة خنفساء لكأت كل واحدة منهن أعقل من أرسطوطاليس؟. توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ.

(٢) هو أبو الصقر إسماعيل بن بلبل أحد وزراء المعتمد الذين جمع لهم السيف والقلم. وكان يسمى الوزير الشكور. وكان كريما متجملا يتسب إلى بني شيان، وكان يغمز في نسبه. وقد مدحه الشعراء مثل البحتري وابن الرومي ثم هجاه ابن الرومي فأخفش. قبض عليه المعتمد وعلى أسبابه وحبس إلى أن مات في محبسه سنة ٢٧٨ هـ.

وقال أبو معاذ عبدان الخوئي المتطبب : دخلنا بسر من رأى على عمرو بن
بحر الجاحظ نعوذه وقد فلج، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل فيه . فقال :
وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ، ولعاب سائل ؟ ثم أقبل علينا فقال :
ما تقولون في رجل له شقان : أحدهما لو غرز بالمسأل ما أحس ، والآخر يمر
به الذباب فيغوث . وأكثر ما أشكوه الثمانون . ثم أنشدنا أبياتا من قصيدة
عوف بن محلم الخزاعي^(١) قال أبو معاذ : وكان سبب هذه القصيدة
أن عوفاً دخل على عبد الله بن طاهر^(٢) فسلم عليه عبد الله فلم يسمع ، فأعلم
ذلك . فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة ارتجالاً — فأنشده :

يا ابنَ الذي دَانَ لَهُ المَشْرِقَان طرّاً وَقَدْ دَانَ لَهُ المَغْرِبَان^(٣)

(١) هو أبو محلم عوف بن محلم الخزاعي . أحد أفراد الأدباء الرواة الفهماء ،
وكان شاعرا بليغا ونديما ظريفا ، وكان عارفا بالنوادر والأخبار وأيام الناس .
اختصه طاهر بن الحسين بمناذمته ومسامرته ، ثم اصطفاه عبد الله بن طاهر
لنفسه وطالت صحبته له ، وكان لا يكاد يفارقه في سفر ولا حضر . وله فيه
شعر جيد ونوادر حسنة . مات سنة ٢٢٠ هـ

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر ، كان أميراً جليلاً على الهمة
ذا شهامه وصرامة وإقدام ، وكان سيداً نبيلاً سخياً كريماً . ولأه الخليفة
المأمون فيما ولأه من الأعمال الديار المصرية . وللشعراء فيه مدائح وله
إليهم منائح . وكان مع هذا شاعرا مجيداً وكتاباً بليغا وأديبا بارعا . وله
حروب ومشاهد كان الظفر فيها دائماً في جانبه . وما يسمى بمصر بالعبد لاوى ،
وهو البطيخ الأصفر ، إنما ينسب إليه ، لأنه ، على ما قيل ، هو الذي جاء به من
خراسان وزرعه بمصر ، وكان يستطيعه في إبانة . وكان واسطة عقد الأسرة
الطاهرية التي كان العباسيون يكلون إلى أفرادها القيام بعظام الأمور وكبار
المهام في الدولة . توفي بمرو سنة ٢٣٠ هـ

(٣) دان : خضع وأتمر بأمره . ويروى بدل الشطر الثاني (وأكثرت
الأمر به المغربان)

إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبَلَّغْتَهَا - قَدْ أَخَوَجَتْ سَعْمَى إِلَى تَرْجُمَانٍ^(١)
 وَبَدَّلْتَنِي بِالشَّطَاطِ أَنْجِنَا وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ^(٢)
 وَبَدَّلْتَنِي مِنْ زَمَاعِ الْفَقَى وَهَمَّتِي هَمَّ الْجَبَانِ الْهُدَانِ^(٣)
 وَقَارَبْتُ مِنِّي خُطَا لَمْ تَكُنْ مُقَارَبَاتٍ وَثْنْتُ مِنْ عِنَانٍ^(٤)
 وَأَنْشَأْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَرَى عَنَانَةً مِنْ غَيْرِ نَسِجِ الْعِنَانِ^(٥)
 وَلَمْ تَدْعُ فِيَّ لِمُسْتَمْتِعٍ إِلَّا لِسَانِي وَبِحَسْبِي لِسَانٌ^(٦)
 أَدْعُو بِهِ اللَّهُ وَأُثْنِي بِهِ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصْعَبِيِّ الْهَجَانِ^(٧)
 قَدْ هَمْتُ بِالْأَوْطَانِ وَجَدًا بِهَا وَبِالْمَغَانِي أَيْنَ مِنِّي الْمَغَانِ^(٨)

- (١) بلغتها : بلغت إليها ، يعني سن الثمانين . وهو دعاء محبوب
- (٢) الشطاط : اعتدال القدم مع الطول والاستقامة . الصعدة : قنطرة
- الرمح المستوية الطول بلا تثقيف
- (٣) الزماع : بادرة الفتوة والنشاط والمضاء في الامر . الهدان : الاحق
- الثقل
- (٤) يعني أن طول السنين قاربت خطوه وثلثت عنانه أي أخذت من حدته
- (٥) العنانة : السحابة . يشير إلى أن بصره قد ضعف ونزل الماء بعينه
- حتى أصبح لا يكاد يرى الأشياء إلا وكأنه ينظر من وراء سحابة
- (٦) يعني أن فصاحته وبيانه هما اللذان أبقاهما له الدهر دون سائر
- مزاياءه ، وحسب من نادمه بهما من متعة
- (٧) المصعبي : المنسوب الى مصعب . لأنه عبد الله بن طاهر بن الحسين
- ابن مصعب بن زريق . الهجان : الرجل الكريم الحسيب . ويروى (صنع
- الأمير المستثير الهجان)
- (٨) المغاني : الديار . ويروى : وهمت بالأوطان وجدابها ، والغواني
- أين مني الغواني (

فَقَرَّبَانِي بِأَبِي أَنْتُمَا مِنْ وَطَنِي قَبْلَ اصْفِرَارِ الْبَنَانِ (٣)
 وَقَبْلَ مَنَعَايَ إِلَى نِسْوَةٍ أَوْطَانُهَا حَرَّانَ وَالرَّقَّتَانِ (٢)
 سَقَى قُصُورَ الشَّاذِيَاخِ الْحَيَا مِنْ بَعْدِ عَهْدِي وَقُصُورَ الْمَبَانِ (٣)
 فَكَمْ وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ لِي بِهَا أَنْ تَتَخَطَّاهَا صُرُوفُ الزَّمَانِ (٤)
 قلت : الاجماع على أنه لم يبرح البصرة منذ مرض ، ولهذا فاني أجد في
 رواية أبي معاذ ضعفا..!

٣

وفي خبر يموت بن المزرع أن المتوكل ، في السنة التي قُتل فيها ، وجه
 إلى الجاحظ أن يُحمل إليه من البصرة ، وقد سأله الفتح بن خاقان ذلك ،
 فوجده لا فضل فيه ، فقال لمن أراد حمله : ما يصنع بامريء ليس بطائل ،
 ذى شق مائل ، ولعاب سائل ، وفرج بائل ، وعقل زائل ، ولون حائل ؟

٤

قال يموت : ودخل إلى خالي أناسٌ من البصرة من أصدقائه في العلة
 التي مات فيها ، فسألوه عن حاله فقال :

- (١) قبل اصفرار البنان : يعنى قبل أن يدركنى الموت . لأن البنان
 لا تصفر إلا بالموت
- (٢) قبل منعاى : قبل أن أنعى إليهم ويبلغهم خبر موتى . حران : مدينة
 عظيمة كانت حاضرة ديار مصر فتحت في عهد عمر بن الخطاب على يد الفاتح العظيم
 عياض بن غنم . ومنها الحرانيون الصابئون الذى كان لهم شأن في الطب والفلسفة
 والعلوم على عهد الدولة العباسية . الرقتان ، مثنى الرقة : وهى بلدة قريبة من
 حران . ولعلها كانت منازل عوف بن ملحم
- (٣) قصور الشاذياخ : هى قصور كانت لعبد الله بن طاهر في قرية
 الشاذياخ من أرباض نيسابور . الحيا : المطر . ولعل قصور المبان كانت
 أيضا لآل طاهر بن الحسين
- (٤) صرُوف الزمان : مصائبه وجوائحه

عَلِيلٌ مِنْ مَكَانِينَ مِنْ الْأَسْقَامِ وَالذَّيْنِ

ثم قال : أنا في هذه العلة المتناقضة التي يُتخوف من بعضها التلف ، وأعظمها نيف وتسعون سنة — يعني عمره . قال : وكان يُطلى نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده .

٥

وقال بعض البرامكة العمال : كنت تقلدت السند فأقمت بها ما شاء الله ، ثم اتصل بي أنى صُرفت عنها . وكنت قد كسبت بها ثلاثين ألف دينار ، فخشيت أن يفجأني الصارف فيسمع بمكان المال فيطعم فيه ، فصنعته عشرة آلاف إهليلجة ، ولم يلبث الصارف أن أتى ، فركبت البحر وانحدرت إلى البصرة ، فخبرت أن الجاحظ بها وأنه عليل بالفالج ، فأحببت أن أراه قبل وفاته ، فصرت إليه فأفضيت إلى باب دار لطيف فقرعته ، فخرجت إلى جارية صفراء فقالت : من أنت ؟ فقلت : رجل غريب وأحب أن أسر بالنظر إلى الشيخ . فبلغته الخادم ما قلت ، فسمعه يقول : قولى له : وما تصنع بشق مائل ، ولعاب سائل ، ولون حائل ؟ فقلت للجارية : لا بد من الوصول إليه ! فلما بلغته قال : هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع علاتي فقال أحب أن أراه قبل موته فأقول قد رأيت الجاحظ . ثم أذن لي فدخلت وسلمت عليه ، فرد ردا جميلا وقال : مَنْ تكون أعزك الله ؟ فانتسبت له . فقال : رحم الله تعالى أسلافك وآباءك السُّمحاء والأجواد ، فلقد كانت أزمانهم رياض الأزمنة ، ولقد انجبر بهم خلق كثير ، فسَقَمًا لهم وَرَعِيًّا . فدعوت له وقلت : أسألك أن تشدني شيئا من شعرك ؟ فأنشدني :

لَنْ قُدِّمَتْ قَبْلِي رَجَالٌ فَطَالَمَا مَشَيْتُ عَلَى رُسُلِي فَكُنْتُ الْمُقَدَّمَا
وَلَكِنَّ هَذَا الدَّهْرَ تَأْتِي صُرُوفُهُ فَخُبِرِمَ مَنْقُوضًا وَتَقْصُصَ مُبْرَمًا

ثم نهضت فلما قاربت الدّهيلز قال : يا فتى ، أرايت مفلوجا ينفعه الإهليلج ؟ فقلت : لا ! قال : فإن الإهليلج الذى معك ينفعنى ، فابعث إلىّ منه . فقلت : نعم . ! وخرجت متعجبا من وقوفه على خبرى مع كتمانى له ، وبعثت إليه مائة إهليلجة .

قلت : إذا صحت هذه الرواية فقد يظهر أن الجاحظ تسقط خبر الإهليلج من فلتات لسان البرمكى دون أن يشعر ، أو أنه يعلم أن العمال هكذا يصنعون فى أموالهم خوفا من المصادرات ، وإلا فالجاحظ من أبعد الناس عن ادعاء علم الغيب أو الشعوذة .

٦

وشكا يوما لطبيب علته فقال : قد اصطلحت الأضداد على جسدى ، إن أكلت باردا أخذ برجلي ، وإن أكلت حارا أخذ برأسى !!

٧

وقال أبو العباس المبرد : عدت الجاحظ فسمعتة يقول : أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرّض بالمقاريض ما علمت ، ومن جانبي الأيمن منقرس^(١) فلو مرّ بي الذباب لألمت ، وبى حصاة لا ينسرح لى البول معها ، وأشد ما على ست وتسعون — يعنى عمره .

٨

وقال أبو طاهر : صرت إلى الجاحظ ومعى جماعة ، وقد أسن واعتل فى آخر عمره ، وهو فى منظره له ، وعنده ابن خاقان جاره ، فقررنا الباب فلم يفتح لنا وأشرف من المنطرة وقال : ألا إني قد حوّقْتُ وحمّأتُ رُمّيحَ

(١) منقرس : مصاب بالنقرس. وهوداء المفاصل، ويسمى بالعربية: الرثية

أبي سعد ، وسقت الغنم^(١) فما تصنعون بي ؟!! سلموا سلام الوداع ؟ فسلمنا . وانصرفنا .

وما زال في غلته هذه إلى أن وقعت عليه مجلدات العلم فقضت عليه . رحمه الله . وذلك في نهاية سنة ٢٥٥ هـ و ٨٦٨ م

ولما مات وصل نعيه إلى قصر الخلافة في بغداد فأسف الخليفة المعتز بالله^(٢) عليه أشد الأسف ، وقال ليزيد بن محمد المهلبى^(٣) : يا يزيد ، ورد الخبز بموت الجاحظ ؟ ؟ ! فقال : لا ! مير المؤمنين طول البقاء ودوام النعماء .!! ورثاه أبو شراعة القيسى^(٤) بقوله :

(١) حوقلت : استمددت القوة من الله تعالى وأكثرت من قول لا حول ولا قوة إلا بالله . لتتابع المرض . رميح أبى سعد : هو رجل من العرب أسن وحنث ظهره السنون فكان يستعين بالعصا . فقيل لكل من شاخ : أخذ رميح أبى سعد . سقت الغنم : كناية عن الانحناء هزما ، لأن سائق الغنم يكثر من طأطأة رأسه وتقويس ظهره

(٢) هو أبو عبد الله المعتز بن المتوكل على الله الخليفة العباسى ولد سنة ٢٣١ وتولى الخلافة سنة ٢٥٢ وخلعه الأتراك سنة ٢٥٥ هـ ومات في هذه السنة . وله أحداث وغير مع أخيه المستعين وغيره

(٣) هو أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى : كان أدبيا شاعرا متفتنا . وكان من أحسن ندماء الملوك والخلفاء . . نادم المنتصر وهو ولى عهد . ثم نادم المتوكل ومن بعده إلى المعتز . وكان ذا حظوة لديهم وإيثار . وقعت بينه وبين عبد الصمد بن المعذل مشادة ومهاجاة . وكان حسن السمر حلوا الحديث صاحب أخبار غزير الرواية بارع النادرة . وكان له مجلس بسر من رأى يحضره أفاضل الأدباء وكابر الشعراء .

(٤) هو أبو شراعة أحمد بن محمد بن شراعة القيسى البكرى البصرى . شاعر من شعراء الدولة العباسية جيد الشعر جزله . وكان على تبديه في طبعه ولفظه .

فِي الْعِلْمِ لِلْعُلَمَاءِ إِنْ يَتَفَهَّمُوهُ مَوَاعِظُ
 وَإِذَا نَسِيتَ وَقَدْ جَمَعْتَ عَلَا عَلَيْكَ الْحَافِظُ
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ الظَّرْفَ دَهْرًا مَا حَوَاهُ اللَّافِظُ
 حَتَّى أَقَامَ طَرِيقَهُ عَمْرُو بْنُ بَجْرٍ الْجَاحِظُ
 ثُمَّ انْقَضَى أَمْدُهُ بِهِ وَهُوَ الرَّئِيسُ الْفَائِظُ ^(١)

فصيحا بليغا صاحب رسائل وخطب، وكانت به لوته وهوج مع سخاء وكرم. وكان يجود بما ملكت يده وما وسعته قدرته حتى ما كان يلبق شيئا. وكان صديقا لأبراهيم بن المدبر لا يكاد يفارقه في سائر أحواله ولا يمنعه حاجة يسأله إياها. ولا يشفع لأحد في شيء إلا شفعه. وله معه ومع غيره من الكتاب والولاء أخبار وأحاديث ونوادر حسان. مات في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة (١) الفائظ : المائت . يقال : فاظ فلان، أي مات

الفصل الخامس والعشرون

في

خصائص الجاحظ ومميزاته

١

كان الكتابُ ، إلى ما قبل ظهور الجاحظ ، يمتازون متقارنين ، في ضروب من العلوم ، وصنوف من الآداب ، وألوان من المعارف ؛ فكان كل واحد منهم يصرف همه ووكده ، ويبدل قوته وجهده ، في الاختصاص بالضرب الواحد أو الضربين من أنواع العلوم ، أو يقف نفسه على الصنف أو الصنفين من طرائق الآداب ، أو يتجه نحو الشعبة وما يماثلها من ألوان المعارف . كأن يعد نفسه لأن يكون كاتباً في ديوان الخراج ، أو مترسلاً في ديوان الإنشاء ، أو يقوم بحجابه بعض الأمراء ، أو يكون في أسباب أحد الوزراء . على أن يمازج هذه المؤهلات التي أعد نفسه بها ، شيئاً مما يدور حول عمله أو يتصل به من المعارف العامة . وكان إذا سمت همة أحدهم به إلى التطلع إلى شيء من العلوم والتوسع في بعض الفهوم ، مما يكون كالشيء والحلية إلى جانب صناعته التي اتسم بها ، فلا يكاد يعدو في ذلك حد الشدو ، وتناول الأطراف ، دون التعمق والتحقيق والنفوذ . اللهم إلا القليل منهم ممن كانوا يتسامون إلى الوزارة ، ويتطلعون إلى الصدارة ، أو من يرون الزيادة في العرفان زيادة في القدر والجاه ، وفي استتمام آلة التجمل والتثقف سبباً إلى الكمال . وكانت المادة التي يكوّنون بها معارفهم ، ويربّون بها معلوماتهم ، لا تنحصر عن حد الحفظ لكتاب الله الكريم ، وما ثبت لديهم من أحاديث الرسول ، صلوات الله عليه ، واستظهار الجيد من كلام الخلفاء الراشدين

وخطبهم الجامعة ، ولا سيما خطب الإمام على ورسائله البليغة وكتابه البارعة .
مضافا إلى ذلك القطعة الصالحة من الشعر الجاهلي ، وكلام الأعراب في
بواديهم ، والإلمام بفظنهم ومقاولاتهم في نواديهم . بعد أن يكونوا أحكموا
أبواب النحو والصرف ، وعرفوا أساليب اللغة واشتقاق ألفاظها وإجادة
التعبير بها . أما إذا أضاف أحدهم إلى ذلك كله شيئا من العلوم والآداب
التي استُخْدِثَتْ في المعارف العربية : كالمنطق والفلسفة ، ووقف على حركات
الفلك وأصول الهندسة ، وعلم من الطب ووظائف الأعضاء كفايته ، وشدا
من الموسيقى وضوابط النغم غايته ، عُدَّ غُرَّة شاذخة في جبين أهل الصناعة ،
وصار إماما يُرجع إليه في عظام الأمور ، ويُعتمد عليه في تصريف جلائل
الشؤون . أما الحساب والجبر وما إليهما فكان لابد منهما لكتاب الخراج
وعامل الصدقات ، وصاحب ديوان الضياع والنفقات ، وللقائم على المظالم والمؤامرات

٢

فلما ظهر الجاحظ واستحكمت له مواهبه ، لم تقف به همته عند إحدى
تلك الغايات التي بلغ إليها كابر الكتاب ممن تقدمه أو عاصره . فلم يشأ أن
يتخصص كما تخصصوا ، ولم يُرد أن يتميز بالأنواع التي بها تميزوا ، بل حمل
نفسه على أن يبرزهم جميعا ، وأن يجعلهم يشهدون وراء خطوه إذ يمشى على
مهمل . فشاء أن يكون صدره دائرة معارف تحيط بأكثر ما عرف من
علوم الانسانية وآدابها حتى عهده . وأنت إذا رَدَدْتَ نظرك في ثَبَتِ
ما خلف من مصنفات ؛ أخذك الدهشُ ، وتملكك العجب ؟! لأنك تراه
لم يكد يترك علما معروفا في زمنه لم يضع فيه مؤلفا . ولم يدع فنا لم يكتب فيه
مصنفا ، وقد يكون هذا المصنف أو ذاك المؤلف ، رسالة موجزة ، وقد يكون
سفر امتعدد المصاحف والأجزاء . على أنك إذا قرأت له كتابا ، أو تصفحت له
رسالة ، فيما أجرى فيه قلمه من شعب العرفان ، حسبت أنه الواضع لهذا العلم أو ذاك

الفن الذى تردد نظرك فيه ، وخرجت منه مملوء النفس قوى اليقين بأنه قد لا يحسن سواه . وقد يلزمه بعضهم بأنه كان كثير الاستطادات ، كبير التهافت على الاستشهادات ، يحشد بها كتبه ، ويفخم بها أسفاره ، ولولا هذا لكانت أقل مما هى عليه . ! وليس الحال كذلك ، ولا الأمر على ماذهب إليه ذلك اللامر ، ولكن هذا الحال ، إن دل على شيء ، فإنما يدل على سعة اطلاع الجاحظ ، وعلى تبحره فى معارفه ، وعلى حفول صدره بشتى المسائل والمعلومات على أن هذا النوع من مؤلفاته الكبار إنما وضعه ليكون مدرسة للطلابين ، ومَعَلَمَةً للدارسين . وهل كان العالم الاسلامى ، بسائر أقطاره ونواحيه ، إلا جامعة يلتقى فيها الجاحظ دروسه وثقافته على طلابها بواسطة مؤلفاته !! ولهذا ما كان يَطْلُعُ له كتابٌ ، على أى بلد فى أى صقع ، إلا بادر العلماء إلى نسخه ومناقشته ، وعقد المجالس لفهمه ومدارسه . وإلا تقدم الملوك والأمراء إلى تزوين محافلهم بالنظر فيه ، وترديد عباراته ومعانيه ، وتجميل خزائهم بحفظه والتحفى به . ولقد حاول كثير من العلماء وأهل الأدب تلخيص بعض كتب الجاحظ وتجريدها مما بها من الاستطادات ، ومما حوت من الاستشهادات ، فكانت تذهب منها تلك الروح التى يحسها القارىء متلاثة من تحت كل كلمة ، وفى خلال كل فقرة ، وكانت تتلاشى تلك اللطيفة الجاحظية الساحرة التى يستشعرها الناظر المتصفح متجلية متوثبة فى اطراد المعانى وتسلسل الأفكار . فمنهم من كان يعدل عن التلخيص غيرة على هذه اللطيفة ، واستبقا لتلك الروح . ومنهم من كان يَمْضِى فى تلخيصه ، فيخرج وإذا بالملخص فى يده جثة هامدة .

٣

وهل وقفت عبقرية الجاحظ عند حد إتقان المعارف العامة والثقافات الشائعة على تنوعها حتى عهده ؟ كلا ، فما كانت همته تعرف شيئا من الحدود فى العرفان ؟! من أجل هذا عَرَضَ لكثير من المسائل التى لم يفكر فيها أحد

غيره، وفتح للناس أبواباً كثيرة في أمور شتى لم يكن من تقدمه من العلماء والكتاب وأهل الأدب يحسبونها مما يدخل في صنوف الآداب . فكان من بين كتاب العربية أول من بحث في طبائع الأشياء كالحيوان والنبات والمعادن ، وأقام أركان بحثه واستقرائه على المشاهدة والتجربة والاختبار . ورحل في سبيل تحقيقه العلمي والطبيعي إلى كثير من الأقاليم والأقطار . وهذه الطريقة هي مفخرة علماء أوروبا وأمريكا وانجلترا في هذا العصر . وهو أول من كتب رسالة ماؤها السخرية والاستخفاف، وحشوها الجدالمزوج بالهزل ، وسداها الافتتان في الأسئلة المبهمة ، ولحمها التعجيز في المحن المسكتة ، كرسالته إلى صديقه أحمد بن عبد الوهاب الثقفي التي دعاها « التربيع والتدوير » فهي بكر في شأنها ، فريدة في بابها . وقدحذا الكتاب من بعده جذوه فيها ، وترسموا خطاه في أغراضها ومعانيها : فوضع أبو بكر الخوارزمي الكتاب رسالته إلى أبي الحسن البديهي ، ووضع أبو الحسين أحمد بن فارس على ضوءها أصول فن المقامات ، وعنه أخذ أبو الفضل بديع الزمان الهمداني ، ثم توسع فيه أبو القاسم الحريري وذهب فيه كل مذهب ، كما أنشأ ابن زيدون بعض رسائله على هذا النهج . ودرج الكتاب من بعدهم في هذا الباب .

٤

وهو أول من شَفَّ له الحجاب فرأى في مخالقات العامة وعاداتهم ، وفي تقاليدهم ومعاملاتهم ، وفي أحاديثهم وأسمارهم ، فنا يستروح الخاصة به ، ويرى العلية فيه جماما من كدهم في جدهم ، كما رأى فيما تصالحوا عليه من التعبير عن خواج نفوسهم ، وماتنبض به قلوبهم من الأمنى والآمال ، ما يصح تقييده والتفكه به ، والاعتبار بوجوه العبرة فيه ، والاستفادة مما

قد يفيد من نواحيه . وهو أول من استباح لنفسه التندر بالأصدقاء .
والإخوان ، تارة بالتلميح وذكر الصفات ، وأخرى بالتصريح وإبانة
السمات . فقيدهم أنفاسهم ، وخلد غرائب أطوارهم وعجائب تصرفاتهم ،
وشواذ أغراضهم ، وعرض لأخذهم بأغلاطهم وفتلات ألسنتهم ومساوى
أعمالهم . وقد يجابه من شاء منهم بالنقد والذع والتجريح ، غير عابىء
بعتبهم ، ولا معتمد بلاتمتهم . وماذا كان يبلغ منه هذا العتب ، أو يصيبه من
هذا اللوم ؟ إن ما أوتيهم من قوة الحجة ، وما اختص به من براعة البيان
وعزة البرهان وشدة اللسن كفيل برد عادية العادى وسطوة المتهجم .
وهو أول من وضع كتابا فى فكرة من الفكر أو فى رأى من الآراء .
ثم تقضه بكتاب آخر . توسعا منه فى البلاغة ، وتفننا فى البراعة . أو رجوعا
إلى مظنة الحقيقة التى قد يكون استنبطهم عليها سبيلها فى أول الأمر ، وإيثاراً
للصواب . ولم يكن هذا النوع من المؤلفات التى يراجع نفسه فيها ، يعدو
صنف الآراء والنحل والأهواء . وهو أول من ألف فى الأمور المتناقضة ،
وأقام سوق الجدل بين الأشياء والحالات المتعارضة ، وابتدع من المعانى مالا
يُظن أن يحتمل إلا المعنى الواحد ، فقد قالوا إنه صنع رسالة فى «مفاخرة المسك
والرّماد» وأنت تسائل نفسك : ماذا عسى أن يكون فى الرماد من معانى
الافتخار ، حتى يدل بهاعلى المسك ، وينافره بيناتها وشواهداها ؟ ! وهو
أول من وضع الكتب والرسائل فى المعانى والأغراض الغريبة عن متناول
أفكار الكتاب . كقوله فى طبائع « البخلاء » وفى « حيل اللصوص »
وفى أحوال « المُكَدِّين » وفى أصحاب العاهات الخَلَقِيَّة : كالحُول والعُور ،
والعُرجان ، والبُرْصان ، وكذلك فى ذوى العاهات الخَلُقِيَّة : كالسكيرين ،
والزناة ، والطفيليين ، والقصاب ، وفتيان السوء .

وقد عَزَبَ الرَّأْيُ عَنْ بَعْضِهِمْ حِينَما اطَّلَعَ لِلْجَاحِظِ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الْكُتُبِ فَعَمَزَهُ فِي دِينِهِ ، وَرَمَاهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَيَقِينِهِ ، وَظَنَّهُ رَجُلًا مَتَسَاهِلًا فِي حَقِّقِ اللَّهِ قِبَلَهُ ، مَتَسَاهِلًا فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، وَرَبِّما أَجْرَاهُ بَعْضُ خُصُومِهِ مُجَرِّى الزَّانِقَةِ وَأَهْلَ الْإِلْحَادِ ، حَتَّى يَقُولُوا عَلَيْهِ أَقَاوِيلَ فِيمَا لَمْ يَخْطُرْ لَهُ بِيَالٌ وَلَا وَرْدٌ مِنْهُ فِي خَاطِرٍ . وَكَيْفَ يَصْدُقُ فِيهِ قَوْلُ هَؤُلَاءِ الْخُصُومِ الَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فِي خُصُومَتِهِمْ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ كِتَابًا أَقَامَ فِيهِ الْحُجَّةَ الَّتِي لَا تَنْدْفَعُ ، وَالْبَرَهَانَ الَّذِي لَا يَرُدُّ ، عَلَى أَنْ نُنْظِمَ الْقُرْآنَ مَعْجَزًا ؟! حَتَّى صَارَ هُوَ بَوْضَعُهُ هَذَا الْكِتَابِ . إِمَامًا فِي أَمْرِ الدِّينِ وَفِي صَحَّةِ الْعَقِيدَةِ ، وَحَتَّى قَالَ بَعْضُ الْأَفْضَالِ : إِنْ الدَّلِيلُ عَلَى إعْجَازِ الْقُرْآنِ إِيْمَانُ الْجَاحِظِ بِهِ ... !! وَالْحَقُّ الَّذِي لَا مَرَاءَ فِيهِ . هُوَ أَنَّ الْجَاحِظَ كَانَ قَوَى الْإِيْمَانَ ، وَلَكِنْ إِيْمَانُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ ، . الثَّابِتِينَ فِي الْفَهْمِ . وَكَانَ شَدِيدَ الْاعْتِقَادِ ، وَلَكِنْ اعْتِقَادُ الْخَاصَّةِ مِنْ الْعَارِفِينَ . فَمَا كَانَ يَرَى فِي السَّلَفِ مَا يَرَاهُ غَيْرُهُ مِنَ التَّقْدِيسِ ، وَلَا يَعْتَقِدُ فِيهِمْ مَا يَعْتَقِدُهُ الْعَامَّةُ وَأَشْبَاهُ الْعَامَّةِ مِنَ الْعَصْمَةِ وَالتَّنْزِيهِ . فَلَيْسَ عِنْدَهُ ، . بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَلَاهَمَ ، مَنْ تَجِبَ لَهُ الْعَصْمَةُ مِنَ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ ، أَوْ مَنْ بَعْدَهُ طَبْعُهُ عَنْ مَوَاطِنِ الْخَطْلِ ، . وَمَاهُمْ ، فِي الْحَقِّ وَالْوَاقِعِ ، إِلَّا مِنْ أَبْنَاءِ آدَمَ ، رَكِبَ فِي طَبَائِعِهِمْ مَا رَكِبَ فِي طَبَائِعِ أَبْنَاءِ هَذَا الشَّيْخِ كَافَّةً ، مِنَ الْمَطَامِعِ وَالشَّهَوَاتِ . فَجَازَ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَجُوزُ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا مِنْ نَوَازِعِ الشَّرِّ ، وَفَوَاعِلِ الْخَيْرِ ، وَدَوَافِعِ الْفَضْلِ ، وَعَوَامِلِ النِّقْصِ . وَكُلُّ مَا تَعْتَلِجُ بِهِ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ مِنْ مَطَالِبِ هَذِهِ الْحَيَاةِ .

وَمِنْ أَخْصِ مِمِّيزَاتِ الْجَاحِظِ وَأَقْوَى سِمَاتِهِ ، تِلْكَ الشَّخْصِيَّةُ الَّتِي تَرَاهَا

بارزة في كل ما أجرى به قلمه ونضحت به قريحته . فاذا تناولت له أى كتاب أو أية رسالة ، وأخذت في القراءة والمذاكرة والتصفح ، لالتبث أن ترى هذه الشخصية القوية مطلة عليك من خلال السطور ، ومن بين حروف الكلمات . فلا تزال معها في سمر مطرب ، وحديث معجب ، حتى تضع الكتاب من يدك . ومن مزاياه في أسلوبه الذى تفرد به ، ذلك الطابع الخاص الذى استأثر بكل كلمة من كلماته ، وشاع في كل جملة من جملة وعباراته ، وذلك أنه يبسط لك العبارة ويرقق من حواشيتها حتى لتظن أنه قد أسف بها ، وأنه هبط عن مستوى البلغاء في تحبيرها ، فاذا تأملت لها فضل تأمل ، ثم حاولت احتذاءه فيها ، رأيته منك في ذؤابة الثريا وفي مناط العيوق . وهذه ميزة قد اختص بها من بين جميع الكتاب ، حتى إنه صار بها رأس مذهب في الأدب ، كما هو رأس مذهب في العقائد . فيقال في الأساليب العربية ، إذا كانت قد بلغت أعلى طبقات البلاغة ، وأسمى منازل البيان ، وكانت واضحة المعانى ، سهلة الألفاظ ، ثقية الكلمات : هذه عبارة جاحظية . ويقال في الرسالة جمعت حر الكلام إلى التبسط في المعانى ، وكانت كثيرة الافتتان ، آخذة فيها الموضوعات بعضها بذوائب بعض ، يتنقل فيها القارىء من فن إلى فن ، ومن لون إلى لون ، ومن معنى مولد إلى معنى مبتكر : هذا أدب جاحظى . وله في هذا المذهب أنصار وأتباع ، وتلاميذ وأشباع ، ظهر منهم رجال كانوا في أعصارهم أئمة البلاغة وزعماء الفصاحة ، وغول البيان . وكان منهم الأمراء والوزراء ، والسادة والكبراء ، والساسة والرؤساء . وما من كاتب منذ عهد الجاحظ إلى الآن إلا وللجاحظ في عنقه منة معقودة ، أو يد مبسوطة ، أو نعمة سابقة . ولقد صدق القاضى الفاضل في قوله : « مامنا معاشر الكتاب إلا من دخل من كتب الجاحظ الحارة ، وشن عليها الغارة ، وخرج وعلى كتفه منها كاره »

أما خصائصه النفسية ووجبات نظره في الحياة ، فقد كان على ما ظهر منه ميالا بطبعه إلى التحلل من القيود التي تقف بأمثاله ونظرانه من معاصريه عند مقتضيات التقاليد وموجبات العادات . فهو لم يشأ اتخاذ زوجة تشاركه بأساء الحياة وضرائها ، بل انصرف إلى اتخاذ الجوارى والفتيات يتسرى منهن بما تطيب بها نفسه ، ويصبو إليها حسه ، يمسكها ما استقام أمرها معه ثم هو في حل من أن يتركها في خدمته وقضاء إربته ، أو إذا شاء دفع بها إلى السوق وجاء بغيرها والسوق بهن زاحرة ، والأموال لديه حاضرة . وقد كان عقيما ، فلم يعرف أنه ولد له ولد ، أو أعقب ذرية مدى حياته الطويلة . ولست على رأي القائلين بأن العباقرة من أصحاب الدعوات العامة أو الخاصة وزعماء الأمم وعظماء الناس من القادة والرؤساء ، والفلاسفة والحكماء ، وأكابر أهل الأدب وغول العلماء — ممن صرفوا جهودهم الجبارة وتفوقوا على من عداهم في القيام على ما اختصوا به ووقفوا قوامهم ومواهبهم عليه من جلائل الأعمال وعظائم الأمور في الحياة العاملة أو المفكرة — قلما ولدوا الأولاد أو أعقبوا الذرية . وإن جاء أحد من هؤلاء بأولاد أو أعقب له أخلاقاً فقلما جاءوا صالحين للحياة :

ويذهب أصحاب هذا الرأي في تأييد رأيهم إلى ضرب الأمثال والاستشهاد بأسماء بعض هؤلاء العظماء ، حتى ليكادون يجعلون العقم طباعاً في هذا النوع الممتاز من الناس . ولكنني أحسب أن العقم لم يختص به طائفة من الناس دون غيرها ، رقت هذه الطائفة أودنت ، سمت على سائر الطوائف الإنسانية أو حبت معها في مدارج الحياة . ولا هو طبيعة في طبقة منهم عارض في سواها . وما هو إلا أمر شائع فيهم على السواء . وأنت إذا لمست في العلية

والحامة ، وجدته ظاهر الأثر في السفلة والعامه ، مقيساً بنسبه ومقاديره .
والأصل في الإنسان أن يكون ولوداً ، ما استوى خلقه وحسن تقويمه وتم
تركيبه . وما العقم إلا عارض يحدثه النقص في تركيب بعض الأعضاء
وعدم انتظامها في تأدية وظائفها .

وقد يكون هذا النقص حاصلًا في الخلق والتكوين . وقد يأتي حادثاً لسبب
من الأسباب الظاهرة أو الباطنة . والناس في هذا سواسية لا يمتاز منهم
فيه عظيم على حقير ، ولا يختص به كبير دون صغير . والقانون باختصاص
العابرة به من بين الناس كافة ، حينما رأوا العقم ظاهراً فيهم ، ظنوه وقفا عليهم
وحسبوه من دلائل بطولتهم ، ومن علامات نبوغهم ، ومن آيات ظهور
العبقريّة في مواهبهم ، مع أنه لاصلة هناك بين العقم وبين السمو في معارج
الكمال البشري . وما الأمر في واقعه إلا أن العظماء من ذوى المواهب والأخطار
في كل أمة وفي كل جيل ما هم إلا أفراد ظاهرون ، وشرذمة قليلون .

وما مثل العظماء في أممهم وأجيالهم إلا كالنار في وسط المحيط العظيم
تترامى أشعتها اللامعة إلى الآماد فتجذب إليها أنظار السفار من كل صوب
لتكون لهم أماناً من غوائل الأقدار ، وما تكاد تقع العيون على أضواؤها
أو تطلع هي على الحائرين بلالائها حتى تشيع منها في النفوس شائعة الطمأنينة
والأمن والسلام ، ولا تلبث أخيلة التفكير أن تتجه نحو عذخوط النور المسترسلة
من ذوابها بمختلف الألوان الآخذة بمعاقد الأبصار . فإذا افتقدوها في ليلة
دامسة ، وقد أصابها شيء من العطب الذي لا يسلم عليه شيء في الوجود ، دفعهم
ما في صدورهم لها من إعجاب وإجلال ، إلى التظنى بأن هذا الضرب من
المعاطب قلما أصاب إلا نوع المنار ، وأنه من علام ما فيها من رفعة وهداية
وازدهار . ومع هذا فإذا يكون قدر هذه المشكاة إذا هي قيست بما يكتمنها من

أمواج كالجبال ، وأنباج كالهضاب ؟ ! لاشك أنها في جانب ذلك كله لا تنكاد تعد شيئاً مذكوراً . على هذا ترى العظيم في أمته وكل حالة من حالاته الطبيعية أو العارضة تعلن عن نفسها حتى لتوهم بعض ذوى التفكير أنها خاصة به وبكل عظيم مثله ، وأنها علامة عظمتهم وامتيازهم على الناس ، وذلك بخلاف ما إذا بدت تلك الحالات في عوام الناس وأغمارهم ، فهي على كثرتها فيهم وارتفاع نسبتها بينهم ، لا يكاد يُعنى بها ، ولا يعمل حساب لشأنها ، ولا يلتفت إلى ما تحدث فيهم من آثار .

من أجل ذلك لا أرى مانعاً من القول بأن الجاحظ لم يلد لنتقص كان به كما يعرف هذا النقص العمياء من الناس كافة ، وذلك بالرغم مما كان معروفاً به من قوة البنية وتماسك الخلق وشدة المنّة ، حتى أن الفالج حينما وقع به لم يحل بينه وبين التفكير والكتابة والتأليف . . . ! على أننى لم أقف له على رأى في علة إعراضه عن الزواج واكتفائه بالتسرى . وهل كان يوجب الزواج أو كان يذهب إلى الامتناع عنه ! غير أن حالته التي درج عليها طوال أيام حياته تُبين عن أنه كان يؤثر التسرى ويرى فيه متعة ، كما يُحال أنه كان يرى في الزواج ربة .

٨

وكان الجاحظ يرى الاستمتاع بملاذ الحياة وأطايها ، ويطعم في أن ينال منها ما يمكن أن تصبو إليه أوسع النفوس البشرية أملاً وغاية ، على أن يكون ذلك في حدود التعقل والاعتزان ، مع التحفظ والتستر والابتعاد عن مواطن الشبه ، حتى لأهمز المروءة ولا تُغمز الكرامة . ولهذا لم يرد ولم يرو أن أحداً من خصومه استطاع أن ينال من سمعته أو يطعن فيه بما يحط من قدره

وكرامته . وقد كان خصومه من قوة الأسن وشدة اللدد واضطغان الحفيظة على أقوى جانب وأعظم منعة . فما قيل عنه أنه قارف إنما أو ارتكب جرما أو اجترح ذنبا . ولقد كان يعجب بأبي نواس ^(١) ويرى فيه قدوة في تناول متع العيش ، وفي مباشرة أسباب العبث والمجون ، إلا أنه كان يأخذ في أسمعها ، ويترك له أسمعها ، ويتقلب من أفضلها في أعطاف النعم .

والحق أن عصر الجاحظ كان عصر الاستمتاع بكل ما تعتلج به النفس الانسانية من أمانى وآمال ، ومن خير وشر ، ومن نقص وفضل ، ومن علم وجهل ، ومن استقامة واستهتار ، ومن نسك وفتك ، ومن تقية واسترسال ،

(١) من أطرف ما يروى أن الجاحظ كان يقول : لا أعرف شعرا يفضل قول أبي نواس :

ودار ندأى عطلوها وأدجوا بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جرازق على الثرى وأضغاث ريجان جنى ويابس
حبست بها صبحي جددت عهدهم وإنى على أمثال تلك الحابس
ولم أدر من هم غير ما شهدت به بشرقى ساباط الديار البسابس
أقنا بها يوما ويوما وثالثا ويوما له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح فى عسجدية حبثها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها مهى تدرىها بالقصى الفوارس
فللخمر مازرت عليه جيوبها وللباء مادارت عليه القلائس
قال الجاحظ : فأنشدتها أبا شعيب القلال فقال : يا أبا عثمان ، لو نقر
هذا الشعر لطن . قلت : ويملك ما تفارق الجوار والحزف حيث كنت !
قال الجاحظ : وقد أخذ أبو نواس قوله :

ولم أدر من هم غير ما شهدت به بشرقى ساباط الديار البسابس
من أبى خراش الهذلى :

ولم أدر من ألقى عليه قيصة سوى أنه قدسل عن ماجد محض

ومن إيمان وإلحاد ، ومن خطل وسداد . فكانت بغداد في ذلك الدهر ، أشبه بلندن وباريس ونيويورك وبرلين وروما مجتمعين في هذا العصر ، فيها نزعات العقول ، ومراح الأرواح ، ومراد العميون ، وشهوات النفوس ، وخلجات القلوب . غير أن الجاحظ كان يتناول شهوات نفسه ، ونزعات عقله ، ولذا أخذ قلبه ، في تعقل وتلطف واتزان .

٩

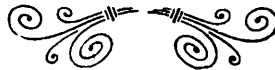
وكانت بالجاحظ أنانية ، فكان يرى نفسه حقيقاً بأن يستأثر بكل ما في الحياة من مُتَع وجاه عريض ، ولا يرى غيره أحق بشيء منها ، فما لجأ إليه ذو حاجة إلا جعل لسانه حائلاً دون قضائها ، ولا استعان به مستعين إلا كوى قلبه بجمر الخذلان . حتى لقد هُجى من خاصة أصدقائه على هذه الحالة . شر هجاء . ولا أدري كيف كان كذلك وهو الذي ملأ كتبه بذكر الأجياد والسمحاء ؟ وهل كانت له قدوة حسنة بأحمد بن أبي داود ومكارمه التي غمرت كل رَأْيٍ وغاد ؟ والتي روى هومنها ما يجعله فوق أنداده ممن حضر وباد ؟! الظاهر أن تتبعه حر كات البخلاء واستطلاع طبايعهم ، واستقصاء أعمالهم وأقوالهم . قد أثر فيه ذلك الأثر . والنفوس بفطرتها نزاعة إلى النقائص ، سريعة إلى اكتساب الرذائل .

١٠

وكان على ما يظهر ميالاً إلى المصانعة والمداراة ، فكان يرى إرضاء العامة وأشباه العامة بما لا كلفة عليه فيه ؟ وإلا فما هذه الأحاديث التي ملأ بها كتبه ، والتي لا يمكن أن يظن ظان أن مثل عقل الجاحظ في قوة تركيبه وصحة تكوينه . يتقبلها على أنها سليمة من الشوائب بعيدة من الألكدار ؟ أنا لا أرى لذلك .

من تعليل إلا إنه ربما كان يرمى بروايتها وحشد كتبه بها إلى مصانعة العامة وترضيهم عنه . لعله كان يقصد بروايتها الى جانب أبحاثه الفائقة في العلوم والمذاهب والآداب ، أن تكون وسيلة الى جذب النفوس الى هذه الأبحاث والاستفادة منها في ظلها وتحت كنفها . وكلا الرأيين جائز ومقبول حتى يقوم الدليل على صحة أحدهما ونفي الآخر .

هذا ما ارتأينا من خصائص الجاحظ ، وهي بلا شك شذور من مزاياه . أما الالمام بماله من صفات ، أو استيعاب ماله من مناقب وسمات ، فأمر فوق متناول الأيدي والأقلام .



وقفه

يقول حسن بن أحمد بن محمد السندوبى، بعد حمد الله على توفيقه وشكره على عنايته التى شملنا بها منذ قدر لنا الوجود فى هذه الدنيا : الى هنا أمسك من عنان القلم الذى جرى بنا فى هذا المشوار ، من التحدث فى أدب الجاحظ ، والى هنا نقف به بعد أن جرينا به فى هذا المضمار ، من الكلام فى شؤون الجاحظ . وقد كنا وعدنا فى مقدمة الكتاب أن نثبت فى نهايته فصلاً قائماً برأسه يحوى ما وقع اختيارنا عليه من رسائله ومقالاته وآرائه ومروياته . وإن نذيله بما عثرنا عليه من آثاره التى لم يسبق لها عهد بالنشر والذيع بالطبع . غير أننى رأيت أن أفرد هذا كله فى سفر خاص باسم .

رسائل الجاحظ

أجعله ملحقاً بهذا الكتاب ومتمماً له . لائى رأيت أن فصلاً واحداً يفرد له فى هذا الكتاب لا يكتفى لاستيعاب ذلك كله . والله الموفق إلى الصواب

حسن السندوبى

١ ربيع الثانى سنة ١٣٥٠
أول سبتمبر سنة ١٩٣١

القاهرة فى

المصادر والمراجع

| الملاحظ | طبع مصر | كتاب الحيوان |
|-----------------------|-----------------|----------------------|
| » بشرحنا عليه | » سنة ١٩٢٦-١٩٢٧ | كتاب البيان والتبيين |
| » | » | كتاب البخله |
| » | » | مجموعة رسائل |
| » | » | ثلاث رسائل |
| ابن قتيبة | » | تأويل مختلف الحديث |
| المسعودي | » | مروج الذهب |
| أبو الفرج الاصبهاني | » | الاغانى |
| أبو على القالى | » | الامالى |
| السيد المرتضى | » | الامالى |
| الزجاجى | » | الامالى |
| الباقلانى | » | إعجاز القرن |
| الشهرستانى | » | الملل والنحل |
| البغدادى | » | الفرق بين الفرق |
| السمعانى | » لندن | الانساب |
| الحياط | » مصر | الانتصار |
| ابن نباتة المصرى | » | شرح العمون |
| ياقوت | » | معجم الادباء |
| ابن خلكان | » | وفيات الاعيان |
| الصلاح بن شاكر الكتبى | » | فوات الوفيات |
| الصلاح الصفدى | » | شرح لامية المعجم |
| ابن أبى أصبغة | » | طبقات الاطباء |
| الحصرى | » | زهر الآداب |
| الفقطى | » | أخبار الحسكة |

| | | |
|--------------------------------|---------------------------|---------------------------|
| بغية الوعاء | السيوطى | طبع مصر |
| حسن المحاضرة | د | د |
| دائرة المعارف البريطانية | جزء ١٥ نمرة ١٢٦ الطبعة ١١ | سنة ١٩١١ |
| معاهد التنصيص | عبد الرحيم العباسى | طبع مصر |
| المعارف | ابن قتيبة | د |
| طبقات الشعراء | ابن سلام | د |
| النوادر | أبو زيد | د بيروت |
| تاريخ بغداد | الخطيب البغدادي | د مصر |
| الموشح | المرزبانى | د |
| الفهرست | ابن النديم | د أوروبا |
| طبقات اللغويين والنحاة | أبو بكر محمد الحسن الزيدى | نسخة فتوغرافية بدار الكتب |
| الفتحى | ابن طباطبا | د مصر |
| تاريخ مختصر الدول | ابن العبرى | د بيروت |
| المختصر فى أخبار البشر | أبو الفدا | د مصر |
| الفصل فى الملل والأهواء والنحل | ابن حزم | د |
| تاريخ سنى ملوك الارض | حمزه بن الحسن الاصهائى | د برلين |
| المستطرف | شهاب الدين احمد الابشهى | د مصر |
| طبقات الشافعية | ابن السبكي | د » |
| خبيئة الاكوان | محمد صديق حسن خان بهادر | د الاستانة |
| سوسنة سليمان | نوفل نعمة الله نوفل | د بيروت |
| البدء والتاريخ | منسوب لابي زيد البلخى | د باريس |
| | أولطهر بن طاهر المقدس | |
| شرح نهج البلاغة | ابن أبى الحديد | د مصر |
| كتاب الوزراء والكتاب | لابى عبد الله الجهمشيارى | د فينا سنة ١٩٢٦ |
| الروض الانف | السهيلى | د مصر |
| الألفاظ الفارسية المعربة | أدى شير | د بيروت |

| | | |
|---------------------------------|--------------------------|------------|
| شفاء الغليل | الشهاب الخفاجي | طبع مصر |
| التاج | منسوب للجاحظ. | » » |
| المحاسن والأضداد | » » | » » |
| رغبة الآمل من كتاب الكامل | السيد بن علي المرصفي | » مصر |
| كتاب الحراج | لابي يوسف القاضي | » » |
| نيسير الوصول | ابن الديبع الشيباني | » » |
| المواعظ والاعتبار | تقي الدين المقرئ | » » |
| معجم البلدان | ياقوت | » » |
| مجلة المقتبس | کرد علي | » دمشق |
| نزهة الألباء في طبقات الأدباء | ابن الأنباري | » مصر |
| شرح المنفصليات | للمؤلف حسن السندبي | » » |
| الجواهر المضية في طبقات الحنفية | أبو الوفاء القرشي المصري | طبع الهند |
| مقاتل الطالبين | لابي الفرج الاصبهاني | » طهران |
| فتوح البلدان | للبلاذري | » مصر |
| الفصول المختارة | لعبيد الله بن حسان | » » |
| الحنين إلى الأوطان | منسوب للجاحظ. | طبع مصر |
| سلوة الحريف | » » | » الأستانة |
| الأصابة | لابن حجر | » مصر |
| الأحكام السلطانية | للماوردي | » » |
| تاريخ الأمم الإسلامية | الخضري | » » |
| خزانة الأدب | البغدادی | » » |

وهذا بخلاف مطالعات شتى في دواوين التاريخ وأسفار الأخبار وكتب الأدب ذهب عن الذاكرة عددا وإحصاؤها

فهرس

كتاب أدب الجاحظ

صنعها المؤلف

عدد

- ١ الفهرس الأول بأسماء أعلام الرجال والنساء
- ٢ » الثاني » الكتب والأسفار
- ٣ » الثالث » الشعوب والأجناس والفرق والأشياء
- ٤ » الرابع » البلدان والأماكن والبقاع
- ٥ » الخامس » التراجم والتعليقات والحواشي
- ٦ » السادس » فصول الكتاب ومواده

الفهرس الأول في أعلام الرجال والنساء

| | | |
|--|--|---|
| ابن الزيات - محمد بن عبد الملك الزيات | ابن اياس ٧٩ | الآمدى - أبو القاسم - الحسن بن بشر |
| ابن زيدون ١٩٩ | ابن بطلان ١٨٧ و ١٨٨ | الشيخ ابراهيم الاثدب ٥٤، ابراهيم الخليل عليه السلام ١٦٥ و ١٥٠ |
| ابن سنه الملك - السعيد هبة الله - أبو القاسم بن الرشيد ١٣١ | ابن التلمذ الطيب ٧٢ | ابراهيم بن رباح - أبو اسحق ١٨٢ و ١٨٣ |
| ابن سينا - أبو على الحسين ابن عبد الله ٨٢ | ابن تيمية - احمد بن عبد الحليم الحراني ٥٢ | ابراهيم بن سيار - النظام - أبو اسحق ١٧ و ٢٣ و ٢٨ |
| ابن شبة العلوي ٣٧ | ابن الجصاص الجوهري ١٥٦ | ١٠٣ و ٦٤ و ٧٢ و ١٠٤ |
| ابن قتيبة - عبد الله بن مسلم - أبو محمد ٤٥ و ٤٨ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ١٠٧ | ابن حزم الاندلسي - علي ابن احمد بن سعيد - أبو محمد ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧ | ابراهيم بن العباس الصولي ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٣ |
| ابن المديبر - ابراهيم - احمد - محمد | ابن خلدون ١٢٦ | ابراهيم الفزاري المنجم ٢١ |
| ابن المعتز - عبد الله بن المعتز ابن مقسم - محمد بن الحسن العطار - أبو بكر ٧٥ | ابن خلكان - احمد بن ابراهيم ٢٠ | ابراهيم بن محمود ١٧٠ و ١٧١ |
| ابن مندويه الاصفهاني - أبو علي - احمد بن عبد الرحمن ١٤٣ | ابن دريد الازدي - محمد ابن الحسن - أبو بكر ٧٦ | ابراهيم بن المدبر ١١٧ و ١٩٥ |
| ابن ناعمة الحمصي - عبد المسيح بن عبد الله الحمصي ٨٥ و ٨٣ | ابن الراوندي - أبو الحسن احمد بن يحيى ١٠٥ و ١٠٧ | ابراهيم بك المويلحي ١٤٢ |
| ابن النديم - أبو الفرج - محمد بن اسحق ١٨ و ٤١ و ٤٣ | ابن رشد - أبو الوليد محمد بن احمد ٨٢ | ابن أنى أصبغة ١٤٣ و ١٨٧ |
| | ابن رضوان الطيب المصري ١٨٨ | ابن أبي الدهاب - محمد بن عبد الله ٢٩ |
| | ابن الرومي ١٤٤ و ١٤٥ و ١٨٨ | ابن أبي الديال المحدث ١٧١ |
| | | ابن أبي نجيح المحدث ١٥١ |
| | | ابن الاخشاد - أبو بكر - أحمد بن علي الاخشيدى |
| | | ابن اسحق - محمد بن اسحق صاحب السيرة |
| | | ابن الاعرابي ٧٦ |

| | | |
|--|------------------------------|-----------------------------------|
| أبو الحسين - عبد الرحيم بن محمد - الحياط ١٠٧ | سيار العبقي يموت بن الزرع | ابن وهبلى ٢٨٥ |
| ١٠٨ و ١٠٩ و ١٣٧ | أبو الجارود - زياد بن المنذر | أبو أحمد - طلحة بن المتوكل الموفق |
| أبو حنيفة الدينورى - أحمد | العبدى ١٠٣ | أبو اسحق - ابراهيم بن رباح |
| ابن داود ٦٦ و ٦٧ | أبو جعفر محمد بن جرير | أبو اسحق - ابراهيم بن سيار |
| أبو حنيفة النعمان بن ثابت | الطبرى ٩٦ | - النظام |
| الامام ٢٨ و ٥٠ و ٦١ و ٦٩ | أبو جعفر - محمد بن عبدالله | أبو بكر - أحمد بن على - |
| ١٠٠ و ١٠٣ | الاسكافي ١٣٥ | الأخشيدي ٧٤ و ٤٠ |
| أبو حيان التوحيدى ١٨ و ٥٨ | أبو جعفر المنصور ٢١ و ٣٧ | أبو بكر أحمد بن على - |
| ٥٩ و ٦١ و ٦٥ و ٦٦ و ٧٣ | أبو جعفر بن البهلول القاضى | الخطيب البغدادي ٢٠ |
| أبو خراش الهذلى ٢٠٦ | ١٧٣ | و ٢٤ و ٧٦ و ١٨٢ |
| أبو خلف - سلام بن يزيد | أبو حامد - محمد بن محمد | أبو بكر - محمد بن زكريا - |
| ٧٠ | الطوسى - الغزالى | الرازى الطيب ١٣٨ و ١٤٣ |
| أبو الربيع الغنوى ١٦٢ | أبو حذيفة بن عتبة الانصارى | أبو بكر - عبدالله بن أبى داود |
| أبو ركريا - يحيى بن زياد - | ١٠٢ | السجستاني ٢٤ و ٢٩ |
| الفراء | أبو حذيفة - واصل بن عطاء | أبو بكر الصديق ٩٠ و ٩١ و ١٠٠ |
| أبو زيد - أحمد بن سهل البلخى | أبو حرب ١٦٩ | ١٠٣ و ١٢١ و ١٢٢ |
| ١٧ و ٦٧ و ٦٨ و ١٧٦ | أبو الحسن - سعيد بن مسعدة | أبو بكر الصولى ١٢٢ |
| أبو زيد - سعيد بن أوس | - الأخفش ٢٨ و ١١٣ | أبو بكر - محمد بن اسحق ١٧٠ |
| ٢٨ | أبو الحسن - على بن اسماعيل - | أبو بكر - محمد بن الحسن |
| أبو سعيد - الحسن بن | الاشعري ٩٨ و ١٠٧ | الطارق - ابن مقسم |
| عبد الله - السيرافى ٦١ | أبو الحسن البديعى ١٩٩ | أبو بكر - محمد بن الحسن - |
| ٦٦ و | أبو الحسن البرمكى ١٨٤ | ابن دريد الأزدى |
| أبو سعيد - عبد الملك بن قريب | أبو الحسن - على بن عيسى | أبو بكر - محمد بن الطيب |
| - الاصمعى | الرماني | - الباقلانى |
| أبو سلمان المنطقى ٦٦ | أبو الحسن المدائنى - على | أبو بكر - محمد بن العباس |
| أبو شراة القيسى ٤٦ و ١٩٤ | ابن محمد ١٣٠ | - الخوارزمى ٩٦ و ١٩٩ |
| أبو شعيب القلال ٢٠٦ | أبو الحسين - أحمد بن فارس | أبو بكر - محمد بن موسى بن |
| أبو الصواعق ١٥٧ | أبو الحسين - أحمد بن يحيى | |
| ١٩٣ | - ابن الراوندى | |

| | | |
|--|---|--|
| أبو قرّة — أبو علي بن أبي قرّة ٨٥ و ٨٧ | أبو الفتح — محمد بن عبد الكريم — الشهرستاني ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ | أبو العباس أحمد بن يحيى — ثعلب ٥٣ و ١٥٧ |
| أبو القامس . عمرو بن قلع الفيقيمي الكنانى ١١٠ و ١١١ | أبو الفرج — محمد بن إسحاق البغدادي — ابن النديم أبو الفرج . نجاح بن سلمة ١٢٤ و ١٣٩ و ١٧٨ و ١٨٠ | أبو العباس السفاح ٢١ أبو العباس — محمد بن يزيد — المبرد ٢٩ و ١٩٣ |
| أبو كبير الهذلي ١٣ أبو كريمة البصري ١٨٥ | أبو الفضل — أحمد بن الحسين — بديع الزمان الهمداني ٥٣ و ٥٤ و ١٩٩ | أبو عبد الله بن أبي بكر — الزبير بن بكار أبو عبد الله — محمد بن عمرو — الجمار |
| أبو لؤلؤة . فيروز ٢١ أبو محمد — عبد الله بن حمود الزبيدي الاندلسي ٦٦ و ٧٦ | أبو الفضل بن العميد — ١٨ و ٥٥ و ٥٦ و ٦٨ و ٦٩ | أبو عبيدة معمر بن المثنى ١٤ و ٢٧ و ١١٣ |
| أبو محمد — عبد الله بن مسلم — ابن قتيبة | أبو القاسم الاسكافي ٧٦ أبو القاسم البلخي — عبد الله ابن أحمد بن محمود — الكبي ١٤ و ٢٨ و ٤١ | أبو العتاهية ٤٦ و ٤٧ أبو عثمان — عمرو بن بحر — الجاحظ |
| أبو محمد — علي بن أحمد بن سعيد — ابن حزم الاندلسي | أبو علم محمد بن سعد السعدي الشيواني ٥٨ | أبو عثمان المازني ١١ أبو علي بن أبي قرّة — أبو قرّة |
| أبو مرثد الغنوي ١٦٢ | أبو القاسم الحريري ١٩٩ أبو القاسم — الحسن بن بشر — الأمدي ١٨ | أبو علي الجبائي ٩٨ أبو علي — الحسين بن عبد الله — ابن سينا |
| أبو معاذ عبد الله النخوي ١٨٩ و ١٩١ | أبو القاسم بن الرشيد — ابن سناء الملك — السعيد هبة الله | أبو علي — أحمد بن الرحمن — ابن مندويه الاصفهاني |
| أبو منصور . عبد القاهر ابن طاهر البغدادي ١٠٥ و ١٠٧ و ١٣٠ و ١٣٦ | أبو القاسم السيراقي ٢٨ و ٢٩ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله — السهيلي الاندلسي | أبو علي — عبد الرحيم البيساني — القاضي الفاضل |
| أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ٥٣ | أبو القاسم محمد بن علي — ابن الحنفية | أبو علي القالي ١٢٦ أبو عمر بن الحباب ١٢ |
| أبو موسى الأشعري ٩٨ أبو النجم — هلال الأنباري ٩١٧ | أبو القاسم — محمود بن عزيز العارضي — الجاحظ. الثاني | أبو عيسى الوراق — محمد ابن هرون أبو العيناء . محمد بن القاسم اليمامي ٢٧ و ٣٧ و ٣٨ و ٧٦ ١١١ و ١٧١ و ١٨٢ |

| | | |
|---|---|------------------------------------|
| أرسطو ٢٢ و ٧٧ و ٨٢ و ٨٥ و ١٣٠ و ١٨٨ | أحمد بن عبد الخليم - ابن تيمية الحراني | أبونصر محمد بن طرخان - الفارابي |
| أسامة بن زيد بن حارثة ١٢٢ | أحمد بن عبد الرحمن - | أبو نواس ٢٠ و ٢٠٦ |
| اسحق بن ابراهيم الموصلي ١٣١ | أبو علي - بن مندويه | أبو هاشم بن الجبائي ٤١ |
| الاسكافي . أبو جعفر محمد بن عبد الله | الاصفهاني | أبو هاشم - عبد الله بن محمد |
| اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ١٦٥ | أحمد بن عبد الوهاب ١٢٧ | ابن الحنفية ٩٦ |
| اسماعيل باشا الحديوي ١٤٢ | و ١٩٩ | أبو الهذيل العلاف ١٧ و ٢٣ |
| اسماعيل بن بلبل ١٨٨ | أحمد بن علي - تقي الدين - | ٦٩ و ١٠٣ |
| اسماعيل بن علي . أبو سهل ١٥٧ | المقريزي | أبو هريرة ٢٥ |
| إسماعيل بن غزوان ٤٦ | أحمد بن علي - أبو بكر - | أبو هفان البصري - عبد الله |
| الاسواري - عمرو بن قائد | الاخشيدي | ابن احمد المهرمي ٣٩ و ٧٥ |
| أشجع السلمي الشاعر ١١١ | أحمد بن علي - أبو بكر - | أبو الوليد - محمد بن احمد - |
| الاشعري - أبو الحسن - | الخطيب البغدادي | ابن رشد |
| علي بن اسماعيل | أحمد بن فارس - أبو الحسين | أبو يعقوب الحريري الشاعر |
| الأصمعي - أبو سعيد - | ١٩٩ | ١١١ |
| عبد الملك بن قريب ٩٢ | الشيخ احمد ماضي ١٧٧ | أبو يعلى - احمد بن طاهر ١٥٤ |
| و ١٢٢ و ١٦٣ | أحمد بن محمد بن عمر - شهاب | أبو يوسف القاضي صاحب |
| ١٢ أعشى باهلة | الدين - الحفاحي | أبي حنيفة ٢٨ |
| أفلاطون ٨٢ و ٨٥ و ١٣٦ | أحمد بن المنذر ١١٧ | أحمد بن ابراهيم - ابن خلكان |
| أقليدس الصوري ٨٤ | أحمد بن هلال الاثباري | أحمد بن أبي دؤاد ٣٣ و ١١٠ |
| اللاحقي ١٨٣ | ١١٧ | ١١١ و ١١٢ و ١٢٥ و ١٨٠ |
| أم أيمن - بركة ١٢٢ | أحمد بن يحيى - أبو الحسين | ١٨٣ و ١٨٨ و ٢٠٧ |
| أم رسول الله ١٢٢ | - ابن الراوندي | أحمد بن الحسين - أبو الفضل |
| أمية بن أبي الصلت ٥٠ و ٥١ | أحمد بن يحيى - أبو العباس - | - بديع الزمان الهمداني |
| أمية بن قلع القفيمي ١٠ | ثعلب | أحمد بن داود - أبو حنيفة |
| أمين افندي الخانجي ١٩ | الاخشيدي - أبو بكر - | الدينوري |
| أمين الدولة ابن غزال ١٨٧ | أحمد بن علي | أحمد زكي باشا ٤٤ و ١٤٥ |
| الامين العباسي ٢٣ و ٣٢ | الأخفش - أبو الحسن - | أحمد بن سهل - أبو زيد |
| | سعيد بن مسعدة | البلخي - جاحظ خراسان |
| | اردشير بن بابك ٢٣ و ١٥٠ | أحمد بن طاهر - أبو يعلى |

| | | |
|--|-----------------------------|------------------------------|
| الجاحظ الثاني - أبو حيان | ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ | أنس بن مالك الصحابي ٢٤ |
| التوحيدي - أبو الفضل | ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ | أنس بن مدرك الخثعمي ١٢ |
| ابن العميد - أبو القاسم | ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ | أمين بن عبيد الانصاري ١٢٢ |
| محمود بن عزيز العارضي | ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ | باغر التركي ٣١ |
| جاحظ خراسان - أبو زيد | ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ | الباقلاني - أبو بكر - محمد |
| احمد بن سهل البلخي | ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ | ابن الطيب ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ |
| جالينوس ٨٢ | ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ | ١١٧ و |
| جبرائيل بن بختيشوع ٨٥ | ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ | البحترى الشاعر ٧٦ و ١٨٨ |
| جلال الدين عبد الرحمن | ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ | بركة - أم أيمن |
| السيوطي ٧٩ | ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٥ و ٨٧ | بره بنت أدبن طابخة ٧٩ |
| الجزاز - أبو عبدالله - محمد بن | ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ | بره بنت مر بن أدبن طابخة |
| عمر و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ١٨١ | ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ | ٧٨ و ٧٩ |
| ١٨٦ | ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ | بشار بن برد ١٧٦ |
| جنادة بن عوف الفقيمي أبو | ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ | بطليموس صاحب المسطى ٢٢ |
| ثمامة ١٠ | ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ | البلخي - أبو القاسم - |
| جهم بن صفوان الترمذي ١٠١ | ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ | عدالله بن احمد بن محمود |
| حاجز بن عوف الازدي ١٣ | ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٤ | الكنبي |
| الحارث بن أسد المحاسبي ١٥٣ | ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٣٠ | بقراط : أبو الطب ٨٢ |
| الحاكم المحدث ٤٥ | ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ | البيهقي ٤٥ |
| حبابه ١٦٠ | ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ | تأبط شرا - ثابت بن جابر ١٣ |
| حبيب بن فهريز - عبد يشوع | ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ | تقي الدين احمد بن علي - |
| ٨٥ | ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ | المقرئزي ١٠٧ |
| الحجاج بن محمد بن حماد | ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ | ثابت بن جابر - تأبط شرا |
| ابن سلمه ٢٩ | ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ | ثابت بن قرة الصابي الحراني |
| الحجاج بن يوسف ٦٣ و ٥٧ | ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ | ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ |
| ١٦٣ و ٩٢ | ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ | ثعلب - أبو العباس - احمد |
| حذيفة بن بدر الفزاري ١٦٤ | ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ | ابن يحيى |
| حذيفة بن عبد بن فقيم - | ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ | الجاحظ ١٠ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٣ |
| القلنس ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠ و ١٠٠١ و ١٠٠٢ و ١٠٠٣ و ١٠٠٤ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩ و ١٠١٠ و ١٠١١ و ١٠١٢ و ١٠١٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢٠ و ١٠٢١ و ١٠٢٢ و ١٠٢٣ و ١٠٢٤ و ١٠٢٥ و ١٠٢٦ و ١٠٢٧ و ١٠٢٨ و ١٠٢٩ و ١٠٣٠ و ١٠٣١ و ١٠٣٢ و ١٠٣٣ و ١٠٣٤ و ١٠٣٥ و ١٠٣٦ و ١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٠٣٩ و ١٠٤٠ و ١٠٤١ و ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١٠٤٩ و ١٠٥٠ و ١٠٥١ و ١٠٥٢ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩ و ١٠٦٠ و ١٠٦١ و ١٠٦٢ و ١٠٦٣ و ١٠٦٤ و ١٠٦٥ و ١٠٦٦ و ١٠٦٧ و ١٠٦٨ و ١٠٦٩ و ١٠٧٠ و ١٠٧١ و ١٠٧٢ و ١٠٧٣ و ١٠٧٤ و ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ١٠٧٧ و ١٠٧٨ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١٠٨٢ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ و ١٠٨٥ و ١٠٨٦ و ١٠٨٧ و ١٠٨٨ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩١ و ١٠٩٢ و ١٠٩٣ و ١٠٩٤ و ١٠٩٥ و ١٠٩٦ و ١٠٩٧ و ١٠٩٨ و ١٠٩٩ و ١١٠٠ و ١١٠١ و ١١٠٢ و ١١٠٣ و ١١٠٤ و ١١٠٥ و ١١٠٦ و ١١٠٧ و ١١٠٨ و ١١٠٩ و ١١١٠ و ١١١١ و ١١١٢ و ١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥ و ١١١٦ و ١١١٧ و ١١١٨ و ١١١٩ و ١١٢٠ و ١١٢١ و ١١٢٢ و ١١٢٣ و ١١٢٤ و ١١٢٥ و ١١٢٦ و ١١٢٧ و ١١٢٨ و ١١٢٩ و ١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٢ و ١١٣٣ و ١١٣٤ و ١١٣٥ و ١١٣٦ و ١١٣٧ و ١١٣٨ و ١١٣٩ و ١١٤٠ و ١١٤١ و ١١٤٢ و ١١٤٣ و ١١٤٤ و ١١٤٥ و ١١٤٦ و ١١٤٧ و ١١٤٨ و ١١٤٩ و ١١٥٠ و ١١٥١ و ١١٥٢ و ١١٥٣ و ١١٥٤ و ١١٥٥ و ١١٥٦ و ١١٥٧ و ١١٥٨ و ١١٥٩ و ١١٦٠ و ١١٦١ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٤ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٦٧ و ١١٦٨ و ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧١ و ١١٧٢ و ١١٧٣ و ١١٧٤ و ١١٧٥ و ١١٧٦ و ١١٧٧ و ١١٧٨ و ١١٧٩ و ١١٨٠ و ١١٨١ و ١١٨٢ و ١١٨٣ و ١١٨٤ و ١١٨٥ و ١١٨٦ و ١١٨٧ و ١١٨٨ و ١١٨٩ و ١١٩٠ و ١١٩١ و ١١٩٢ و ١١٩٣ و ١١٩٤ و ١١٩٥ و ١١٩٦ و ١١٩٧ و ١١٩٨ و ١١٩٩ و ١٢٠٠ و ١٢٠١ و ١٢٠٢ و ١٢٠٣ و ١٢٠٤ و ١٢٠٥ و ١٢٠٦ و ١٢٠٧ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢١٠ و ١٢١١ و ١٢١٢ و ١٢١٣ و ١٢١٤ و ١٢١٥ و ١٢١٦ و ١٢١٧ و ١٢١٨ و ١٢١٩ و ١٢٢٠ و ١٢٢١ و ١٢٢٢ و ١٢٢٣ و ١٢٢٤ و ١٢٢٥ و ١٢٢٦ و ١٢٢٧ و ١٢٢٨ و ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ١٢٣٣ و ١٢٣٤ و ١٢٣٥ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ و ١٢٣٨ و ١٢٣٩ و ١٢٤٠ و ١٢٤١ و ١٢٤٢ و ١٢٤٣ و ١٢٤٤ و ١٢٤٥ و ١٢٤٦ و ١٢٤٧ و ١٢٤٨ و ١٢٤٩ و | | |

| | | |
|--|--|---|
| زهير بن أبي سلمى الشاعر ١٠٠ | الحطيب البغدادي — أبو بكر | الحسن بن عبد الله — أبو سعيد — السيرافي |
| زياد بن الأصفر ٩٣ | أحمد بن علي | الحسن بن بشر — أبو القاسم — الآمدي |
| زياد بن النذر العبدى — أبو الجارود | الحفاجي — أحمد بن محمد بن عمر — شهاب الدين | الحسن البصري ٦٢ و ٦٤ و ٦٥ |
| زيد بن حارثة ١٢٢ | خفاف بن ندبة ١٢ | ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ |
| زيد بن علي زين العابدين ٩٥ | الحليل بن أحمد ٥٩ و ٦٠ و ٨٤ | و ١٠٤ |
| سالم بن معقل مولى أبي حذيفة ١٠٢ و ١٠٣ | و ١١٤ | الحسن بن خلاد القاضي . |
| سبان وائل ٦٤ | خليل بن أبيك — صلاح الدين الصفدي | أبو محمد ١٨ |
| السدرى ١٧٤ و ١٧٥ | خوارزم شاه ١٨ | الحسن بن سهل ٣٦ و ٨٣ |
| السري بن عبدويه ٢٩ | الخوارزمي — أبو بكر — محمد بن العباس | الحسن بن علي أبي طالب ١٢٠ و ١٢٢ |
| سعد بن أبي وقاص ٢١ | الحياط — عبد الرحيم بن محمد — أبو الحسين | الحسن بن عمرو النجيري . أبو محمد . ٦٩ |
| سعيد بن أوس — أبو زيد الانصاري | الدارقطني ٤٥ | الحسن بن محمد الانباري ، أبو علي ١٧٢ |
| سعيد بن التليذ ٧٢ | داود بن عمر بن هيرة ٤٣ | الحسن بن موسى النخعي ١٣٥ |
| سعيد بن مسعدة — أبو الحسن الاخفش | داود النبي عليه السلام ١٢٢ | الشيخ حسن الهواري ١٧٧ |
| السعيد هبة الله — أبو القاسم ابن الرشيد — ابن سناء الملك | دعلج بن علي الخزاعي ٣٣ و ٣٦ | الحسن بن وهب ١١٣ |
| سقراط ١٥ و ٨٢ | ذكرويه القرمطي ١٥٨ | الحسين بن عبد الله — أبو علي — ابن سينا |
| سلامة ١٦٠ | ذوالرئاستين — الفصل بن سهل | الحسين بن علي بن أبي طالب ١٢٢ |
| سلم بن عمرو والخامسر الشاعر ٤٦ و ٤٧ | الرازي الطيب — أبو بكر محمد بن زكريا | حفي بك ذاصف ٧٩ |
| سلمويه الطيب ١٨٨ | الرماني — أبو الحسن علي ابن عيسى ٧٣ | حمزة بن عبد المطلب ١٦٢ |
| السليك بن السليكة ١٢ | الزبير بن بكار — أبو عبد الله | حنين بن اسحق الرازي ٨٤ |
| سليمان بن داود عليه السلام ١٢٢ | أبي أبي بكر ٧٨ | خاقان أبو الفتح ٢٠ |
| سليمان بن عبد الملك ١٦٣ | زبيبة أم غثرة ١٢ | خالد بن برمك ٣٢ |
| | زفر بن الحارث ١٢ | خالد بن عبد الملك المروزي |
| | الزحشري ١٨١ | المنعم ٨٥ |

| | | |
|--------------------------------|------------------------------|------------------------------|
| منصور البغدادى | ابيك - الصفدى ٦٦ | سلام بن يزيد - أبو خنق |
| عبد اللطيف بن يوسف | و ٨٣ و ١٤١ | الاندلسى |
| البغدادى الطيب ١٣١ | ٣٢ | سنان الحصى ٤٨ |
| عبد الله بن إياض ٩٣ | الشيخ طاهر الجزائرى ١٥٣ | سهل بن هرون ٣٥ و ٣٧ و ٤٣ |
| عبد الله بن ابى اسحق | طاهر بن الحسين ٣٢ و ١٨٩ | و ٤٤ |
| الحضرى - أبو بحر ٦٤ | طغيان جارية ال جعفر ٤٧ | السبلى الاندلس - أبو |
| عبد الله بن ابى داود السجستانى | طلحة - أبو أحمد - الموفق | القاسم - عبد الرحمن |
| - أبو بكر | ابن المتوكل | ابن عبد الله ٧٨ |
| عبد الله بن احمد المهزى - | عائشة أم المؤمنين ٤٨ و ٤٩ | السيد الحميرى الشاعر ١٦٨ |
| أبو هفان البصرى | عاتكة بنت يزيد بن معاوية | السيد بن على المرصى ٢٩ |
| عبد الله بن أحمد بن محمود | ١٦٠ | السيرافى - أبو سعيد - |
| - أبو القاسم البلخى الكعبى | عامر بن عبد قيس ٦٤ | الحسن بن عبد الله |
| عبد الله ابن خازم السلمى ١٢ | عباد بن حذيفة الفقىمى ١٠ | سيف بن ذى وزن ٩٧ |
| عبد الله بن حمود الزيدى | ٢١ و ١٢١ و ١٢٢ | الشافعى - محمد بن ادريس |
| - أبو محمد الاندلسى | العباس بن سعيد الجوهري ٨٤ | شبابه المحدث ١٥١ |
| عبد الله بن الزبير ٩٢ | العباس بن عبد المطلب | شجاع أم المتوكل ٣١ |
| عبد الله بن طاهر ١٨٩ و ١٩١ | ١٢٢ و ١٢١ و ١٢٢ | شمس الدين - محمد بن |
| عبد الله بن عباس ٤٩ و ١٢٤ | العباس بن الوليد ١٦٣ | ابراهيم بن ساعد |
| عبد الله بن محمد بن الحنفية | السلطان عبد الحميد ١٤٢ | الانصارى ١٤٤ |
| - أبو هاشم | عبد الرحمن بن عبد الله - أبو | الشنفرى الازدى ١٣ |
| عبد الله بن مسعود الصحابى | القاسم - السبلى | شهاب الدين - أحمد بن |
| ٤٢ | الاندلسى | محمد بن عمر - الحنفى |
| عبد الله بن مسلم - ابو محمد | عبد الرحيم البيهزانى - أبو | ١١٩ و ١٢٩ و ١٣٩ |
| - ابن قتيبة | على - القاضى الفاضل | الشهرستانى - أبو الفتح - |
| عبد الله بن المعتز ١٥٤ و | عبد الرحيم بن محمد - أبو | محمد بن عبد الكريم |
| ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ | الحسين الحياط | الصالح بن العادل الايوبى ١٨٧ |
| عبد الله بن المقفع - روزبه | عبد الصمد بن المعتدل ٤٦ | صالح بن هلال الانبارى ١١٧ |
| ٨٥ و ٨٥ | و ٤٧ و ١٨١ و ١٩٤ | صلاح الدين الايوبى . |
| عبد المسيح بن عبد الله الحصى | عبد العزيز بن مروان ١٢٢ | السلطان ٧٥ |
| - ابن ناعمة الحصى | عبد القاهر بن طاهر - أبو | صلاح الدين - خليل بن |

| | | | |
|---|---|---|--------------------------------------|
| عمر بن معد يكرب ١٦ | عمر بن معد يكرب ١٦ | عبد الملك بن قريب — أبو سعيد — الأصبغى | عبد الملك بن مروان ٩٢ |
| عمر بن يحيى بن قعدة ١٦ | عمر بن يحيى بن قعدة ١٦ | عبد الملك بن مروان ١٢٢ و ١٦٣ | عبدان الخوى — أبو معاذ |
| عمير بن أبي عمير ١٢ | عمير بن أبي عمير ١٢ | عبيد الخزر جى الانصارى ١٢٢ | عبيد الكلابى ١٦ و ٥٨ |
| عنترة بن شداد العبسى ١٢ | عنترة بن شداد العبسى ١٢ | عبيد بن حسان صاحب الفصول المختارة ١٣٢ | عبد يشوع — حبيب بن فهر بنز |
| عوف بن أمية الفقيمى ١٠ | عوف بن أمية الفقيمى ١٠ | عقب بن غزوان الصحابى ٢٠ | عثمان بن عفان ١٢٠ و ١٢١ |
| عوف بن محلم الخزاعى ١٨٩ | عوف بن محلم الخزاعى ١٨٩ | عثمان بن عفان ١٢٠ و ١٢١ | عدي بن أرطاة ١٦٣ |
| عواض بن غنم ١٩١ | عواض بن غنم ١٩١ | عضد الدولة بن بويه ٥٤ | على بن أبي طالب ١٧ و ١٦ و ٩٥ |
| عيسى بن علي العباسى ٤٣ | عيسى بن علي العباسى ٤٣ | على بن أبي طالب ١٧ و ١٦ و ٩٥ | ٩٨ و ١٠٧ و ١٢٠ و ١٢١ |
| الغزالى — أبو حامد — محمد بن محمد الطونى ٨٢ | الغزالى — أبو حامد — محمد بن محمد الطونى ٨٢ | ١٢٢ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٣٤ | ١٣٥ و ١٤٠ و ١٦٧ و ١٩٧ |
| الغورى سلطان مصر ٧٩ | الغورى سلطان مصر ٧٩ | على بن أحمد بن سعيد — أبو محمد — ابن حزم الأندلسى | على بن اسماعيل — أبو الحسن — الأشعرى |
| الفارابى — أبو نصر محمد بن طرخان ٨١ | الفارابى — أبو نصر محمد بن طرخان ٨١ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | على بن عبيدة الريحانى ٦٧ |
| فاطمة الزهراء بنت رسول الله ١٢٢ | فاطمة الزهراء بنت رسول الله ١٢٢ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | ٦٧ و ٦٨ و ١٧٠ |
| الفتح بن خاقان ٣٠ و ٣٢ و ١٤٢ | الفتح بن خاقان ٣٠ و ٣٢ و ١٤٢ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | على بن عيسى الأسطرلابى المنجم ٢١ |
| ١٤٦ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥١ | ١٤٦ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥١ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |
| ١٥٢ و ١٥٧ و ١٩١ | ١٥٢ و ١٥٧ و ١٩١ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |
| فتى العسكر — محمد بن منصور ابن زياد | فتى العسكر — محمد بن منصور ابن زياد | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |
| الفراء — أبو زكريا يحيى بن زياد ٢٤ و ١٦٦ | الفراء — أبو زكريا يحيى بن زياد ٢٤ و ١٦٦ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |
| الفرزدق الشاعر ٦٤ | الفرزدق الشاعر ٦٤ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |
| فرعون ١٥١ | فرعون ١٥١ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |
| فرقد بن يعقوب السبخى ٦٤ | فرقد بن يعقوب السبخى ٦٤ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |
| فزارة جد الجاحظ ١٠ و ١١١ | فزارة جد الجاحظ ١٠ و ١١١ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |
| ١٣ | ١٣ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |
| الفضل بن سهل ذوالرياستين ٢٣ | الفضل بن سهل ذوالرياستين ٢٣ | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |
| | | عبد بن عبيد الله بن عيسى — أبو القاسم — أبو الحسن — الأشعرى | |

| | | |
|---------------------------------|-----------------------------|------------------------------|
| محمد بن زكريا - أبو بكر | ١٨٩ و ١٩١ و ١٩٤ | ٨٢ |
| الرازي الطيب | ٦١ متى بن يونس الملقى | القاضي أبو يوسف صاحب |
| محمد ابن العباس - أبو بكر - | ١٥١ مجاهد المحدث | أبي حنيفة |
| الخوارزمي | محمد بن ابراهيم ١٥٩ و ١٦٠ | القاضي الفاضل - أبو علي - |
| محمد بن عبد الكريم - أبو | ١٦١ | عبد الرحيم اليبساني |
| الفتح - الشهرستاني | محمد بن ابراهيم بن ساعد - | ٢٠٢ و ٧٥ |
| الشيخ محمد عبده ٥٣ | شمس الدين الانصاري | قتادة بن دعامة السدوسي |
| محمد بن عبد الله بن أبي الدلهاب | محمد بن احمد - أبو الوليد - | أبو الخطاب ٩٧ و ٦٣ |
| محمد بن عبد الله - أبو جعفر - | ابن رشد | قثم بن جعفر بن سليمان ٤٧ |
| الاسكافي | محمد بن ادريس الشافعي ٢٧ | قلع بن عباد الفقيمي ١٠ |
| محمد بن عبد الملك الزيات | ١٠٠ و ٥٠ | القلمس - حذيفة بن عبد |
| ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ١١٠ و ١١٣ | محمد بن اسحق - أبو الفرج | بن فقيم ١٠ |
| ١٧١ و ١٦٦ و ١٣٠ | - بن النديم | الكسائي ١٦٦ |
| محمد بن علي بن عبد الله بن | محمد بن اسحق - أبو بكر | كسرى ٩٧ |
| عباس ٩٦ | محمد بن اسحق صاحب السيرة | الكشي - أبو القاسم - عبد |
| محمد بن علي العبدى الخراساني | ٢٢ | الله بن أحمد بن محمود البلخي |
| ٢٣ و ٢١ | الدكتور محمد بدر ١٠٥ | المأمون العباسي ٢٣ و ٣٢ و ٣٥ |
| محمد بن القاسم اليماني - | محمد بن الحسن العطار - | ٣٦ و ٣٧ و ٦٧ و ٨٤ و ٨٥ |
| أبو العيناء | أبو بكر - ابن مقسم | ١٢٢ و ١٣٢ و ١٨٩ |
| محمد بن المدبر ١١٧ | محمد بن الحسن - أبو بكر - | ماردة أم المعتصم ١٦٥ |
| محمد بن منصور بن زياد | ابن دريد الازدي | مالك بن أسماء الفزارى ٥٧ |
| فقي العسكر ١١١ | محمد راغب الطباخ الحلبي | و ٥٨ |
| محمد بن موسى بن سيار - | ١٥٣ و ٤٤ | المبرد - أبو العباس - محمد |
| أبو بكر - يموت بن المزرع | محمد رسول الله صلى الله | ابن يزيد ٢٩ و ١٩٣ |
| محمد بك المويلحي ١٤٢ | عليه وسلم ٢٥ و ٢٤ و ٤٦ | المتنى ١٧٩ |
| محمد بن محمد الطوسي - | ١٠٩ و ٧٩ و ٩٠ و ١٠٣ و ١٠٩ | المتوكل على الله العباسي ٣٠ |
| أبو حامد - الغزالي | ١١٩ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٤ | ٣١ و ٣٣ و ٥٧ و ٦٧ و |
| محمد بن عمر - أبو عبد الله - | ١٤٩ و ١٥١ و ١٦٢ و ١٦٥ | ٨٤ و ١١٣ و ١٤٢ و |
| الجزاز | ٢٠١ و | ١٤٦ و ١٥١ و ١٥٩ و |
| | | ١٦١ و ١٨٧ و ١٨٨ و |

| | | | | |
|---------------------|---------------------------|---------------|-----------------------------|-----------------------------|
| ٢١ | نوحث المنجم | ١١٧ و ٤٠ | المتعضد العباسى | محمد بن الطيب - أبو بكر - |
| ٥١ | نوح عليه السلام | ٧٥ | المعتمد على الله العباسى | الباقلانى |
| ١٣٢ | نور الدين بك مصطفى | ٦٧ و ١٨٨ | و | محمد بن هرون . أبو عيسى |
| ١٣٩ و | | ١٣١ | معمر بن الاشعث | الوراق ١٢٥ |
| ١٦٥ | هاجر أم اسماعيل | ٢١ | المغيرة بن شعبة | محمد بن يزيد . أبو العباس - |
| | هاشم بن عبد مناف . عمرو | | مقاتل بن سليمان الحراسانى | المبرد |
| ١٦ | | ١٠٠ | الازدى | عمود بن عزيز العارضى . |
| ١٨٨ و ٣٢ و ٢٨ | هرون الرشيد | ١٥٦ | المقتدر العباسى | أبو القاسم ١٨ |
| ١٢ | هشام بن عقبة | ٧٢ | المقتنى | عبي الدين بن العرقى ١٥٥ |
| | هلال الانبارى - أبو النجم | ٤٠ | المكتفى العباسى | عبيصة بن مسعود الصحابى |
| ١٢ | هم بن مطرف العقيلي | ١٢ | منتشر بن وهب | ١٢١ |
| ١٢ | هند بن أسماء الفزارى | ١٩٤ و ٣١ | المتنصر العباسى | مرجليوث الانجليزى ١٩ |
| ٥٧ | هند بنت أسماء الفزارية | ١٠٣ | المهدى العباسى | مروان بن الحكم ١٢ و ١٢٢ |
| ٣٣ و ٣١ | الوائق العباسى | ١٦٣ و ٩٢ | المهلب بن أبى صفرة | مزبد المدنى . أبو اسحق ٦٤ |
| ٩٥ و ٩٤ و ٦٣ | واصل بن عطاء | ١٥١ و ١٤٠ | موسى عليه السلام | المستعين بالله ١٩٤ |
| ١٠٤ و ١٠٣ و ٩٧ و ٩٦ | | ٤٠ | موسى بن سيار الاسوارى | المسعودى المؤرخ ٣٢ و ٤٢ |
| ١٥١ | ورقاء المحدث | | الموفق طلحة بن أحمد بن | ٥٩ و ١١٦ و ١٢١ و ١٢٢ |
| ١٢ | وكيع بن الدورقية | ٨٥ و ٦٧ | المتوكل | و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٨ و ١٣٤ |
| ١٦٣ | الوليد بن عبد الملك | ١٥٧ | مؤنس الخادم القائد | و ١٣٨ و ١٤٠ |
| ٤٦ | وهبان الفراه | | المويلحى - ابراهيم بك - | مسلمة بن عبد الملك ١٦٣ |
| ٩٧ | وهب بن منبه | | محمد بك | مسيلة الكذاب ١٠٣ |
| ٤٤ و ١٩ | ياقوت الرومى | ٣٣ | ميمون بن هرون | مصعب بن الزبير ١٢٠ |
| ٦٨ و ٦٧ و ٦٦ | | ٩٢ | نافع بن الازرق الحنفى | مصعب بن زريق ١٩٠ |
| ١٢٥ و ١١٦ و ٧٤ | | | نجاح بن سلمة - أبو الفرج | مطر بن أوفى ١٣ |
| ١٥٨ و ١٤٥ | | | نجدة بن عامر الحنفى | معاوية بن أبى سفيان ١٢ |
| | يحيى بن زياد - أبو | ١٢ | ندبة أم خفاف السلمى | و ١٧ و ٩٨ و ١٢٠ |
| | زكريا - الفراء | ١١٩ و ٧٩ و ٧٨ | النضر بن كنانة | و ١٢١ و ١٢٢ |
| ١٢٠ | يزيد بن أبى سفيان | | النظام - ابراهيم بن سيار - | المعتز بالله |
| ١٦٠ | يزيد بن عبد الملك | | أبو اسحق | المعتصم العباسى ٣٠ و ٣٣ |
| ١٦٣ و ١٦١ | | | النعمان بن ثابت . أبو حنيفة | و ١١٧ و ١٦٥ |

| | | |
|--------------------------|------------------------|--------------------------|
| يزيد بن محمد المهلبى ١٩٤ | يعقوب بن اسحق الكندى | يوخنا بن البطريق ٨٣ و ٨٥ |
| يزيد بن المهلب ٣٢ و ١٦٣ | الفيلسوف ١٣٦ | و ٧٨ |
| يزيد بن هرون . أبو خالد | يموت بن المزرع ١١ و ٤٧ | يوخنا بن ماسويه ١٨٨ |
| ٢٨ | و ١٧١ و ١٨١ و ١٩١ | يوشع بن نون زعيم يهود |
| | | خير ١٢١ |



الفهرس الثانی فی أسماء السکتب والأسفار

| | | |
|--|--|--|
| كتاب آل ابراهيم بن المديبر في المسكاتية. للجاحظ ١١٧ | كتاب أخلاق الامم. لابن زيد البخني ٦٧ | كتاب أصحاب الالهام . للجاحظ ١١٩ |
| كتاب اى القرآن. للجاحظ ١١٧ | كتاب أخلاق الشطار . للجاحظ ١١٨ | كتاب الأصنام. للجاحظ ١١٩ |
| رسالة إلى أبي النجم وجوابه. للجاحظ ١١٧ | كتاب أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة . للجاحظ ١١٨ و ١٥٠ | كتاب أصول الفتيان والاحكام. للجاحظ ١٢٠ |
| كتاب الابل. نسب للجاحظ. ١٤٥ و ٤٤ | كتاب أخلاق الملوك. للجاحظ ١١٨ | كتاب الاعتزال وفضله . للجاحظ ١٢٠ و ١٣٧ |
| رسالة إثم السكر. للجاحظ ١١٧ | كتاب الأخوان . للجاحظ ١١٨ | كتاب إعجاز القرآن. للباقلاني ٥٤ و ٥٦ |
| كتاب إحالة القدرة على الظلم. للجاحظ ١١٧ | كتاب أدب السكاتب . لابن قتيبة ١٢٦ | كتاب أفعال الطبائع. للجاحظ ١٢٠ |
| كتاب الاحتجاج لنظم القرآن. للجاحظ ١٠٨ و ٥٦ و ١٠٩ | كتاب الارتماطيقى ٢٢ | كتاب افتخار الشتاء والصيف. للجاحظ ١٢٠ |
| كتاب أحدوثه العالم. للجاحظ ١١٨ | كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب. للجاحظ ١١٨ | كتاب أقسام العلوم. لابن زيد البخني ٦٧ |
| كتاب الأخبار وإثبات النبوة. للجاحظ ١٠٨ و ١١٨ | كتاب استطاعة الفهم. للجاحظ ١١٩ | كتاب أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات. للجاحظ ١٢٠ |
| كتاب الأخبار وكيف تصح - كتاب الأخبار وإثبات النبوة | كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال. للجاحظ ١١٨ | كتاب أفليديس ٢٢ |
| كتاب إختصار كتاب الحيوان. للبغدادى ١٣١ | كتاب الأسد والذئب . للجاحظ ١١٩ | كتاب الامالى. لابن الاعرابى ٧٦ |
| كتاب اختيار السيرة. لابن زيد البخني ٦٧ | رسالة في استنجاز الوعد . للجاحظ ١١٩ | كتاب الأمالى والذيل والنوادير. للقالى ١٢٦ |
| كتاب الاخطار والمرائب والصناعات. للجاحظ ١٨١ | كتاب الاصابة. لابن حجر ٤٨ | كتاب الامامة على مذهب الشيعه . للجاحظ ١٢٠ |

| | | |
|--|---|--|
| كتاب امامة معاوية بن أبي سفيان . للجاحظ ١٢٠ | كتاب البستان للفتح بن خاقان ٣١ | تفسير القرآن ، لمقاتل بن سليمان ١٠٠ |
| كتاب إمامة ولد العباس . للجاحظ ١٢١ و ١٣٤ | رسالة بصيرة غنام . للجاحظ ١٢٥ و ٣٢ | كتاب تفضيل صناعة الكلام . للجاحظ ١٢٨ و ١٣٤ |
| رسالة في امتحان عقول الاولياء . للجاحظ ١٢٤ | كتاب البلدان . للجاحظ ١٢٥ و ١٢٤ | كتاب تفضيل صنعة الكلام . للجاحظ ١٢٨ |
| كتاب الامثال . للجاحظ ١٢٤ | كتاب البيان والتبيين ٤ و ٥ و ٣٣ و ٥٧٣٩ و ٦٤ و ٧٠ و ٧٦ | كتاب تفضيل صناعة الكلام |
| كتاب الأمصار . للجاحظ ١٢٤ و ٥٩ | رسالة بيان مذاهب الشيعة . للجاحظ ١٢٠ و ١٢٧ | كتاب التفكير والاعتبار . للجاحظ ١٢٨ |
| كتاب الامل والمأمول . للجاحظ ١٢٤ | تاريخ بغداد . للخطيب البغدادي ٢٠ و ٢٤ | كتاب تقرير الجاحظ . لاني حيان التوحيدى ٦١ |
| كتاب أمهات الاولاد . للجاحظ ١٢٤ | تاريخ المعتزلة . للكبي ١٤ | كتاب التمثيل . للجاحظ ١٢٨ |
| كتاب أمير المؤمنين معاوية ابن أبي سفيان في الانتصاف من على بن أبي طالب وشيعته الرافضة . للجاحظ ١٢١ | كتاب التاج . منسوب للجاحظ ٤٤ و ١٤٩ و ١٥٢ | كتاب التنيه والاشراف . للمسعودي ٤٢ |
| كتاب الانتصار . للخطيب ١٠٧ و ١٣٧ | كتاب تأويل مختلف الحديث . لابن قتيبة ٤٥ | كتاب تنبيه الملوك والمكايد . منسوب للجاحظ ٤٤ و ١٥٢ |
| كتاب الانس والسلوة . للجاحظ ١٢٥ | كتاب تحصيل الاموال . للجاحظ ١٢٧ | كتاب التهذيب في اللغة . للازهري ٥٣ |
| كتاب الانواء . لابي حنيفة الدينوري ٦٧ | رسالة التريع التدوير . للجاحظ ٣٩ و ٧٠ و ١٢٧ | كتاب التوحيد . للخليل ٦٠ |
| كتاب الاوقاف والرياضيات . للجاحظ ١٢٥ | ١٣٦ و ١٤٢ و ١٩٩ | ثلاث رسائل . للجاحظ ١٣٢ |
| كتاب الايقاع وتراكيب الاصوات . للخليل ٦٠ | كتاب تصحيح الاخبار . لابي حنيفة الدينوري ٦٧ | جريدة الآداب . للشيخ على يوسف ١٧٧ |
| كتاب البخلاء . للجاحظ ١٢٥ | كتاب تصويب على في تحكيم الحكمين . للجاحظ ١٢٧ | جريدة أبو زيد . للمويلحي ١٤٢ |
| | كتاب التفاح . للجاحظ ١٢٨ | جريدة الانباء . للمويلحي ١٤٢ |
| | | جريدة السياسة الاسبوعية ١٧ و ٦٢ |

| | | |
|-------------------------------|--------------------------------|------------------------------|
| ديوان الأدب . للشهاب | رسالة الحلبة . للجاحظ . ١٣٠ | جريدة المؤيد . للشيخ على |
| الحفاحي ١١٩ | كتاب الحزين إلى الاوطان . | يوسف ١٧٦ و ١٧٧ |
| ديوان شعر البديع | منسوب للجاحظ . ١٥٠ | جريدة مصباح الشرق . |
| الهمداني ٧٤ | كتاب حيل الاصوص . | للمويلحي ١٤٢ |
| كتاب ذكر ما بين الزيدية | للجاحظ . ١٣٠ | كتاب جهرة الملوك . للجاحظ |
| والرافضة . للجاحظ . ١٣٢ | كتاب حيل المكدين . | ١٢٩ |
| رسالة في ذم أخلاق الكتاب . | للجاحظ ١٣٠ | الجواب ١٢٦ |
| للجاحظ ١٣٢ | كتاب الحيوان . لارسطو | كتاب الجوابات . للجاحظ |
| كتاب في ذم الزنا . | ١٣٠ | ١٢٩ |
| للجاحظ ١٣٢ | كتاب الحيوان . للجاحظ . ١٣ | كتاب جوابات كتاب المعرفة . |
| رسالة في ذم التبيذ . للجاحظ | ٧٩ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٢٩ ، ٢٣ | للجاحظ . ١٢٩ |
| ١٣٢ | ١٣١ ، ١٣٠ ، ١١٦ ، ٨٠ | كتاب الجوارى . للجاحظ |
| رسالة في ذم الزرافة . | كتاب خبر الواحد . للجاحظ ٥ | ١٢٩ |
| للجاحظ ١٣٢ | رسالة في الحراج . للجاحظ . ١٣٠ | كتاب الجواهر الماضية ٥٠ |
| كتاب الرد على من ألد | كتاب خصومة الحول العور . | رسالة الحاسد والمحسود . |
| في كتاب الله . للجاحظ ١٣٢ | للجاحظ ١٣١ | للجاحظ . ١٢٩ |
| رسالة في الرد على الجهمية . | كتاب خلق القرآن . | كتاب حنوت عطار . للجاحظ |
| للجاحظ ١٣٢ | للجاحظ ١٣١ | ١٢٩ |
| كتاب الرد على من زعم أن | خمس رسائل . للشمالي ١٢٦ | كتاب الحجاب . للجاحظ . |
| الانسان جزء لا يتجزأ ١٣٣ | شرح درة القواص . للشهاب | ١٢٩ |
| كتاب الرد على العثمانية | الحفاحي ١١٩ | كتاب الحجر والنبوة . للجاحظ |
| للجاحظ ١٣٣ | كتاب دعوة الأطباء . لابن | ١٢٩ |
| رسالة في الرد على القولية ١٣٢ | بطلان ١٨٨ | كتاب الحجفة في ثبوت النبوة . |
| كتاب الرد على المشبهة . | كتاب الدلائل والاعتبار على | للجاحظ ١٢٩ |
| للجاحظ ١٠٨ ، ١٣٣ | الخلق والتدبير . منسوب | كتاب الحزم والعزم . للجاحظ |
| كتاب الرد على الزنارى : | للجاحظ . ١٥٣ ، ٤٤ | ١٢٩ |
| للجاحظ ٣٢ ، ٥٥ ، ١٣٢ | كتاب دلائل النبوة . للجاحظ | كتاب حسن المحاضرة . |
| كتاب الرد على اليهود | ٧٤ | للسيوطي ٨٠ |
| للجاحظ ١٣٣ | كتاب الدلائل على أن الامامة | كتاب حكاية قول أصناف |
| رسائل البديع الهمداني ٥٤ | فرض . للجاحظ . ١٣٢ | الزيدية . للجاحظ ١٣٠ |

| | | |
|--|--|--|
| طبقات الأطباء . لابن أبي أصيدعة ١٨٧ | كتاب الصيد والجوارح . للفتح ٩٦ | رسائل الخوارزمي |
| كتاب غش الصناعات . للجاحظ ١٣٦ | ابن خاقان ٣١ | كتاب رغبة الآمل من كتاب |
| رسالة غفر السودان على اليضان . للجاحظ ١٢٧ | كتاب طبقات المغنين . للجاحظ ١٣٤ | السكرامل . للمرصفي ٢٩ |
| و ١٣٦ و ١٤٢ . | كتاب طراز المجالس . للشهاب الخفاجي ١١٩ و ١٢٩ و ١٣٩ | كتاب روح الحيوان . لابن سناء الملك ١٣١ |
| كتاب غفر عبد شمس ومخزوم . للجاحظ ١٣٦ | كتاب الطفيلين . للجاحظ ١٣٤ | كتاب الررض الانف . للسبيلي ٧٨ |
| كتاب غفر هاشم وعبد شمس . للجاحظ ١٣٦ | كتاب العالم والجاهل . للجاحظ ١٣٤ | كتاب ريحانة الألبا . للشهاب الخفاجي ١١٩ |
| رسالة في فرط جهل الكندي . للجاحظ ١٣٦ | كتاب العباسية . للجاحظ ١٢٣ و ١٣٤ | كتاب الزرع والنخل . للجاحظ ١٣٣ ، ٣٤ |
| كتاب الفرق بين الفرق . للجاحظ ١٣٦ | كتاب العثمانية . للجاحظ ١٤١ و ١٣٤ و ١٣٥ | كتاب السلطان وأخلاق أهله . للجاحظ ١٣٣ |
| كتاب الفرق ما بين الجن والانس . للجاحظ ١٣٧ | كتاب العرب والعجم . للجاحظ ١٣٥ | كتاب سلوة الحريف بمناظرة الشتاء والخريف . منسوب للجاحظ ١٥٣ |
| كتاب فرق ما بين الملائيكة والجن . للجاحظ ١٣٧ | كتاب العرب والموالي . للجاحظ ١٣٥ | كتاب السند هند ٢٢ |
| كتاب الفرق بين النبي والمتنبى . للجاحظ ٧٤ و ١٣٧ | كتاب العرجان والبرسان . للجاحظ ١٣٥ | كتاب سيبويه ٧٦ ، ١٦٦ |
| الفصل في الملل والأهواء والنحل . لابن حزم ١٤ | رسالة في العشق والنساء . للجاحظ ١٣٥ | رسالة الشارب والمشروب . للجاحظ ١٣٣ |
| الفصول المختارة . لعبيد الله بن حسان ١١٩ و ١٣٢ و ١٣٣ | رسالة في الغفو والصفح . للجاحظ ١٣٥ | شرح الشفاء للشهاب الخفاجي ١١٩ |
| كتاب فضيحة المعتزلة . لابن الراوندي ١٢٠ و ١٣٧ | كتاب علة كسوف الشمس والقمر . لابن أبي قرة ٨٥ | كتاب شفاء الغليل . للشهاب الخفاجي ١١٩ |
| كتاب في فضل اتخاذ الكتب . للجاحظ ١٣٧ | كتاب عناصر الآداب . للجاحظ ١٣٦ | كتاب الصرحاء والهجناء . للجاحظ ١٣٤ |
| | كتاب العين . للاخيل بن أحمد ٥٩ و ٧٦ | كتاب صناعة الكلام . للجاحظ ١٣٤ |
| | كتاب عيون الأنباء في | كتاب الصواعقة . للجاحظ ١٣٤ |

| | | |
|---|---|--|
| عمل السلطان . للجاحظ ١٤٠ | كتاب الكلاب . للجاحظ ١٣٩ | كتاب فضل العلم . للجاحظ ١٣٧ |
| رسالة في مدح الكتاب . للجاحظ ١٤٠ | كتاب الكلام . للاخيل ٦٠ كتاب كذبة ودمنة ٢٢ | كتاب فضل الفرس على الهملاج . للجاحظ ١٣٧ |
| رسالة في مدح النبيذ . للجاحظ ١٤٠ | « في الكيمياء . للجاحظ ١٣٩ | كتاب فضل ما بين النساء والرجال . للجاحظ ١٣٧ |
| رسالة في مدح الوراق . للجاحظ ١٤٠ | شرح لامية العجم للصفدي ١٤١ | كتاب فضيلة المعتزلة . للجاحظ ١٣٧ و ١٢٠ |
| مروج الذهب . للمعمودي ٤٢ | كتاب ما هنالك للمويلحي ١٤٢ | كتاب فضيلة الكلام . للجاحظ ١٣٨ |
| كتاب المزاح والجد . للجاحظ ١٤٠ | « المتوسطات ٨٤ « مثالب العرب . لابي عبيدة ١٤ | كتاب الفهرست . لابن النديم ١٣٨ |
| كتاب المسائل . للجاحظ ١٤٠ | « المجسطى . لبطليموس ٨٤ و ٢٢ | كتاب القحباب . للجاحظ ١٣٨ |
| كتاب مسائل العثمانية . للجاحظ ١٤٠ | مجموعة رسائل . للجاحظ ١٢٨ و ١٢٧ و ١٢٠ و ١١٩ | كتاب القحطانية والعدنانية للجاحظ ١٣٨ |
| كتاب مسائل كتاب المعرفة . للجاحظ ١٤٠ | ١٢٩ و ١٢٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٤ | القرآن الكريم ٧٦ كتاب في القرآن . لابي حنيفة الدينوري ٦٧ |
| رسالة المسك والرماد — كتاب مفاخرة المسك وانرماد | كتاب المحاسن والاضداد . منسوب للجاحظ ١٥٥ | كتاب القضاة والولاة . للجاحظ ١٣٨ |
| كتاب مسائل القرآن . للجاحظ ١٤٠ | كتاب محاضرات الابرار ومسامرات الاخيار . لابن عربي ١٥٦ | رسالة في القلم . للجاحظ ١٣٨ |
| « المضاحك . للجاحظ ١٤١ | كتاب محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ٧٦ | كتاب القواد . للجاحظ ١٣٩ |
| « المعاد والمعاش » ١٤١ | كتاب المخاطبات في التوحيد . للجاحظ ١٣٩ | رسالة في القيان . للجاحظ ١٣٩ |
| « المعادن » ١٤١ | « معارضة الزيدية . للجاحظ ١٤١ | كتاب الكامل . للبرد ٢٩ و ١١٩ و ١٢٦ و ١٣٢ و ١٣٣ |
| « معارضة الزيدية . للجاحظ ١٤١ | « المعاني . للفرأه ٧٦ | كتاب البكبر المستحسن والمستقيح . للجاحظ ١٣٩ |
| | | رسالة في كتمان السر . للجاحظ ١٣٩ |
| | | رسالة في الكرم . للجاحظ ١٣٩ |

| | | |
|-----------------------------|--------------------------------|------------------------------|
| معجم الادباء . لياقوت . | منتخبات البيان والتبيين ١٢٦ | كتاب نقض الطب . للجاحظ . |
| ارشاد الاريب إلى معرفة | منجم العمران . للخانجي ١٩ | ١٤٢ |
| الاديب ١٩ و ٤٤ و ١١٦ | رسالة في من يسمى من | الرد على كتاب نقض الطب . |
| معجم البلدان . لياقوت ١٩ | الشعراء عمرا . للجاحظ | للرازي ١٤٣ |
| كتاب المعرفة . للجاحظ ١٤١ | ١٤٣ | رسالة في نقض كتاب نقض |
| د المعلمين » ١٤١ | كتاب المال والنحل . للشهرستاني | الطب . لابن مندويه ١٤٣ |
| » المغازي والسير وأخبار | ١٠٥ | كتاب نوادر الحسن . للجاحظ |
| المبدأ . لابن اسحق ٢٢ | د الموازنة . نلآمدي ١٨ | ١٤٤ |
| د المغنين والفناء والصنعة . | د المواعظ والاعتبار | كتاب النوادر — كتاب |
| للجاحظ ١٤١ | للمقرئزي ١٠٧ | الامالي والذيل والنوادر |
| د مفاخرة السودان | رسالة في موت أبي حرب | لائي على القالي |
| والحمران للجاحظ ١٤١ | الصفار البصري . للجاحظ | كتاب التواميس . للجاحظ |
| د مفاخرة المسك والرماد . | ١٤٣ | ١٤٤ |
| للجاحظ ١١٤ و ١٤١ | رسالة في الميراث . للجاحظ | رسالة الهاشمية . لابن المقفع |
| و ٢٠٠ | ١٤٣ | ٤٣ |
| » المقابسات ١٧ و ١٨ و ٦٢ | كتاب التائي والمتلاشي . | الرسالة الهاشمية للجاحظ |
| ٧٤ و ٦٤ | للجاحظ ١٤٢ | ٥٩ و ١٢٨ و ١٣٨ |
| » مقالات الاسلاميين . | د النيات . لابي حنيفة | كتاب الرسائل الهاشميات |
| للاشمري ١٠٧ | الدينوري ٦٦ و ٦٧ | ١٣٣ |
| » مقامات البديع ٥٣ | د النردو الشطرنج . للجاحظ | كتاب الهدايا . نسب للجاحظ |
| د الملح والطرف للجاحظ | د النصراني واليهودي . | ٤٤ و ١٥٨ |
| ١٤٢ | للجاحظ ١٤٣ | كتاب وجوب الامامة . |
| د الملوك والامم السالفة | د النعل . للجاحظ ١٤٣ | ١٤٤ |
| والباقية . للجاحظ ١٤٢ | كتاب نظم القرآن . لأبي زيد | كتاب الوعد والوعيد |
| رسالة مناقب الترك . للجاحظ | البلخي ٦٧ | للجاحظ ١٤٤ |
| ١٢٧ و ١٣٦ و ١٤٢ و ١٤٦ | كتاب نظم القرآن — | كتاب وفيات الأعيان وأبناء |
| كتاب مناقضة الجاحظ في | كتاب الاحتجاج لنظم القرآن | أبناء الزمان . لابن خلكان ٢٠ |
| فضيلة الكلام . للرازي | كتاب نقض كتاب العثمانية . | كتاب الوقف والابتداء ٧٦ |
| ١٣٨ | للاسكافي ١٣٥ و ١٤٠ | كتاب الوكلاء . للجاحظ ١٤٤ |
| | | رسالة اليتيمة للجاحظ ١٤٤ |

الفهرس الثالث

في الشعوب والاجناس والدول والفرق والأشياء

| | | | | | |
|---------------------------|-------------------|---------------------------|-----------------------|---------------------|-----------------------------|
| ١٠٣ و ١٠٠ و ٤٦ | أرافضة | ١٢ | أغلب | ٢١ | آل أبي طالب |
| ١٣٢ و ١٢١ | | ١٤ | تيم قریش | ٤٣ | آل الأهم |
| ١٢٢ و ١٠٣ | الراوندية | ١١٠ | تنور ابن الزيات | ٤٧ | آل جعفر |
| ١٦٨ | الرجعية | ٥٠ | ثقیف | ١١٧ | آل المدبر |
| ١٠٣ و ١٢ | الروم | ١٠٤ | الجاحظية الدينية | ١٠٢ و ٩٣ | الاباضية |
| ١٦٤ | ريث بن غطفان | ١٨ | الجاحظية الأدبية | ٥٠ | الأخاف |
| ٩١ | الزكائية | ١٠٣ | الجارودية | ٩٣ و ٩٢ | الازارقة |
| ٢٠١ و ١٣٥ و ١٠٥ | الزنادقة | | الجبرية - المجبرة | ٧١ | الاسبان |
| ٨٥ و ٦٧ | زنج البصرة | ١٠١ | الجهمية | ٩٨ و ٥٤ | الاشعرية |
| ١٠٢ و ٩٥ و ٤٦ | الزيدية | ٩٧ | الحبشة | | أصحاب المنزلة بين المنزلتين |
| ١٣٢ و ١٣٠ و ١٠٣ | | ٥١ و ٢٥ و ٢٤ | الحشوية | ٩٤ | |
| ١٧٧ | السادات الوفاية | ٥١ و ٤٨ | الحمامة | | الاعتزال - المعتزلة |
| ١٠٣ | السريان | ١٧ | بنو خزاعة | ٢١ | الأكسرة |
| ٥٨ | بنو سعد | ٢١ | الخلفاء العباسيون | ١٠٣ و ١٠٢ | الامامة |
| ١٧٧ | السلطنة العثمانية | ٧٠ | أبو خلف كلب زبيدة | ١٢١ و ١١٣ و ١٢ | بنو أمية |
| ٧٠ | سلام كلب القراد | ٩٣ و ٩٢ و ٦٣ و ١٤ | الخوارج | ١٦٣ و ١٦١ و ١٦٠ | |
| ١١٧ و ٢٨ و ١٢ | بنو سليم | ١٦٣ و ١٠٢ و ١٠١ و ٩٥ و ٩٤ | | ٦٩ | أهل الرأي |
| ٥٠ | الشافعية | ٩١ | الخوارج المحكمة | ٩١ | أهل الردة |
| ٣٥ و ١٤ و ١١ | الشعوبية | | دولة آل عباس - الدولة | ٩٥ و ٤٦ | أهل السنة |
| ١٨٨ | بنو شيان | ١٢٥ و ٨٥ و ٦٧ | العباسية | | أهل السواد فلاحو العراق |
| ١٠٣ و ٩٦ و ٩٥ و ١٠٠ و ١٠٣ | الشيعة | ١٩٤ و ١٩١ | | ١٦٧ | |
| ١٤٠ و ١٣٥ و ١٢٢ | | ٧٥ | الدولة الايوبية | ١٠٢ | أهل الشورى |
| ١٠٣ | شيعة بنى العباس | ١٥٤ | الدولة السلجوقية | ٩٢ | أهل العدل والتوحيد |
| ١٩١ | الصابئة | ١٦٣ و ٩٢ و ٦٣ | الدولة المروانية | ١٩٢ و ١١١ و ٣٢ و ٣٠ | البرامكة |
| ١٢ | الصحابية | ٥٠ و ٤٨ | الديك والغراب | ٧٢ و ١٣ | البربر |

| | | | | |
|-----------------------------|------------------------|--------------------|---------------------|--------------|
| ٩٩ و ٩٨ و ٩٧ و ٩٢ و ٨٩ و ٩١ | ١٠١ و ٩٢ و ٦٣ | القدرية | ٤٩ و ٤٨ | صحيفة الرضاع |
| ١٠٧ و ١٠٥ و ١٠٤ و ١٠٢ | ١٥٨ و ٥٣ | القرامطة | ٩٣ | الصفريه |
| ١٣٥ و ١٢٢ و ١٢٠ و ١١٦ | ٤٩ و ٤٨ | قرن الشيطان | ٧٥ | الصين |
| ١٨٥ و ١٧٦ | ١٠٣ و ١٠٢ و ٥١ | قريش | ٥١ و ٤٨ | الضفدع |
| ١٠٢ و ٩٣ | ١٦٢ | قيس | ١٩١ و ١٨٩ و ٣٢ | الطاهريه |
| ١٠ | ٤٩ و ٤٨ | كبد الحوت | ١٢ | بنو عامر |
| ٧٩ | ١٤ | الكعبية | ١٢٢ و ١١٣ | بنو العباس |
| ١٣ | ١٢ | بنو كلب | عبد شمس بن عبد مناف | |
| ٥٩ | ٧٩ و ٧٨ | كنانة بن خزيمه | ١٣٠ | |
| ٥٩ | ١٣٦ | كندة | ٤٦ | العثمانية |
| ٥٩ | ٩٦ | الكيسانية | ٣٥ و ٢٧ و ٢٢ و ١٤ | العرب |
| ١٦٢ و ١٢٢ و ٤٩ | ٨٠ | البلبل لحم الاصداف | ١١٥ و ٧١ و ٥٠ و ٤٠ | |
| ٥١ و ٤٨ | ١٠١ و ١٠٠ | الحجيرة | ١٦٩ و ١٦٢ و ١٣١ | |
| ١٨٢ | ٩٩ | المجسمة | ١٦٢ | غنى |
| ١١٥ و ١٠٣ | ١٠٣ و ٩٥ و ٩٤ | المرجئة | ٥٨ | فارس |
| ٩٤ | ١٠٠ | المشبهة | ١٢٢ | بنو فاطمة |
| ١٦٤ و ١٦٢ | ١٦٢ | مضر | ٤٠ | الفراغة |
| اليونان ١٠٣ و ١١٤ و ١١٥ | ٢٨ و ٢٤ و ٢٣ و ١٧ و ١٤ | المعتزلة | ٩٧ و ٥٨ و ٤٠ و ٣٢ | الفرس |
| | ٦٣ و ٥٤ و ٥٠ و ٤١ و ٤٠ | | ١١٥ و ١٠٣ | |
| | ٨٠ و ٧٤ و ٧٣ و ٦٩ و ٦٨ | | ١٣ | بنو فقم |

الفهرس الرابع في البلدان والأماكن والبقاع

| | | | | |
|-----------------|-----------------|-----------------------------|---|----------|
| ٧٧ | خلكس | بغداد — مدينة السلام | ١٥٣ و ١٤٢ | الآستانه |
| ٢٨ | خوارزم | ٢٨ و ٢٤ و ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ١١ | ٢١ | الابلة |
| ١١١ | خوزستان | ٧٠ و ٦٨ و ٦٢ و ٦١ و ٣٧ و ٣١ | ٨٢ و ١٥ | أتينا |
| ١٢١ | خير | ١٣١ و ١١٧ و ١١٣ و ٧٨ و ٧٦ | ١٦٠ | أربد |
| ١٥٧ و ١٥٦ | دارابن الجصاص | ١٧٣ و ١٥٩ و ١٧٠ و ١٣٦ | ٢٠ | إربل |
| ١٧٢ | ديق | ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٤ | ١٣٦ و ٦٤ | أرمينية |
| ٣٥ | دستميان | ١٧٧ | ١٧٧ | الازهر |
| ٩٢ و ٨١ و ٢٠ | دمشق | ١٦٠ | ٧٧ | إسطاغرا |
| ١٨٧ و ١٦٠ و ١٢٠ | دهستان | ٧٤ | ٨٢ | اشيلية |
| ١٦٣ | دولاب | ١٧٢ | ٥٧ و ٢٤ | أصهان |
| ٩٢ | ديار بكر | ١٨٧ | ١٠٢ | اصطخر |
| ١٨٧ و ١٢٦ | ديار بكر | ٧٧ | ٨٢ | أفشنه |
| ١٩١ | ديار مضر | ١٦٣ و ٣٢ | ١٧٢ و ٢١ | الانبار |
| ٤٥ | الدينور | ١٠ | ٧٢ و ٧١ و ٧٠ و ٦٩ | الأندلس |
| ٦١ | الرصافة | ٨٢ | ١٨٨ | إنطاكية |
| ١٩ | الرقه | ٤٨ و ١٠ | ١٨٣ و ٩٢ و ٣٨ | الأنهواز |
| ١٩ | الروم | ٤٩ و | ١٩ | أوربا |
| ١١٩ | الروملي | ١٧ | ١٦٣ | بابل |
| ١٣١ | زهزم | ١٩١ و ٥٢ | ٨٢ | بخارى |
| ٢٤ | سجستان | ١٧ | ١٠٣ و ٢١ | بدر |
| ٧٠ و ٥٧ و ٣٣ | سر من رأى | ١٨٧ | ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ٢٠ | البصرة |
| ١٩٤ و ١٨٩ و ١٥٩ | سقيفة بنى ساعدة | ١٢ | ٣٤ و ٣٣ و ٣١ و ٣٠ و ٢٧ و ٢٤ | و |
| ١٢١ | سلانيك | ٧٩ | ٧٦ و ٧٠ و ٦٤ و ٦٣ و ٦٢ و ٦١ و ٦٠ و ٥٩ و ٥٨ و ٥٧ و ٥٦ و ٥٥ و ٥٤ و ٥٣ و ٥٢ و ٥١ و ٥٠ و ٤٩ و ٤٨ و ٤٧ و ٤٦ و ٤٥ و ٤٤ و ٤٣ و ٤٢ و ٤١ و ٤٠ و ٣٩ و ٣٨ و ٣٧ و ٣٦ و ٣٥ و ٣٤ و ٣٣ و ٣٢ و ٣١ و ٣٠ و ٢٩ و ٢٨ و ٢٧ و ٢٦ و ٢٥ و ٢٤ و ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ٢٠ و ١٩ و ١٨ و ١٧ و ١٦ و ١٥ و ١٤ و ١٣ و ١٢ و ١١ و ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١ و ٠ | و |
| ١١٩ | السند | ١٦٣ و ٢٤ و ١٢ | ١٩١ و ١٦٣ و ١٠٠ و ٩٤ و ٩٢ و ٩١ و ٩٠ و ٨٩ و ٨٨ و ٨٧ و ٨٦ و ٨٥ و ٨٤ و ٨٣ و ٨٢ و ٨١ و ٨٠ و ٧٩ و ٧٨ و ٧٧ و ٧٦ و ٧٥ و ٧٤ و ٧٣ و ٧٢ و ٧١ و ٧٠ و ٦٩ و ٦٨ و ٦٧ و ٦٦ و ٦٥ و ٦٤ و ٦٣ و ٦٢ و ٦١ و ٦٠ و ٥٩ و ٥٨ و ٥٧ و ٥٦ و ٥٥ و ٥٤ و ٥٣ و ٥٢ و ٥١ و ٥٠ و ٤٩ و ٤٨ و ٤٧ و ٤٦ و ٤٥ و ٤٤ و ٤٣ و ٤٢ و ٤١ و ٤٠ و ٣٩ و ٣٨ و ٣٧ و ٣٦ و ٣٥ و ٣٤ و ٣٣ و ٣٢ و ٣١ و ٣٠ و ٢٩ و ٢٨ و ٢٧ و ٢٦ و ٢٥ و ٢٤ و ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ٢٠ و ١٩ و ١٨ و ١٧ و ١٦ و ١٥ و ١٤ و ١٣ و ١٢ و ١١ و ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١ و ٠ | و |
| ١٩٢ | السند | ١٨٩ و ١٧١ و | ١٩٢ و | و |

| | | | | | |
|--------------------------|-------------|---------------------|-----------------|-----------------------|----------|
| ٨٢ | مراكش | ١٢٦ | فاس | ٣٠ | سيحان |
| ٢٨ | مربد البصرة | ٣٧ و ١٢١ | فدك | ١٩١ | الشاذياخ |
| ١٨٩ و ١٨ | مرو | ١١١ | فارس | ١١٣ و ٩٢ و ٢٠ و ١٧ | الشام |
| ٤٢ و ٣٢ و ٢٠ و ١٧ و ١١ | مصر | ١٧٢ | الفرما | ١٦٠ و ١٢٨ و ١٢٣ و ١٢٠ | و |
| ١١٩ و ١١٤ و ٨٢ و ٧٩ و ٧٧ | | ١٥٩ | فم القاطول | ١٦٣ و | |
| ١٤٩ و ١٤٢ و ١٣١ و ١٢٦ | | ٢٠ | قاسيون جبل | ٢١ | الشرارة |
| ١٨٩ و ٨٨ | | ١٢٦ | قالى قلا | ٤٩ | الشعب |
| ٧٧ | مقدونية | ١٧٧ و ١٠٧ و ٧٩ و ٧٥ | القاهرة | ١٠٥ | شهرستان |
| ١٢ و ٢١ و ٧٤ و ٧٨ و ١٢٠ | مكة | ٧٩ | القرافة | ٥٤ و ٢٤ | شيراز |
| ١٢١ و | | ١٢٦ و ٨٢ و ١٤ | قرطبة | ١٨٧ | صرخد |
| ٧٤ | منى | ١٢٦ | القسطنطينية | ٩٧ | صنعا |
| ١٨٧ و ٨٥ | الموصل | ١٩١ | قصور الشاذياخ | ٤٩ | الطائف |
| ١٩١ | نيسابور | ١٩١ | قصور المبان | ١٢ | الطبيين |
| ٨٢ | همدان | ١٢ | قنسرين | ٨٢ | طوس |
| ٦٣ و ٢٨ | واسط | ١٢٦ | كليكة | ١٦٧ و ٢٣ | العراق |
| ٨٢ | لاريسا | ٣١ و ٢٢ و ١٧ | الكوفة | ٧٤ | عرفات |
| ١٠٣ و ٩٣ | اليامة | ١٦٨ و ٧٦ و | | ٧٥ | عسقلان |
| ٩٧ | اليمين | ١٣٦ و ١٢٧ | لندن | ١٢١ | المقبة |
| ٨٢ | اليونان | ١٤٢ | ليدن | ١٦٣ و ٣٢ | المقر |
| | | ٢٠ و ١٢ | المدينة المنورة | ٢١ | العقيق |
| | | ١٢١ و ٢١ | | ٢٨ | عكاظ |

الفهرس الخامس

في التراجم والتعليقات والحواشي

صفحة

- ١٠ نساء الشهور في الجاهلية
- ١١ أبو بكر محمد بن موسى بن سيار العبقي البصري - يموت بن المزرع
- ١٢ عترة بن شداد العبسي
- ٠٠ أبو خراشة خفاف بن عمير السلمي - ابن ندبة
- ٠٠ أبو عمير بن الحباب
- ٠٠ السليك بن السليكة
- ٠٠ هشام بن عقبة بن أبي معيط
- ٠٠ أبو صالح الأمير عبد الله بن خازم السلمي
- ٠٠ همام بن مطرف العقيلي
- ٠٠ منتشر بن وهب أخو أعشى باهلة
- ١٣ مطر بن أوفى
- ٠٠ ثاب بن جابر - تأبط شرا
- ٠٠ الشنفرى الأزدي
- ٠٠ حاجز بن عوف الأزدي
- ١٤ أبو عبيدة معمر بن المثنى الراوية
- ٠٠ أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي المعتزلي
- ٠٠ أبو محمد طلي بن أحمد بن سعيد - ابن حزم الأندلسي

- ١٥ سقراط الفيلسوف اليونانى
- ١٦ عمرو بن عبد مناف - هاشم
- ٠٠ عمرو بن سعيد بن العاص - الأكبر
- ٠٠ عمرو بن سعيد بن عمرو بن سعيد - الأشدق
- ٠٠ الأمير عمرو بن العاص فاتح مصر
- ٠٠ عمرو بن حمزة الدوسي
- ٠٠ عمرو بن معدى كرب
- ٠٠ عمرو بن عبدود العامري
- ٠٠ عمرو بن الشريد
- ١٧ عمرو بن الحق الخزاعي
- ٠٠ عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة
- ٠٠ أبو علي عمرو بن قائد الاسوارى المعتزلى
- ٠٠ أبو زيد احمد بن سهل البلخى
- ٠٠ أبو الفضل بن العميد
- ٠٠ أبو حيان التوحيدى
- ٠٠ أبو القاسم شمس المشرق محمود بن عزيز العارضى الخوارزمى
- ١٨ القاضى أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد
- ٠٠ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى
- ١٩ شهاب الدين أبو عبد الله - ياقوت الرومى الحموى
- ٢٠ الحسن بن هانئ الحكيمى - أبو نواس
- ٠٠ القاضى أبو العباس شمس الدين أحمد بن ابراهيم - ابن خلكان

- ٢٠ أبو بكر أحمد بن علي — الخطيب البغدادي
- ٠٠ الأمير عتبة بن غزوان بن الحارث المازني
- ٢١ الامام عمر بن الخطاب
- ٠٠ سعد بن مالك بن أهيب — ابن أبي وقاص
- ٠٠ عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس — أبو جعفر المنصور
- ٢٣ عبد الله بن هرون الرشيد — المأمون
- ٢٤ أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي النحوي الكوفي — الفراء
- ٠٠ أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المحدث
- ٢٧ أبو سعيد عبد الملك بن قريب — الأصمعي
- ٢٨ أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري
- ٠٠ أبو الحسن سعيد بن مسعدة — الأخفش الجاشعي
- ٠٠ أبو اسحق ابراهيم بن سيار بن هانيء النظام المعتزلي
- ٢٨ قاضي القضاة ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري صاحب
- أبي حنيفة
- ٠٠ أبو خالد يزيد بن هرون السلمي المحدث
- ٢٩ أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الازدي البصري
- المبرد
- ٢٠ نهر سيجان بالبصرة
- ٠٠ الفتح بن خاقان الوزير
- ٣١ جعفر بن المعتصم بن هرون الرشيد — المتوكل على الله العباسي
- ٣٢ البرامكة أبناء خالد بن برمك

- ٣٢ الطاهرية أبناء طاهر بن الحسين
- ٠٠ أبو اسحق ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب
- ٣٣ محمد بن عبد الملك الزيات الكاتب الوزير
- ٠٠ القاضى أحمد بن أبى دؤاد الايادى
- ٠٠ ميمون بن هرون الكاتب
- ٣٥ أبو عمرو سهل بن هرون الكاتب
- ٣٧ أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد اليمامى
- ٣٩ عبد الله بن احمد بن حرب المهزى - أبو هفان البصرى
- ٤٠ أبو بكر أحمد بن على بن أنجور بن الاخشىدى - ابن الاخشىد -
ابن الاخشاد المعتزلى
- ٤٢ أبو الحسين على بن الحسين بن على - المسعودى المؤرخ
- ٤٣ عبد الله بن المقفع الكاتب
- ٤٥ أبو محمد عبد الله بن مسلم - ابن قتيبة الدينورى الكاتب
- ٤٦ أبو عبد الله محمد بن عمرو - الجاز
- ٤٨ أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق
- ٤٩ عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
- ٠٠ أبو القاسم محمد بن على ابن أبى طالب - ابن الحنفية
- ٥٠ أميه بن أبى الصلت الشاعر المتأله
- ٥٢ الامام أحمد بن عبد الحليم الحرانى - ابن تيمية
- ٥٣ أبو العباس أحمد بن يحيى - ثعلب
- ٠٠ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى اللغوى
- ٠٠ أبو الفضل أحمد بن الحسين - بديع الزمان الهمدانى

- ٥٤ أبو بكر محمد بن الطيب البصرى - الباقلانى
- ٥٧ أبو الحسن على بن يحيى بن منصور . المنجم النديم
- ٠٠ مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى
- ٥٨ أبو محلم محمد بن سعد السعدى الشيبانى
- ٥٩ الخليل بن احمد الازدى
- ٦٠ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى
- ٥٣ أبو الحسن ثابت بن قرّة الصابى الحرانى الطيب
- ٠٠ أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن البصرى
- ٦٣ الأمير أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفى
- ٠٠ أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسى الأكمه البصرى
- ٠٠ عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء زعيم المعتزلة
- ٦٤ أبو بحر عبد الله بن أبى إسحق الحضرمى النحوى
- ٠٠ أبو يعقوب فرقد بن يعقوب السبخى الزاهد الناسك
- ٠٠ سحبان وائل الخطيب
- ٠٠ عامر بن عبد قيس الزاهد الناسك
- ٠٠ أبو إسحق مزبد المدنى صاحب النوادر والفكاهات
- ٦٦ أبو محمد عبد الله بن حمود الزبىدى الاندلسى
- ٠٠ أبو حنيفة احمد بن داود بن وند الدينورى صاحب النبات
- ٦٧ الأمير أبو أحمد طلحة بن جعفر المتوكل - الموفق
- ٠٠ على بن عبيدة الريحانى الكاتب المعتزلى
- ٦٩ الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب المذهب

- ٦٩ أبو الهذيل العلاف البصرى شيخ المعتزلة
- ٧٠ الصكاك : عنان السماء
- ٧٢ ابن التلميذ الطبيب
- ٧٣ أبو الحسن على بن عيسى بن عبد الله الرماني النحوى - الأخشىدى - الوراق
- ٧٥ أبو بكر محمد بن الحسن العطار - ابن مقسم القارىء
- ٠٠ أبو على عبد الرحيم - القاضى الفاضل
- ٧٦ أبو عبادة الوليد بن عبيد - البحترى الشاعر
- ٠٠ أبو بكر محمد بن الحسن - ابن دريد الأزدى
- ٧٧ أرسطو
- ٧٨ أبو عبد الله الزبير بن أبى بكر بكار القاضى - الزبير بن بكار
- ٠٠ تحقيق نسب الرسول صلوات الله وسلامه عليه
- ٧٩ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى
- ٨١ أبو نصر محمد بن طرخان - الفارابى
- ٨٢ الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله - ابن سينا
- ٠٠ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد - ابن رشد
- ٠٠ أبو حامد محمد بن محمد الطوسى - الغزالى
- ٠٠ أفلاطون
- ٠٠ فيثاغورس
- ٠٠ بقراط
- ٠٠ جالينوس
- ٨٣ يوحنا أويحيى بن البطريق

- ٨٣ عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي - ابن ناعمة الحمصي
- ٨٤ أبو زيد حنين بن إسحق العبادي
- ٥٠ العباس بن سعيد الجوهري
- ٥٠ اقليدس الصوري
- ٨٥ أبو علي بن أبي قرة المنجم
- ٥٠ حبيب بن فهريز - عبد يشوع
- ٥٠ خالد بن عبد الملك المروزي المنجم
- ٩٢ الأزارقة . فرقة من الخوارج
- ٥٠ عبد الملك بن مروان
- ٩٣ الصفريّة . فرقة من الخوارج
- ٥٠ النجدات . » » »
- ٥٠ الاباضية . » » »
- ٩٤ المرجئة
- ٩٥ الشيعة
- ٩٦ أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب
- ٥٠ أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب
- ٩٧ أبو عبد الله محمد بن منبه المحدث الاخباري - وهب بن منبه
- ٩٨ أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري الإمام
- ٩٩ المجسمة
- ١٠٠ المشبهة
- ٥٥٥ الرافضة

- ١٠٠ أبو الحسن مقاتل بن سليمان الخراساني الأزدى المفسر . رأس المشبهة
٠٠٠ الجبرة
- ١٠١ جهم بن صفوان الترمذى . رأس الجبرية
- ١٠٢ سالم بن معقل مولى أبي حذيفة الصحابي
- ١٠٣ الراوندية . شيعة بنى العباس
- ١٠٥ أبو الحسين أحمد بن يحيى - ابن الراوندى
- ٠٠٠ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى
- ٠٠٠ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى
- ١٠٧ تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر - المقرئ المؤرخ المصرى
- ٠٠٠ أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان - الخياط المعتزلى
- ١١١ محمد بن منصور بن زياد الكاتب - فتى العسكر
- ١١٣ أبو على الحسن بن وهب بن سعيد الكاتب
- ١١٧ آل المدبر
- ٠٠٠ أبو النجم هلال الأنبارى البغدادى
- ١١٩ الشيخ أحمد بن عمر قاضى القضاة - شهاب الدين الخفاجى المصرى
- ١٢٠ معاوية بن أبى سفيان
- ١٢١ العباس بن عبد المطلب
- ٠٠٠ أبو بكر الصديق
- ٠٠٠ فذك وحديثها
- ١٢٢ بركة أم أيمن
- ١٢٦ ولى الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمى الفاسى - ابن خلدون

- ١٢٦ أبو على اسماعيل بن عيذون — القالى
- ١٣٠ أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله — المدائنى الاخبارى
- ١٣١ موفق الدين عبد الطيف بن يوسف — البغدادى الطبيب
- ٠٠٠ السعيد أبو القاسم هبة الله بن الرشيد — ابن سناء الملك الشاعر الكاتب
- ١٣٥ محمد بن هرون أبو عيسى الوراق المعتزلى
- ١٣٦ فيلسوف الاسلام أبو يوسف يعقوب بن إسحق — الكندى
- ١٣٨ أبو الفرج محمد بن إسحق النديم البغدادى
- ٠٠٠ أبوبكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب
- ١٤١ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى
- ١٤٢ ابراهيم بك المويلحى الكاتب المصرى
- ١٤٣ أبو على أحمد بن عبد الرحمن — بن مندويه الاصفهائى
- ١٦٠ يزيد بن عبد الملك بن مروان
- ١٦٢ أبو مرثد الغنوى
- ١٦٣ أبو خالد الامير يزيد بن المهلب
- ١٦٤ حذيفة بن بدر الفزارى
- ١٦٨ الرجعية
- ١٧٢ المروءة
- ٠٠٠ دبيق بلد مصرى
- ١٧٢ أم الولد
- ١٧٣ محاكم المظالم قديما
- ١٧٦ الشيخ على يوسف صاحب المؤيد

١٨٧ موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي - ابن.
أبي أصيبعة

٠٠٠ أبو الحسن المختار بن عبدوس - ابن بطلان الطبيب

١٨٨ أبو زكريا يوحنا بن ماسويه الطبيب

٠٠٠ أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير

١٨٩ أبو محلم عوف بن محلم الخزاعي الشاعر

٠٠٠ الأمير أبو العباس عبد الله بن طاهر

١٩١ قصور الشاذياخ

١٩٤ حوقلت

٠٠٠ أبو عبد الله المعتز بن المتوكل

٠٠٠ أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى

٠٠٠ أبو شراة أحمد بن محمد بن شراة القيسى البكري الشاعر

٢٠٦ من شعر أبي نواس

الفهرس السارس
ف فصول الكساب ومواده

| صفحة | |
|------|--|
| ٢ | صورة الجاحظ . تخيلها المؤلف |
| ٤ | مقدمة |
| | تمهيد فى : |
| ٧ | مناهج الكساب فى تراجم الرجال |
| | الفصل الأول فى : |
| ١٠ | أصل الجاحظ ونسبه وجنسه ولقبه |
| | الفصل الثانى فى : |
| ١٩ | تحقيق مولده ونشأته ، وهل كان محدثا |
| | الفصل الثالث فى : |
| ٢٦ | أساليب التعليم فى ذلك العهد ، وكيف تعلم الجاحظ |
| | الفصل الرابع فى : |
| ٣٠ | موارد رزقه وبسطة جاهه |
| | الفصل الخامس فى : |
| ٣٥ | رأسته لديوان الرسائل |
| | الفصل السادس فى : |
| ٣٩ | معارفه وإحاطته |
| | الفصل السابع فى : |
| ٤٣ | وضعه الكتب على السنة المتقدمين ، ووضع غيره الكتب باسمه |
| | الفصل الثامن فى : |
| ٤٥ | مقامه فى رأى خصومه |

- الفصل التاسع في :
٥٧ تخطيطه وتصويبه
- الفصل العاشر في :
٦١ مقامه لدى العارفين بمناقبه
- الفصل الحادى عشر في :
٧٣ شهرة مصنفاته فى الآفاق
- الفصل الثانى عشر فى :
٧٧ تحقيقه العلم ووفوده على مصر
- الفصل الثالث عشر فى :
٨١ الترجمة وأساليبها ورأى الجاحظ فيها وفى النقلة
- الفصل الرابع عشر فى :
٨٩ نشوء الاعتزال فى الاسلام
- الفصل الخامس عشر فى :
١٠٤ مذهب الجاحظ فى الاعتزال
- الفصل السادس عشر فى :
١١٠ شأن الجاحظ مع ابن الزيات وابن أبى دؤاد
- الفصل السابع عشر فى :
١١٣ رأى الجاحظ فى العروض والشعر
- الفصل الثامن عشر فى :
١١٦ وصف مؤلفاته وإحصائها
- الفصل التاسع عشر فى :
١٤٥ الكتب التى نسبت الى الجاحظ وليست له

الفصل العشرون في :

١٥٩ ما اخترناه من طرفه ونوادره

الفصل الحادى والعشرون في :

١٧٤ شذور من كلماته

الفصل الثانى والعشرون في :

١٧٨ نبذ من شعره

الفصل الثالث والعشرون في :

١٨٥ هجو الشعراء له

الفصل الرابع والعشرون في :

١٨٧ مرضه وما قيل في سببه وموته

الفصل الخامس والعشرون في :

١٩٦ خصائص الجاحظ ومميزاته

٢٠٩ وقفة

٢١٠ المصادر والمراجع

٢١٣ الفهارس

٢١٤ الفهرس الاول فى اعلام الرجال والنساء

٢٢٥ » الثانى فى أسماء الكتب والأسفار

٢٣١ » الثالث فى الشعوب والأجناس والفرق والأشياء-

٢٣٣ » الرابع فى البلدان والأماكن والبقاع

٢٣٥ » الخامس فى التراجم والتعليقات والحواشى

٢٤٥ » السادس فى فصول الكتاب ومواده

تصحيح

| ص | س | خطأ | صواب |
|-----|----|---------------------------|---------------------------|
| ١١ | ٦ | الجاحظ | الجاحظ |
| ١١ | ١٩ | يموت بن الزرع | يموت بن الزرع |
| ١٣ | ٦ | فالولى | فالولى |
| ١٧ | ٢٢ | النظام | النظام |
| ٢٣ | ١٧ | (يعنى مذهب الاعتزال) | (يعنى مذهب الاعتزال) |
| ٢٧ | ٦ | بتوجيه | بتوجيه |
| ٣٢ | ٢٢ | زيد بن المهلب | يزيد بن المهلب |
| ٣٩ | ٧ | إلا قرأه واستظهره | إلا قرأه واستظهره |
| ٤٥ | ١٧ | مائلا | مائلا |
| ٨ | ١٢ | اللغات | اللغات |
| ٨١ | ٤ | أن الجاحظ | إن الجاحظ |
| ٨١ | ٥ | إلا قرأه واستظهره | إلا قرأه واستظهره |
| ٩٢ | ٢١ | وكان عهده كله حروب | وكان عهده كله فى حروب |
| ١١٦ | ١٣ | كثير من الفارقين | كثير من العارفين |
| ١١٧ | ١٠ | رسالة | رسالة |
| ١٢١ | ٧ | كتاب إمامة | كتاب إمامة |
| ١٢٩ | ١٥ | كتاب الحجاب | كتاب الحجاب |
| ١٣٠ | ١٩ | من أبى الجاحظ | من أبى عثمان الجاحظ |
| ١٣٩ | ٤ | القواد وأسباب الصناعات | القواد وأرباب الصناعات |
| ١٤٠ | ٢٣ | كتاب القرآن | كتاب مسائل القرآن |
| ١٩١ | ٢١ | عوف بن ملحمة | عوف بن محلم |
| ١٩٤ | ٧ | الحبز | الحبز |
| ١٩٩ | ٩ | أحمد بن عبد الوهاب الثقفى | أحمد بن عبد الوهاب البجلى |
| ٢٠٢ | ٥ | وضرائها | وضرائها |
| ٢٠٧ | ١٢ | ابى داود | ابى دؤاد |